الأزمات الاقتصادية في الأندلس

من الفتح حتى سقوط غرناطة

(٩٢-٨٩٧هـ / ٧١١-١٤٩٢م)

تأليف

نغم عدنان احمد الكركجي

دار الكتاب الثقافي


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



الأزمـــات الإقتصاديـــة في الأندلــس

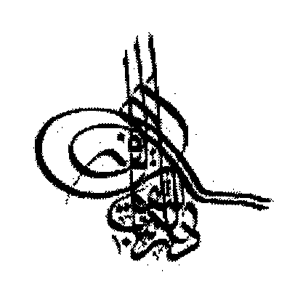
من الفتح حتى سقوط غرناطة

(٩٢- ٨٩٧هـ/ ٧١١- ١٤٩٢م)

تأليف

نغم عدنان أحمد الكركجي





بسم الله الرحمن الرحيم

محفوظة
جميع الحقوق

٢٠١٨م – ١٤٣٩هـ

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٨/٢/٦٣٩)



www.dar-alketab.com

للطباعه والنشر والتوزيع
الأردن اربد
شارع إيدون إشارة الإسكان
تلفاكس
(٠٠٩٦٢-٢-٧٢٦١٦١٦)
whatsApp / تلفون
(٩٦٢-٠٧٧٧٧٧٦٨١٠)
ص.ب (٦٢٠٣٤٧-٢١١)
Dar-Alketab
PUBLISHERS
Irbid- Jordan

Tel & fax:
(962-2-7261616)
E-mail:
dar_alkitab1@hotmail.com

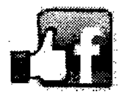
المدير العام



٣٣٠.٩١٤٨٦
الكركجي، نغم عدنان
الأزمات الإقتصادية في الأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة /نغم عدنان الكركجي_ اربد. دار الكتاب الثقافي للنشر، ٢٠١٨
( )ص
ر.إ: (٢٠١٨/٢/٦٣٩).
الواصفات: /الإنتكاس الإقتصادي //العصر الأندلسي/

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من دائرة المكتبة الوطنية

ISBN ٩٧٨-٩٩٥٧-٥٥٠-٦١-٥ ردمك



https://web.facebook.com/daralketab



قائمة المحتويات

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨]



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسولنا محمد خاتم النبيين وعلى اله وأصحابه أجمعين وبعد :

عرفت الأندلس بالسعة والرخاء حتى وصفت بالفردوس المفقود فمن الصعب أن يتخيل المرء حدوث أزمة اقتصادية وضيق معاشي فيها ولا سيما انها اشتهرت بطيب الأرض وتنوع الثمار والغلات .

ومن هنا جاءت هذه الدراسة (الأزمات الاقتصادية في الأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة ٩٢ – ٨٩٧ هـ/ ٧١١ – ١٤٩٢م) ، لتسلط الضوء على تلك الفترة العصيبة التي مرت بها البلاد وما تحمله ساكنوها من عناء ومشقة إزاء هذه الأزمات والضائقات على اختلاف مسبباتها من عوامل طبيعية او بشرية .

إن تدهور الاقتصاد في مرحلة ما يخلف وراءه إرباكا ماديا ومعاشيا واضح المعالم على المجتمع الذي يعد المرآة الحقيقية لحالة البلاد الاقتصادية .

و لم يقتصر تأثير الأزمات الاقتصادية في المجتمع والأفراد فحسب بل كان على الدول المتعاقبة التي حكمت الأندلس مواجهة الانعكاسات السلبية التي تركتها الأزمات الاقتصادية على سياساتها وتحركاتها العسكرية فضلا عن مسؤوليتها في التخفيف من وطأة الأزمة ومد يد العون لرعيتها في تلك الأوقات .

وعلى ذلك فان للازمات الاقتصادية أبعادا عديدة منها ما اثر في الفرد بشكل مباشر والذي يعد العنصر الأساسي في تكوين المجتمع وتسيير العجلة الاقتصادية ومنها ما وقع ضررها على الثروة الزراعية وحتى الحيوانية في حين أن قسما آخر ترك التأثير السلبي في البنية العامة للدولة بصفتها الرسمية .

إن تجاهل موضوع كهذا يمس حياة العامة والخاصة ، كالمجتمع والدولة يجعلنا نفتقد الى حلقة من حلقات السلسلة المترابطة لمعرفة أحوال الدول والشعوب ويبقي جانب من الجوانب المهمة في زاوية مظلمة فالاقتصاد عصب الحياة بحكم ترابطه مع ميادين عدة .

لقد حظي التاريخ السياسي والعسكري للدول بعناية خاصة من قبل الباحثين والدارسين في هذا المجال في حين أهمل الجانب الاقتصادي او جاء في مرحلة متأخرة من تلك العناية بالرغم من تأثيره المباشر في الفرد والدولة كما ذكرنا.

ومن خلال متابعتنا للموضوع وما كتب فيه لم نعثر على اية دراسة أكاديمية شاملة للعهود التاريخية التي مر بها الحكم العربي الإسلامي في الأندلس (كرسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه) بهذا الشأن وما كتب من بحوث في هذا الجانب اما اقتصرت على مدة محددة من تاريخ الأندلس[1] أو أنها عنيت بإحدى مسببات الأزمات الاقتصادية ولم تتطرق الى المسبب الأخر[2]، أو كانت الأزمات الاقتصادية جزءاً من عمل لم تُعط مساحة كافية من العناية لتقدم خلاله بصورة متكاملة وكافية[3] .

ولذلك جاءت هذه الدراسة محاولة لتقصي ما أمكننا من جهد في ذكر ابرز ما حدث من أزمات اقتصادية وقعت في بلاد الأندلس خلال الوجود العربي الإسلامي ، وذكر انجع الحلول التي قدمتها الدول للحد من أثار هذه الأزمات على رعيتها والحفاظ على أركان دولتها .

---

(١) ينظر : أحلام حسن النقيب ، الأزمات الاقتصادية في الأندلس على عصري الإمارة والخلافة ١٣٨-٣٦٦هـ/ ٧٥٥-٩٧٦م ، أسبابها وعلاجها ، مجلة التربية والعلم ، مج ١١ ، ع ٢ ، (جامعة الموصل ، كلية التربية ، ٢٠٠٤م)، ص١٣ وما بعدها .

(٢) خزعل ياسين مصطفى ، الكوارث والظواهر الطبيعية بالأندلس وآثارها على المجتمع في عصري الأمارة والخلافة (١٣٨-٤٢٢هـ/ ٧٥٥-١٠٣٠م) ، مجلة آداب الرافدين ، ع ٥٤ ، (جامعة الموصل ، كلية الآداب ، ٢٠٠٩م) ، ص٣١٤ - ٣١٥ ، ٣٢٨ .

(٣) عبد الله محمد حسين الزيات ، مظاهر اقتصادية في عصري المرابطين والموحدين بالأندلس والمغرب، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع ٤٦ ، (دبي ، مركز جمعة الماجد ، ٢٠٠٤ م) ، ص ١٠١ وما بعدها.

ولا ريب ان البحث في مثل هذا الموضوع قد تواجهه عدد من الصعوبات التي تعترض الباحث وتحد من قدرته على تغطية جوانبه المختلفة ، منها تنوع مصادر المعلومات وتفرقها بين كتب التاريخ والتراجم والجغرافية والأدب والفقه ، فضلا عن ندرة المادة وتوزعها في بطون الكتب وثنايا السطور تضطر الباحث إلى تصفح الكتاب بكامله بحثا عن معلومة قد يجدها أو لا يجدها ، هذا غير اقتضابها واقتصار المعلومة في بعض الأحيان على سنة وقوع الأزمة دون تبيان لأثارها ونتائجها وحلولها فضلا عن تشابك المعلومات وتداخلها مع بعضها مما يضطر معه الباحث إلى استخدام المعلومة الواحدة في أكثر من موضع نتيجة لذلك، كما شكلت طول المساحة الزمنية للدراسة التي بلغت نحو ثمانية قرون صعوبة في تغطيتها ومتابعة المعلومة في كل عصر من عصورها المختلفة باختلاف الدول المتعاقبة وتباين اقتصادها بين مزدهر ومتدهور تبعا لأحوال كل دولة .

اقتضت طبيعة الدراسة أن تتضمن تمهيدا وأربعة فصول وخلاصة ، تناول التمهيد المعاني والدلالات اللغوية والاصطلاحية لكل من الأزمة والاقتصاد ثم تناولنا عدداً من المسميات التي كانت تطلق على سنوات الأزمات كمرادف لها وصولا إلى تعريف الأزمة الاقتصادية ، وتضمن وصفا سريعا للجغرافية الاقتصادية للأندلس ليكون القارئ والدارس في التاريخ الأندلسي على معرفة وبينة من تضاريس الأندلس ويدرك أماكن وقوع الأزمات الاقتصادية .

تضمن الفصل الأول العوامل الطبيعية المسببة للازمات الاقتصادية والتي اشتملت العوامل المناخية والبيئية وهي الجفاف وانحباس الأمطار والفيضانات والسيول وتأثير الزلازل في السكان وما يوقعه من خسائر مادية فضلا عن أحوال مناخية أخرى كاختلاف درجات الحرارة بين مناطق البلاد وهبوب الرياح الشديدة في بعض السنوات والتي قد يرافقها تساقط الأمطار الغزيرة ونزول البرد أو الثلوج في أحيان أخرى ، أما العوامل الحياتية فقد شملت انتشار الأوبئة والأمراض البشرية والتي كانت سبباً في ذهاب إعداد كبيرة من السكان ومن ثم تناولنا الآفات الزراعية وأبرزها اجتياح الجراد وما كان يخلفه من اثر سيء على الزراعة في الأندلس .

وجاء الفصل الثاني متضمنا العوامل البشرية للازمات الاقتصادية فاحتوى الفصل على العوامل السياسية وأبرزها الاضطرابات الأمنية والسياسة التي أدت دوراً بالغ الخطورة في تدهور الاقتصاد سواءً أكانت اضطرابات داخلية أم أخطاراً خارجية ثم تطرقنا إلى حوادث الحرائق الناتجة عن الفتن والإهمال ، كما ضم الفصل العوامل الاقتصادية التي أثرت بشكل مباشر في النظام الاقتصادي للأفراد والمجتمع والدولة وهي الغلاء في الأسعار وسوء الإدارة المالية وتزييف النقد (العملة) والبذخ والإسراف في الإنفاق ومن ثم الاحتكار ، وأخيراً كان لسوء الإدارة المركزية واضطرابها وعدم وجود القيادة الحكيمة وغياب قدرتها على اتخاذ بعض القرارات السريعة لبعض المواقف اثر كبير في وقوع الأزمات الاقتصادية .

أما الفصل الثالث فقد تناول ابرز مظاهر الأزمات الاقتصادية وهي المظاهر الاقتصادية التي تطرقنا فيها إلى حالة ظهور المجاعة وتكررها في المجتمع وما تخلفه من أثار سيئة وفضلاً عن انتشار الفقر والحاجة ، أما المظاهر الاجتماعية فتكلمنا عن الهجرة والنقص السكاني والأمراض والأوبئة التي هي ابرز ظواهرها .

وتناولنا في الفصل الرابع إجراءات الدولة في معالجة الأزمات الاقتصادية والتي تمحورت حول إجراءات إدارية وهي الرقابة الإدارية (نظام الحسبة) على الأسواق وقيام الأمراء والخلفاء بإسقاط نسب من الضرائب أو تقليص نسبتها إذ كانت تلك الضرائب مرهقة للرعية ، ثم تحدثنا عن الإجراءات الاقتصادية التي تضمنت التسعير منعا للتلاعب بأسعار المواد الضرورية ولا سيما في أوقات الأزمات ثم تولي الدولة إصدار العملة ومراقبتها منعا لأي تلاعب أو غش قد تتعرض له عملة البلاد وأخيراً كان لإنفاق الدولة على إنشاء أو ترميم المشاريع العامة ذات النفع العام دور كبير في تخفيف وقوع أزمة اقتصادية أو حماية لأرواح السكان أو التخفيف من آثار أزمة قد حصلت أما إجراءات الدولة الاجتماعية فكانت الخروج لأداء صلاة الاستسقاء ودعاء الله تعالى لنزول الغيث والرحمة كما كان للتبرعات الشخصية والصدقات الطوعية دور في التخفيف من حدة الأزمات الاقتصادية وقد شارك الأفراد وطبقات من المجتمع الدولة في تلك الإجراءات الاجتماعية.

واختتمت الدراسة بخلاصة عن أهم نتائج البحث و عدد من الملاحق التوضيحية وأعقبتها قائمة بأسماء المصادر والمراجع العربية والمعربة والمعاجم اللغوية المستخدمة فضلا عن البحوث والدوريات والرسائل الجامعة والمصادر الأجنبية التي اعتمدت عليها الدراسة .

تحليل المصادر والمراجع :

تعد كتب التاريخ العام الركيزة الأساسية التي يستعان بها لأعداد أية دراسة تاريخية فضلا عن كتب الأدب والجغرافية والتراجم والفقه والحسبة ، لقد تناولت دراسات عديدة (ماجستير ودكتوراه) مسألة تحليل المصادر والمراجع المعتمدة وقد أسهب باحثوها في سرد معلومات كثيرة أشبعت المصدر أو المرجع بما ذكر على مدى صفحات عديدة من الدراسة ، فلا أجد ضرورة لإعطاء تحليل مطول عن كل مصدر اعتمده لأنني أجد في ذلك تكراراً للمعلومات وسرد ليس الا.

حاولت هنا أن أعطي نبذة مختصرة عن أسلوب ومنهجية المؤلف فضلا عن مدى أهمية المصدر وما فيه من معلومات أغنت الدراسة في أكثر من موضوع ، وفيما ياتي عرض لأهم المصادر المعتمدة والتي كانت لها أهمية في استيفاء مادة الدراسة و التي سنذكرها حسب ترتيبها التاريخي :

ولعل أكثر كتب التاريخ فائدة لموضوع الدراسة هو كتاب المقتبس لابي مروان حيان بن خلف القرطبي (ت٤٦٩هـ/١٠٧٦م) الذي أغنى البحث بمعلومات قيمة ودقيقة لا تقبل الشك لكونه شاهد عيان ومعاصر للاحداث لذا اخذ عنه بقية المؤرخين من بعده ، وهذا الكتاب حققت منه أربعة أقسام هي :

- المقتبس في أنباء أهل الأندلس ، تحقيق : محمود علي مكي والذي قدم فيه للسنوات الأخيرة من إمارة عبد الرحمن الأوسط وبداية إمارة ابنه الأمير محمد، اسهم هذا الجزء في توضيح بعض الأحداث الطبيعية وما رافقها من اسهامات الأمير وإجراءاته للتخفيف من تلك الأوضاع العصيبة على الناس [1] .

(١) (القاهرة ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، ١٩٧١م) ، ص١٤٣ ، ١٨٣-١٨٤ ، ٢٢٥ .

- المقتبس في تاريخ رجال الأندلس وهي قطعة من مدة إمارة الأمير عبد الله بن محمد حققها ملشورم انطونيا وقد ضم هذا الجزء عدداً من تلك الأزمات الطبيعية التي عانى منها الناس خلال تلك المدة مثل مجاعة (لم أظن) سنة ٢٨٥هـ/٨٩٨م وسنة جوع جيان عام ٢٩٧ هـ/٩٠٩م فضلاً عن حوادث أخرى[1] .

- المقتبس في تاريخ بلد الأندلس تحقيق : شالميتا وكورنيطي و م.صبح ضم ثلاثين سنة من الأحداث الواقعة في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وكانت لهذه القطعة أهمية كبيرة في تقديم تفاصيل مختلفة عن عهد الناصر الزاخر بالأحداث من ذلك المجاعة الحاصلة في كل من السنوات ٣٠٢ - ٣٠٣ هـ/٩١٤-٩١٥م و٣١٤هـ/٩٢٦م و٣٣٠هـ/٩٤١م فضلاً عن حوادث الحرائق والسيول وابرز الإجراءات التي قام بها الناصر خلال تلك السنوات[2] .

- المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، تحقيق : عبد الرحمن علي الحجي يشمل ما يقارب الخمس سنوات من خلافة الحكم المستنصر ، واعطى هذا الجزء الكثير من التفاصيل التي جرت خلال تلك السنوات ما بين أحداث طبيعية وإجراءات خلافية قام بها المستنصر رعاية منه لمصالح الرعية فكانت معلوماته غنية ووافية[3] .

ولم تقتصر المعلومات التي قدمها المقتبس من خلال أجزائه الأربعة على الأحداث الطبيعية فحسب بل كان له دور مهم في توضيح العديد من الإحداث العسكرية والسياسية ذات الصلة بالوضع الاقتصادي كحركة تمرد عمر ابن حفصون وغير ذلك فكانت هذه المعلومات غنية أفادت الدراسة في أكثر من جانب .

(١) (باريس ، مطبعة بولس كتنر الكتبي ، ١٩٣٧م) ، ص٣٣-٣٤ ، ١٢٧ ، ١٤٦ .
(٢) (مدريد ، المعهد الاسباني العربي للثقافة ، ١٩٧٩م) ، ص٢٥ ، ٦٨ ، ٢٥٠ ، ٣٨٣ ، ٤٧٦ .
(٣) (بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٥م) ، ص ٢٣ ، ٥٨ ، ٦٤ ، ٧٦ ، ٢٠٧ .

- كتاب **التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة** لمؤلفه الأمير عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس (ت بعد ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م) ، تكمن أهمية الكتاب كون صاحبه شاهد عيان على مدة حكم ملوك الطوائف وما ساد آنذاك من سياسات اقتصادية سيئة جرت الويلات على الرعية منها ثقل الضرائب التي يلمح بها في بعض المواضع فضلاً عن دفع الجزية لملوك النصارى الأسبان وما خلفته من ضعف وفقر ساد الرعية [(١)] .
- أما كتاب ابي مروان بن عبد الملك بن محمد بن صاحب الصلاة (ت ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م) ، وهو **المن بالإمامة على المستضعفين بان جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين** فهو من ابرز الكتب التاريخية التي تتحدث عن تاريخ الموحدين فصاحبه مؤرخ الدولة الموحدية واحد شهود العيان والمشاركين في العديد من حملات الموحدين العسكرية والذي قدم تفاصيل عن ابرز تلك الحملات ألا وهي غزوة وبذة ٥٦٧ هـ/ ١١٧٢ م وما عاناه الجيش الموحدي في تلك الغزوة من الآم الجوع والحرمان والغلاء حتى انتهت بالفشل الذريع كما قدم عدداً من الإجراءات التي قام بها الموحدون في الاندلس في مدينة اشبيلية وبطليوس [(٢)] .
- كتاب **نظم الجمان في أخبار الزمان** لصاحبه ابي الحسن ابي علي بن محمد بن عبد الملك المعروف بابن القطان (ت ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م) ، كان لهذا الكتاب أهمية في توضيح العديد من الأحداث الجارية في عصر المرابطين ولاسيما عهد الأمير علي بن يوسف بن تاشفين فقد تعرض باقي أجزاء الكتاب للضياع ولم يصلنا سوى هذا الجزء الذي قدم فيه معلومات مهمة وبخاصة فيما يتعلق بهجوم الجراد على المحاصيل الزراعية في الأندلس ولسنوات عدة فضلا عن أحداث أخرى مختلفة [(٣)] .

---

(١) تحقيق : ليفي بروفنسال ، (مصر ، دار المعارف ، ١٩٥٥م) ، ص ١٠٩ ، ١٢٠ ، ١٧٠ .
(٢) تحقيق : عبد الهادي التازي ، (بيروت ، دار الأندلس ، ١٩٦٤م) ، ص ٢٣٤ ، ٣٩٧ ، ٥٠٠ .
(٣) تحقيق : محمود علي مكي ، (الرباط ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، د.ت) ، ص ١٩٧ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨ ، ٢١٧ .

- وكان لكتاب الكامل في التاريخ لابي الحسن علي بن محمد الجزيري المعروف بابن الأثير (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م) أهمية كبيرة بالرغم من كون المؤلف مشرقياً غير انه أولى عناية بالأحداث الواقعة في الأندلس بما فيها بعض الازمات الاقتصادية والتي لم يسهب في الكثير منها إلا أن ذلك لا يقلل من أهمية المعلومات الواردة عن الأندلس فقد اعتمد المنهج الحولي في الكتابة وتناول أحداث كل سنة بالتتابع [١] .

- كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لمؤلفه أبي العباس احمد بن محمد بن عذاري المراكشي (كان حيا سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م) يعد هذا الكتاب من أهم المصادر التي ارتكزت عليه الدراسة لتنوع معلوماته وانفراده بذكر العديد منها مع توخيه الدقة والمصداقية فعرض المعلومات حوليا حسب السنين مما سهل على الباحث معرفة السنوات التي شهدت أحداثا ذات صلة بموضوع البحث وشمل تاريخ الأندلس أربعة أجزاء من هذا الكتاب القيم فقدم الجزء الثاني منه الأحداث من فتح الاندلس الى نهاية عهد الحاجب المنصور محمد بن ابي عامر (٩٢-٣٩٢هـ/ ٧١١-١٠٠١م) [٢] ، في حين شمل الجزء الثالث ابتداءاً من حجابة عبد الملك بن محمد بن ابي عامر وحتى ظهور ما عرف بمدة ملوك الطوائف[٣] ، أما الجزء الرابع فتضمن تاريخ المرابطين [٤] ، والقسم الأخير من الكتاب اختص بتاريخ عصر الموحدين في المغرب الأندلس[٥]، لقد كان هذا الكتاب حجر الأساس للمعلومات الواردة في فصول الدراسة اذ لم يتناول ناحية معينة بل كان شاملا لكل الجوانب التي تناولتها الدراسة من عوامل طبيعية وبشرية وظواهر الأزمات فضلا عن ما

---

(١) تحقيق : محمد يوسف دقاق ، (ط٤ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٣م) : ٥/ ٤٧٠ ، ٤٨٨ و ٦/١٩٦ ، ٢٤٩ .

(٢) تحقيق : كولان و ليفي بروفنسال، (بيروت، دار الثقافة ، د.ت)، ص ٣٨ ، ١٠٠ ، ١١٩ ، ٢١٤ .

(٣) تحقيق : ليفي بروفنسال ، (بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٧م) ، ص ١٠٥ ، ١١٤ ، ٢٢٥ .

(٤) تحقيق : احسان عباس ، (بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٧م) ، ص ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٤٨٧ .

(٥) تحقيق : امبروسي هويسي مرندة ومحمد بن تاويت الطنجي وابراهيم الكتاني ، (الجزائر ، دار كرديمايس ، ١٩٦٠م) ، ص ١٠٩ ، ٢٤٤ ، ٣٤٧ .

قامت به الدولة من إجراءات لتخطي ذلك، فلا يمكن للباحث في التاريخ الأندلسي الاستغناء عن هذا الكتاب .

- كما كان لكتاب **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** لكاتبه ابي الحسن علي بن عبد الله ابن ابي زرع (ت ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٥م) أهمية كبيرة أيضا من خلال عنايته بذكر العديد من الكوارث الطبيعية التي تحدثت عنها الدراسة في الفصل الأول فكان مصدرا مهما للتثبت من سنوات حدوث الكوارث وآثارها التي خلفتها مثل الزلازل وسنوات القحط وغير ذلك [1] .

- ومن المصادر التي افادت الدراسة كتابات لسان الدين ابي عبد الله محمد السلماني المعروف بابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) وخاصة كتابه **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام نشر تحت عنوان (تاريخ اسبانيا الإسلامية)** ، فهو بحق من المصادر المهمة فقد عرض للعديد من الأسماء المؤثرة في تاريخ الأندلس والتي كان لها دور اما في التسبب بحدوث أزمة اقتصادية أو التخفيف منها فضلاً عن ذكره لأمراء وخلفاء وحكام وقع في عهدهم من الحوادث الطبيعية والبشرية ما يتعلق بموضوع الدراسة [2] .

- وكان لكتابه الثمين **الإحاطة في أخبار غرناطة** أهمية كبيرة ولاسيما فيما يتعلق بتقديم أسماء أولئك الشخصيات الذين ذهبوا ضحية للطاعون الجارف الواقع في مملكة غرناطة في عام ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م وغير ذلك من معلومات مهمة أفادت الدراسة وأغنتها في أكثر من موضع [3] .

- أما كتاب **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب** لشهاب الدين احمد بن محمد التلمساني المقري (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣٢م) فهو موسوعة شاملة عظيمة في معلوماتها لم يقتصر المؤلف على ذكر

---

(١) (الرباط ، دار المنصور ، ١٩٧٢م) ، ص٩٦ ، ١٠٠ ، ١١٥ ، ٢٧٤ .

(٢) تحقيق : ليفي بورفنسال، (ط٢، بيروت، دار المكشوف ، ١٩٥٦م) ، ص ١٢ ، ٢٤ ، ٨٩ ، ٩٩ .

(٣) تحقيق : يوسف علي الطويل ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٣م) : ١ / ٦٠ و ٢/ ١٧٢ ، ٢٤٦ و ٣ / ١٤١ ، ١٧٧ و ٤/ ٢٢٠ ، ٤٥٣ .

الوزير ابن الخطيب بل راح يقدم للعديد من الأحداث الواقعة منذ الفتح وحتى عصر مملكة غرناطة فجاءت معلوماته وافرة أغنت البحث في مختلف فصوله [1] .

- ويعد كتاب أخبار مجموعة في فتح الأندلس لمؤلف مجهول ذا أهمية كبيرة من خلال تضمنه الأحداث التاريخية من الفتح العربي الإسلامي وحتى عصر الخلافة الأموية في الأندلس ، وعلى الرغم من أن المؤلف لم يذكر المصادر التاريخية التي اعتمد عليها في استقاء معلوماته فقد أفاد البحث ولاسيما فيما وقع في عصر الولاة من نزاعات عرقية وقبلية وما رافقها من مجاعة شديدة عرفت بمجاعة سني برباط فقدم المؤلف معلومات تفصيلية عن تلك الأحداث[2] .

- وكتاب ذكر بلاد الأندلس لمؤلف مجهول والذي ابتدأ بتقديم وصف عن الأندلس ومدنها ثم تحدث عن الأمراء والملوك الذين حكموا البلاد ، لقد كانت للكتاب أهمية كبيرة لذكره العديد من الأحداث الواقعة في عهد هذا الأمير أو ذاك فأغنى بتلك المعلومات جوانب عدة من فصول الدراسة [3] .

أما كتب الأدب فكان كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت٥٤٢هـ/ ١١٨٢م) أوسعها واشملها فلم تكن معلوماته أدبية بحتة بل تضمن العديد من المعلومات التاريخية التي شهدتها الأندلس و التي أفادت البحث كثيرا [4] .

- كذلك كتاب المغرب في حلي المغرب لابي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) الذي أفاد البحث في تراجم شخصيات دينية

(١) تحقيق : يوسف الشيخ محمد البقاعي ، (بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٨م) : ١/ ٢٨٦ و ٢/ ٦٧ و٤/ ١٢١ و ٥/ ٣٩٥ و ٦ / ٣٢١ .

(٢) تحقيق : ابراهيم الابياري، (ط٢، القاهرة، دار الكتاب المصري، ١٩٨٩م) ، ص ١٨ ، ٦١ ، ٧٨ .

(٣) تحقيق : لويس مولينا ، (مدريد ، المجلس الاعلى للابحاث العلمية بمعهد ميغيل اسين ، ١٩٨٣م) ، ص ١١٤ ، ١٣١ ، ١٦١ ، ١٨٤ .

(٤) تحقيق : احسان عباس ، (بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٧٩م) : ق١ مج ١ / ٤٧٠ و ق٢ مج١ / ٢٨٩ و ق٣ مج ١/ ١٤، ٢٠ و ق٤ مج ١ / ٤٦ .

وأدبية كان لها دور في أوقات الأزمات كتولي إمامة صلاة الاستسقاء أو توزيع الإعانات والصدقات على الفقراء فأعطى الدراسة فائدة ملحوظة [1] .

كما كان لكتب الجغرافية أهمية كبيرة في تعزيز المعلومات المتضمنة في البحث نظرا للترابط الوثيق بين التاريخ والجغرافية ومن تلك الكتب صورة الأرض لابي القاسم محمد بن علي بن حوقل النصيبي (ت٣٦٧هـ/ ٩٩٠م) فكانت فائدة الكتاب متمثلة بكون مؤلفه شاهد عيان على أوضاع الأندلس الاقتصادية والجغرافية عند زيارته لها في القرن الرابع للهجرة فأعطى معلومات وافية عن طبيعتها ومستوى أسعار البضائع والسلع في البلاد وما امتازت به من رخص ووفرة[2] .

- أما كتاب جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك لمؤلفه ابي عبيد عبد الله البكري (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) فقد قدم وصفا للعديد من مدن ومناطق البلاد فأفاد البحث في تحديد أماكن بعض المدن المذكورة خلال الدراسة فضلاً عما تضمنه من إشارات فيما يتعلق بموضوع البحث[3] .
- كتاب صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار لمؤلفه ابي عبد الله بن عبد المنعم الحميري (ت٧١٠هـ/ ١٣١٠م) الذي حققه ليفي بروفنسال [4] ضمت صفحاته معلومات قيمة ووافية لم تكن معلومات جغرافية فحسب بل كانت تاريخية واقتصادية قدمها بأسلوب سهل وسلس أغنت البحث وعززته في كثير من فصوله.

أما كتب التراجم فكانت لها أهمية كبيرة في سد الكثير من الثغرات في المعلومات الواردة عن الحوادث التاريخية إذ أن العديد منها لم يقتصر على ذكر

---

(١) تحقيق : شوقي ابو ضيف، (ط٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤م): ١/١٤٦، ١٥١، ١٦٣و٢/ ٢٥٠، ٢٩٩ .

(٢) (بيروت ، دار مكتبة الحياة ، د.ت) ، ص ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٩ .

(٣) تحقيق : عبد الرحمن علي الحجي ، (بيروت ، دار الإرشاد ، ١٩٦٨م) ، ص ٨٤ ، ٨٨ ، ١٠٥ .

(٤) (القاهرة ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٧م) ، ص ٩٦ ، ١٢٧ ، ١٦٣ .

الشخصيات فحسب بل كان يضم بين طياته معلومات مهمة كان دورها كبيراً في اغناء البحث .

- كتاب **تاريخ علماء الأندلس** لمؤلفه ابي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الازدي المعروف بابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ/ ١٠١٢ م) والذي قدم من خلاله عدداً من تراجم العلماء وأخبارهم وسيرهم وأعمالهم فكان مصدراً أساسيا لمعرفة دور هؤلاء العلماء والفقهاء في أوقات الأزمات والتخفيف منها على الفرد والمجتمع عند وقوعها [١] .
- وكان لكتاب **الصلة** لابو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (٥٧٨هـ/ ١١٨٢م) أهمية كبيرة في التعرف على بعض الحوادث المسببة للازمات الاقتصادية من خلال التطرق إليها ضمن ترجمة إحدى الشخصيات[٢].
- أما كتاب **المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتية المسمى تاريخ قضاة الاندلس** لابي الحسن بن عبد الله الجذامي النباهي (ت٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م) ، الذي كان على درجة عالية من الأهمية فقد ترجم للعديد من الشخصيات التي سبقت عصره وتعرض لأعمالهم ومساهماتهم فضلاً عن ذلك كان للكتاب أهمية لكون صاحبه شاهد عيان على ما حل في مملكة غرناطة ولاسيما مدينة مالقه عند حلول الطاعون الجارف عام ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م فقدم وصفا قيما عن حجم الضحايا البشرية التي قضت بذلك الطاعون [٣] .

أما كتب الفقه والحسبة فكانت مهمة لإكمال الصورة من جميع جوانبها واهم تلك الكتب هو **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والمغرب** لأحمد بن يحيى الونشريسي (ت٩١٤هـ/ ١٥٠٨م) ، فقد أورد إشارات قيمة وفتاوى مهمة عن بعض النوازل والجوائح التي قد توقع الخلاف بين

(١) (القاهرة ، الدار المصرية ، ١٩٦٦م) : ١ / ٢٤ ، ٢٩ ، ٣٠٨ و ٢/ ٥ .
(٢) (القاهرة ، الدار المصرية ، ١٩٦٦م) : ١/ ٦١ ، ٦٨ و ٢ / ٥٤٨ ،٦٢٥ .
(٣) تحقيق : صلاح الدين الهواري، (بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠٦م)، ص ٥٨، ٦٩، ١٥٦ ، ١٥٩ .

الناس من جراء حصولها فكان لابد لعلماء الدين البت في مثل هذه الحالات الاستثنائية فقدم لنا هذا الكتاب العديد من النماذج حول ذلك[1] .

أما كتب الحسبة فقد أمدت الدراسة بمعلومات غنية عن الناحية الاقتصادية وتعاملات السوق وأعطى أصحابها الكثير من التوصيات لتجاوز حالات الغش والاحتكار وتزييف العملة وغير ذلك واهم تلك الكتب رسالة في الحسبة لعمر بن عثمان بن عباس الجرسيفي (من رجال ق ٥هـ/ ١١م)[2] ، وكتاب رسالة في القضاء والحسبة لمحمد ابن احمد بن عبدون (ت أواسط ق ٥ هـ/ ١١م)[3]، وكتاب رسالة في الحسبة لأحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف (عاش في ق ٦ هـ/ ١٢م)[4] .

وعلى الرغم من أهمية المصادر الأولية التي لا غنى لأي دراسة أكاديمية تاريخية عنها فان هناك من المراجع والدراسات الحديثة التي أعطت الكم الكبير من المعرفة وسهلت على الباحث الوصول إلى المعلومة بأيسر الطرق هذا فضلاً عن احتوائها على استنتاجات وأفكار وآراء أفادت الدراسة وأغنتها منها كتاب دولة الإسلام في الأندلس بعصوره الأربعة لمحمد عبد الله عنان فهو بحق موسوعة علمية شاملة أفاد الدراسة بمعلومات وافية عن تاريخ العرب المسلمين في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط مملكة غرناطة وتاريخ العرب المتنصرين فهو مرجع رئيسٍ لا يمكن الاستغناء عنه سوى ما يؤخذ عليه عدم ذكره للمصادر التي استقى منها معلوماته عن كثير من الأحداث التاريخية[5] .

---

(١) تحقيق : حمد الحجي، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١م):٥/ ٢٣٦ و٦/ ٤٠٧ و١١/ ٤٥٩.

(٢) كتاب ثلاث رسائل اندلسية في أدب الحسبة والمحتسب ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، (القاهرة ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للاثار الشرقية ، ١٩٥٥م) ، ص ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٥ .

(٣) كتاب ثلاث رسائل اندلسية في أدب الحسبة والمحتسب ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، (القاهرة ، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، ١٩٥٥م) ، ص ٥ ، ١٦ ، ٢٠ .

(٤) كتاب ثلاث رسائل أندلسية في أدب الحسبة والمحتسب ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، (القاهرة ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، ١٩٥٥م) ، ص ٨٨ ، ٨٩ .

(٥) من الفتح إلى بداية عصر الناصر ، العصر الأول ، القسم الأول ، (ط٣ ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٨٨م)، (عصر الولاة والإمارة) ، ص١٣٠ ،٢٣٩ ، ٣٤٢ . =

- إلى جانب مؤلفات حسين مؤنس **فجر الأندلس** الذي قدم خلاله معلومات مهمة عن بداية الوجود الإسلامي وما جرى من صراعات أدت إلى حدوث أزمة اقتصادية خانقة في عام ١٣١هـ/٧٤٨م واستمرت لست سنوات بعد ذلك [١] .
- وكتابه الثاني موسوعة **تاريخ الأندلس** وهي في جزأين فكان بحق موسوعة شاملة لتاريخ المسلمين في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة [٢] .
- كما كان لموسوعة **الديار الأندلسية** لمحمد عبدة حتاملة دور كبير في التعرف على العديد من الأحداث التاريخية إذ اشتملت الموسوعة معلومات تاريخية واقتصادية فضلاً عن كونها موسوعة جغرافية شاملة لمدن ومناطق الأندلس [٣] .

وحري بنا أن نبين أن جميع المصادر والمراجع التي تضمنتها الدراسة سواء تلك التي عرضنا لها مفصلا فيما تقدم أو لم نذكرها قد رفدت الدراسة بمعلومات قيمة أغنتها وعززتها ، وان لم نستعرض جميع المصادر والمراجع فهذا لا يعني التقليل من قيمتها العلمية ومقدار ما قدمته من فائدة للبحث ففي آخر الدراسة قائمة بأسماء الكثير من المصادر والمراجع يمكن الاطلاع عليها .

وفي الختام أرجو أن أكون قد قدمت ما فيه فائدة في مجال الدراسات الاقتصادية خدمة للمسيرة العلمية فان وفقت فمن الله التوفيق والسداد وان يكون عذرنا في تقصير قد حصل أننا بذلنا وسعنا ومن بذل المجهود حق له العذر

=- الخلافة الأموية ، العصر الأول ، القسم الثاني ، (ط٣ القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٨٨م) ، (عصر الخلافة) ، ص ٣٧٨ ، ٤٢٣ ، ٤٨٧ .
- الدولة العامرية وسقوط الخلافة الأندلسية ، العصر الأول ، القسم الثالث ، (القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٥٨م) ، (عصر الدولة العامرية) ، ص ١٥٥ ، ١٥٦ .
- دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ، العصر الثاني ، (القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٠م) ، (دول الطوائف) ، ص ٨٤ ، ٩٧ ، ٢٦٦ .
- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، العصر الثالث ، القسم الأول والثاني ، (القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٤ م) ، ص ١١٥ ، ١٣٥ ، ١٤٣ و ٤١ ، ٨٠ ، ٢٥٦ .
- نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين ، العصر الرابع ، (ط٢ ، القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٥٨م) . (عصر مملكة غرناطة) ، ص ٣٨ ، ٢٠٢ ، ٢٢٥ .

(١) (القاهرة ، الشركة العربية ، ١٩٥٩م) ، ص ٢٠٥ ، ٢٣٥ ، ٣٤٨ .
(٢) (بور سعيد ، مكتبة الثقافة الدينية ، د.ت) : ١ / ٢٦٤ – ٢٦٥ ، ٤٩٣ و ٢/ ٢٣ ، ٢٥ ، ٧٢ .
(٣) (عمان ، المكتبة الوطنية ، ١٩٩٩ م) : ١ / ٣٠ ، ١٨٠ ، ٢١٨ و ٢/ ٦٥٨ ، ٨٧٤ ، ١١٠٩ .

التمهيد

لا يخلو تاريخ البشرية في كل عصوره من ظاهرة الأزمات بعامة والاقتصادية منها بخاصة فهي قديمة قدم التاريخ وليست وليدة العصر الحاضر على الرغم من اختلاف تسمياتها بين الماضي والحاضر الا انها تحمل الظواهر نفسها وتشترك بأغلب المسببات والنتائج الناجمة عنها .

ولا تنشأ الأزمة مجزأة وليست وليدة اللحظة لكنها تفاعل أسباب وعوامل نشأت قبل ظهورها [(١)] ، سواء كانت كوارث طبيعية أم مشاكل بشرية بصرف النظر عن حجمها وشكلها [(٢)].

والازمات تنوعت بحسب المسبب لها والعوامل المؤثرة في نشوئها كالأزمات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والمرضية وغيرها[(٣)]، وما يعنينا هنا هو الأزمات الاقتصادية (موضوعة البحث) .

وقد تتسم الأزمات بطابع المفاجأة في بعض منها وقد تأخذ الشكل التدريجي في حالات أخرى فتنشأ عن تراكم ظروف معينة تتطور لتصبح في النهاية أزمة يعاني منها المجتمع [(٤)] .

---

(١) عبد الإله البلداوي ، إدارة الأزمات ... العراق نموذجا ، ص٦ ، بحث منشور ضمن الموقع الالكتروني kitabat@kitabat.com

(٢) اميمة الدهان ، إدارة الأزمات في المنظمات ، مجلة أبحاث اليرموك ، مج ٥ ، ع ٤، (عمان ، د.مط ، ١٩٨٩م) ، ص٦٨ .

(٣) مهند نافع المختار ، الأزمات الاقتصادية في العراق (١٣٢ – ٤٤٧ هـ / ٧٤٩ – ١٠٥٥م) ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، (جامعة الموصل ، كلية الآداب ،٢٠٠٨م) ، ص٢ .

(٤) مريم مصطفى النداوي ، العلاقة بين خصائص القيادة الجامعية العراقية وإدارة الأزمات دراسة ميدانية لعينة من بعض الجامعات في المنطقة الشمالية ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، (جامعة الموصل ، كلية الإدارة والاقتصاد ، ٢٠٠٤م) ، ص٦٨ .

أولا : تعريـــف الأزمـــة:

حملت الأزمة معاني عديدة دلت بمجملها على الشدة والضيق ومن معانيها ما يأتي :

١ - الأزمة لغة : فهي من أزم يأزم أزما وأزوما فهو آزم [١] ، وقيل أزم على القوم العام والدهر أزما وأزوما إذا اشتد قحطه وقل خيره [٢] .

وسنة أزمة (بالفتح) أي شديدة [٣] .

وتأزم القوم أصابتهم أزمة وتألموا لأزمة الزمان [٤] .

وآزم (بالمد) هو الضيق وتداني الشيء من الشيء بشدة والتفاف [٥] .

وآزم عند ابن منظور هو الجدب والمحل [٦] .

وأوآزم أي السنون الشدائد [٧] ، قيل إذا أزمت اوآزم كل عام [٨] ، وأزيم هي السنة المجدبة [٩]، وأزام الملازم للشيء [١٠] ، قال الأصمعي [*]:

---

(١) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ،(مصر، دار الجيل ، ١٩٥٢م) : ٤ / ٧٥ ، مادة أزم .

(٢) أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور ، لسان العرب المحيط ،(بيروت ، دار صادر، د.ت) : ١٢/ ١٦، مادة أزم ؛ محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ،(بيروت، دار مكتبة الحياة، د.ت): ١٨ / ١٨٥ .

(٣) الفيروزآبادي ، القاموس المحيط : ٤ / ٧٥ .

(٤) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، مختار الصحاح ، عني بترتيبه ، محمد خاطر ،(مصر ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٧٦ م) ، ص١٥ ، مادة أزم .

(٥) أبو الحسين احمد بن زكريا بن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ،(د.م ، دار الفكر ، ١٩٧٩م) : ١/ ٩٨ ، مادة أزم .

(٦) لسان العرب : ١٢ / ١٦ .

(٧) المصدر نفسه : ١٢ / ١٦ .

(٨) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة : ١/ ٩٧ .

(٩) الفروزآبادي ، القاموس المحيط : ٤ / ٧٥ .

(١٠) بطرس البستاني ، قطر المحيط ، (ط٢ ، بيروت ، مكتبة لبنان ، د.ت) : ١/ ٢٥ .

(*) الأصمعي هو عبد الملك بن علي الباهلي راوية العرب وأئمة العلم باللغة والشعر ولد وتوفي في البصرة (١٢٢-٢١٦ هـ/ ٧٤٠ -٨٣١م)، شمس الدين محمد بن احمد الذهبي ، سير إعلام النبلاء ، تحقيق :شعيب الارنؤوط وحسين الاسدي، (ط١١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م): ١/ ١٧٥.

أهـــان لهـــا الطعـــام فلـــم تضـــعه

غـــــداة الـــــروع إذا أزمـــــت أزام [1]

والأزمة الشدة والقحط [2] ، والسنة المجدبة شديدة الجدب والمحل [3] .

والسنة أزمة للشدة التي فيها [4] .

وجمع أزمة ازم وأزمات واوزام [5] .

وفي الحديث الموضوع (اشتدي أزمة تنفرجي) [6] ومعنى الحديث هو طلب الفرج يعني يا أزمة ابلغي النهاية في الشدة حتى تنفرجي وليس المراد به أمر الشدة [7] قال تعالى ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [8] .

فقد قيل إن الشدة إذا تتابعت انفرجت وإذا توالت تولت [9] ، وقد تدل الأزمة أو ما يشتق منها على معاني أخرى فترد الازم بمعنى الإمساك والامتناع والصمت وترك الأكل ، وان لا تدخل طعاما على طعام [10] ، فذكر عن عمر بن الخطاب (ﷺ) انه سأل الحارث بن كلدة (ما الدواء ؟) فقال : ألازم ويعني الحمية ، وكان الحارث بن كلدة طبيب العرب [11] .

---

(١) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة : ١/ ٩٧ .
(٢) الرازي ، مختار الصحاح ، ص١٥ .
(٣) ابن منظور ، لسان العرب : ١٢ / ١٦ ؛ الزبيدي ، تاج العروس : ٨ / ١٨٥ .
(٤) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة : ١/ ٩٨ .
(٥) محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين،(ط٣، بيروت، دار المعرفة،١٩٧١م): ١/ ٢٢٥.

(٦) محمد ناصر الدين الالباني، السلسلة الضعيفة والموضوعة،(الرياض،مكتبة المعارف،د.ت): ٥/ ٤١٢
(٧) المختار ، الأزمات الاقتصادية ، ص٣ .
(٨) سورة الانشراح ، اية : ٦ .
(٩) ابن منظور ، لسان العرب : ١٢ / ١٦ .
(١٠) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط : ٤/ ٧٥ .
(١١) الرازي ، مختار الصحاح ، ص١٥ .

كما ترد بمعنى الملازمة فيقال أزم الرجل على صاحبه أو بالمكان أي لزمه[1].

وفي معنى آخر دلت على القبض وشدة العض فالفرس يأزم على فأس اللجام[2] ، وأزم عليه ، إذا عض ولم يفتح فمه أي عض بالفم كله شديد وقيل بالأنياب التي تسمى (الاوازم) وهو إن يعضه ثم يكرر عليه ولا يرسله[3].

وتأتي للدلالة على الإحكام فالحبل أو الخيط وغيرهما أزمه أي ضفره واحكم فتله[4] .

كما تدل على الضيق فالمآزم هو العيش المضايق وكل طريق بين جبلين مأزم وموضع الحرب مأزم[5] .

يتضح مما سبق ان الأزمة وما اشتق منها من ألفاظ دلالات معنوية دلت على الشدة والضيق والإمساك والإحكام والانقباض وغيرها ، تلك الشدة التي يستعصى حلها إلا ببذل جهد وهي بكل هذه الدلالات وضع غير طبيعي مغاير لانسيابية الحياة وطبيعتها والتي أثرت في المقومات الأساسية لحياة الإنسان ولاسيما في الجانب المعاشي والمادي وهذا ما يهمنا من كل تلك الدلالات .

٢-الأزمة اصطلاحا :

تطور مفهوم الأزمة بتقادم الزمن واخذ بالاتساع فأصبح بمرور الوقت يعطي دلالات أكثر عمقا ، إلا إن اختلاف المسبب للازمة يجعل تعريفها يختلف من علم الى اخر فكل علم يعرف الأزمة بحسب وجهة نظره لها فتعريف السياسيين للازمة مثلا يختلف عما هو عند علماء الاجتماع أو الإداريين وغيرهم .

---

(١) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة : ١/ ٩٧ .

(٢) البستاني ، قطر المحيط : ١/ ٢٥ .

(٣) الزبيدي ، تاج العرس : ٨ / ١٨٥ .

(٤) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط : ٤/ ٧٥ .

(٥) الرازي ، مختار الصحاح ، ص١٥ .

على إن ذلك لا يعني عدم وجود تعريف عمومي للازمة فقد عرفت بأنها مجموعة الظروف والأحداث المفاجئة التي تنطوي على تهديد واضح للوضع الراهن المستقر في طبيعة الأشياء فهي بذلك النقطة الحرجة واللحظة الحاسمة التي يتحدد عندها مصير تطور ما [1] .

أو هي ظرف انتقالي يتسم بعدم التوازن ويمثل نقطة تحول تحدد في ضوؤها احداث المستقبل التي تؤدي إلى تغيير كبير [2] .

إن الأزمة وليدة الظرف والمحيط الذي تنشا منه فمن الصعوبة بمكان حصر الأزمة بتعريف شمولي واحد يتفق مع كل الظروف والأحوال التي تنشأ فيه لذا نجد ان تعريفها يتعرض للتغيير بمرور الزمن فيظهر بين كل حين تعريف جديد في حين قد يندثر أخر أو تتغير بعض مدلولاته تبعا لتطور العصور وتغير العوامل المؤثرة في نشوء الأزمة .

٣- الأزمـــة في الإســـلام :

نلمس اثار الأزمة في القران الكريم من خلال ما يقدمه ويصوره من أخبار الأقوام السابقة التي يبعثها الله سبحانه وتعالى على الناس بإشكال مختلفة ومسميات أخرى لكنها تمثل أزمة في المفهوم العام ، والعبرة من ذلك كله يكون إما ليعذبهم على كفرهم وتكذيبهم للرسل مثل قوم نوح الذين اغرقوا بالطوفان وقوم عاد الذين أرسل عليهم الريح القوية فدمرتهم ، أو كغيرهم من الأقوام التي عذبت بإشكال مختلفة من الكوارث الطبيعية وغيرها .

أو يبعثها الله من قبيل الامتحان والاختبار لصبر المؤمنين ومقدار ثباتهم على دينهم قال تعالى. ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [3]

---

(١) البلداوي ، إدارة الأزمات ، ص٤ .

(٢) النداوي ، العلاقة بين خصائص القيادة الجامعية ، ص٦٩ .

(٣) سورة البقرة ، أية : ٢١٤ .

وهناك من القصص التي يذكرها القران الكريم والتي ترد من قبيل العظة والاستفادة من الحِكَم التي تنطوي عليها مثل قصة يوسف (عليه السلام) التي يذكر فيها سنوات القحط والجوع العجاف التي مرت على أمته وكيف استطاع يوسف بالهام من الله ان يعالج تلك الأزمة بحلول اقتصادية عظيمة التخطيط .

وقد أشار القران إلى الأزمات بعبارات مختلفة مثل الامتحان – البلاء – العبر – الاختبار – الشدة – وغيرها .

اما فقهاء الإسلام فقد أطلقوا على الأزمة تسمية الجائحة مع اختلاف بعض الفقهاء في مدى شمولية الجائحة للظواهر التي تصنف ضمن الأزمات .

وبدءاً تعرف الجائحة بأنها الآفة [1](*) التي تهلك الثمار والأموال وتستأصلهم وكل مصيبة عظيمة وفتنة مبيرة [2].

كما عرفوها أيضا على أنها كل ظاهرة مفسدة من مطر أو برد أو جراد أو ريح أو حريق.[3]

والجائحة عند فقهاء المالكية كل ما لا يستطاع دفعه من الآفات إن علم به سواء أكان بفعل الآدمي كالجيوش واللصوص أم بغير فعله كالبرد والحر والثلج والمطر والجراد ونحو ذلك وخالفهم الحنابلة في ذلك فعدوا الجائحة كل آفة لا صنع لأدمي فيها اما ما كان بفعل الآدمي فلا يعد جائحة ، وقال الشافعي فيما يشبه ذلك في ان كل ما اذهب الثمر أو بعضها من أمر سماوي بغير جناية آدمي يعتبر جائحة [4] .

---

(١) النداوي ، العلاقة بين خصائص القيادة الجامعية ، ص٧٥ .

(*) الآفة : العاهة العارض المفسد ،الفيروز آبادي ،القاموس المحيط : ٣ / ١٢٤ .

(٢) احمد الشرباصي ، المعجم الاقتصادي الإسلامي ، (بيروت ، دار الجيل ، ١٩٨١م) ، ص١٠٢ .

(٣) أبو داؤد سليمان السجستاني الازدي، سنن أبي داؤد،(القاهرة، دار الحديث، ١٩٨٨م): ٣ / ٢٧٥ .

(٤) نزيه حماد ، معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء ، (الولايات المتحدة الأمريكية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٩٩٣م) ، ص١١٤ .

ولم تتوقف عناية الإسلام وعلمائه عند حد تعريف الجائحة فحسب بل ظهر عندهم فقه النوازل وافردوا له في كتبهم أبواباً وفصولاً لتبيان ارائهم وفتاواهم فيه والأحكام المتصلة به ، كما ورد عن لسان رسول الله (ﷺ) انه قال : (إن بعت من أخيك تمرا فإصابتها جائحة فلا يحل لك ان تأخذ منه شيئا لم تأخذ مال أخيك بغير حق) ؟ [1] .

وعن يحيى بن سعيد انه قال : لا جائحة فيما أصيب دون ثلث رأس المال وذلك في سنة المسلمين [2] .

وكانت الزروع أكثر ما تتعرض للجوائح وعليه فقد كثر السؤال حول حكم الحالات التي تتعرض لها ، فالأرض التي يقوم صاحبها باكرائها (تأجيرها) لا يسقط عن المستأجر من ثمن أجارها شيء إذا ما تعرضت لجائحة من مطـر أو برد أو طير أو نحو ذلك ما عدا حالة القحط[3] .

وان قام احد الأشخاص ببيع زرعه أو فاكهته ويحدد للمشتري يوماً معلوماً لجني المحصول فيبطئ المشتري عن جنيه عند الموعد المحدد له فتصيبه جائحة ما فليس على البائع شيء وله كامل ثمن المحصول [4] .

هذا على سبيل المثال لا الحصر بعض من الفتاوى حول حالات الجوائح ومن ذلك يتبين لنا مدى ارتباط فقه النوازل بحياة الناس وأهميته في فض الخلافات التي قد تحصل بين الناس في حالات الجوائح والآفات[5] .

---

(١) ابو داؤد ، سنن أبي داؤد : ٣ / ٢٧٤ .
(٢) المصدر نفسه : ٣ / ٢٧٥ .
(٣) الونشريسي ، المعيار المعرب : ٥ / ٢٣٧ .
(٤) المصدر نفسه : ٥/ ٢٥٨ .
(٥) للمزيد ينظر: تقي الدين احمد ابن تيمية الحراني ، مجموع الفتاوى ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، (بيروت، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٠) ، مج ١٧ :٣٠ / ١١٠ .

٤- الأزمـــة - مسميات مرادفـــة:

ذكرنا فيما سبق أن مصطلح الأزمة لغة أعطت معنى الشدة والضيق ، وبمعنى أدق هي تعبير عن السنة الجدبة التي يحل فيها القحط والمُحل ، إلا أنها ليست اللفظ الوحيد الذي استخدم للدلالة على هذا الحال فهناك ألفاظ مرادفة لها أطلقت على سنة الجدب و القحط نورد عدداً منها على سبيل المثال :

١ -ئحوُط : تطلق لأنها تحيط بالأخضر واليابس فتأتي عليهما[١].

٢ -الجَليفة : هي السنة الجدبة وسميت بذلك لأنها تجلف كل خير أي تقشره وتجرفه[٢].

٣ -الحطمة والحاطوم : وهما أسمان للسنة الجدبة الشديدة ، والحاطوم يطلق على الجدب الذي يتتابع لعدة أعوام[٣].

٤ -حمراء : السنة التي لا ينزل فيها المطر ولا تخضر الأرض فهي حمراء بانعدام الخضرة وبجفافه وسميت بذلك لما يجول في الفضاء من غبار وقتام نتيجة للحر والجفاف[٤].

٥ -سَنَةٌ : كناية عن الجدب والمُحل والقحط الذي يجتاح أموال الناس ومواشيهم حتى لا يبقى منها شيء يقال أسنت القوم إذا أجدبوا والجمع سنين وسني[٥]، قال تعالى في كتابه العزيز ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[٦].

---

(١) يحيى عبد الرؤوف جبر ، معجم ألفاظ الجغرافية الطبيعية ،(عمان ، دار عمار ، ١٩٨٧م) ، ص ٤٧ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٤ .

(٣) ابن منظور ، لسان العرب : ١٢ / ١٣٨ ، مادة حطم .

(٤) الرازي ، مختار الصحاح ، ص ١٥٤ ؛ جبر ، معجم ألفاظ الجغرافية الطبيعية ، ص ٤٦ .

(٥) الفيروز أبادي، القاموس المحيط: ٤/ ٣٤٧، مادة سنة؛ الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص ٢٢٩.

(٦) سورة الأعراف ، اية : ١٣٠ .

٦ -شهباء : نعت للسنة التي يشتد فيها الجدب ، ويطول احتباس المطر فهي بيضاء من الجدب فلا يرى فيها خضرة وقيل التي ليس فيها مطر أو هي شهباء لكثرة الثلج وعدم النبات .

قال زهير بن أبي سلمى(*) :

إذا السنة الشهباء ، بالناس أجحفت(*) ونال كرام المال في الجحرة الأكلُ(١)

٧ -غُبرا : يقال الجوع الأغبر لأن الجوع يكون دائما في السنين الجدبة وسنو الجدب تسمى غبرا لاغبرار آفاقها من قلة الأمطار وانعدام النبات والخضرة فيقال الأرض الغبراء(٢).

٨ -اللأواءُ: الشدة والقحط وضيق العيش يقال ألأى القوم : وقعوا في لأواء أي في شدة وضيق(٣).

٩ -لاحسة : السنة شديدة الجدب فكأنها تلحس نبات الأرض وماءها(٤).

١٠ - اللزبة : الشدة واللزوب القحط وسنة لزبة شديدة يقال أصابتهم لزبة : يعني شدة وقحط(٥).

١١ -مقرشة : هي سنة المحل الشديد وسميت بذلك لأنها تجمع الناس وتلجيء بعضهم إلى بعض وهو التقرش ومنه سميت قريش و في بعض الأقوال لاشتغالهم بالتجارة وجمع المال(٦).

(*) زهير بن ابي سلمى ربيعة المزني شاعر أهل الجاهلية ولد ببلاد مزينة بنواحي المدينة وتوفي(١٣ قبل الهجرة/ ٦٠٩م) ، أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، تحقيق: عبد علي مهنا ،(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م) :١٠ / ٣٣٦ .

(*) اجحفت : أضرت بهم وأهلكت أموالهم

(١) ابن منظور ، لسان العرب : ١ / ٥٠٨ ، مادة شهب .

(٢) المصدر نفسه :٥ / ٤، مادة غبر ؛ الشرباصي ، المعجم الاقتصادي ، ص ٣١٥ .

(٣) الشرباصي ، المرجع نفسه ، ص ٣٩٥ .

(٤) جبر ، معجم الفاظ الجغرافية الطبيعية ، ص ١٥٠ .

(٥) ابن منظور ، لسان العرب : ٧٣٨/١ ، مادة لزب .

(٦) المصدر نفسه : ٦ / ٣٣٤ ، مادة قرش ؛ جبر ، معجم الفاظ الجغرافية الطبيعية ، ص ١٣٩ .

١٢ -الهمود : هو أن يشتد القحط والجدب بالأرض فتبدو شاحبة مكفهرة والأرض الهامدة أي الجافة لا نبات فيها إلا اليابس المتحطم فقد أهمدها القحط[1]، وهي من المعاني القرآنية قال تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾[2] .

ثانيا : تعريف الاقتصاد :

يواجه الباحث صعوبة في محاولة منه للوصول إلى تعريف موحد شامل للاقتصاد نظرا لكثرتها وحالة التغير المستمر الذي يطرأ على مفهوم الاقتصاد وتبعا لتطور وتغير المجتمعات والدول واقتصادياتها .

١- الاقتصاد لغة: متأتي من قَصَدَ أي الاستقامة والاعتدال في السلوك قال تعالى في محكم كتابه ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾[3] .

وقصد بين الإسراف والتقتير يقال فلان مقتصد في النفقة [4] ، وجاء في الأثر (ما عال من اقتصد) أي اعتدل في إنفاقه[5] .

٢- اما الاقتصاد اصطلاحا : فقد انصرفت دلالته الاصطلاحية الى تدبير معاش الأسرة بالموارد المتاحة فعرف بالاقتصاد المنزلي ثم توسعت تلك الدلالة لتشمل تدبير شؤون المجتمع المعاشية بقوامة الدولة وبإدارتها [6] .

وبذلك يمكن القول انه يشمل أيضا تدبير شؤون المال إما بتكثيره وتأمين إيجاده ويبحث علم الاقتصاد فيه وبكيفية توزيعه وهو من اختصاص النظام الاقتصادي [7] .

---

(١) أبن منظور ، لسان العرب : ٣ / ٤٣٦ ، مادة همد .

(٢) سورة الحج ، اية : ٥ .

(٣) سورة لقمان ، اية : ١٩ .

(٤) الرازي ، مختار الصحاح ، ص٥٣٦ ، مادة قصد .

(٥) عبد الجبار السبهاني ، الاقتصاد الإسلامي ، ص١ ، بحث منشور ضمن الموقع الالكتروني http://faculty . yuedu. Jl/Sabhany

(٦) المرجع نفسه ، ص١ .

(٧) عطاء بن خليل أبو الرشتة ، الأزمات الاقتصادية واقعها ومعالجتها من وجهة نظر الإسلام ، ص١ ، بحث منشور ضمن الموقع الالكتروني www.alsaha.com

على أن ما ذكر من توصيف للاقتصاد قد لا ينطبق بدقة على ما بات يشمله فيما بعد فقد تطور بتطور الحياة وأصبح الاقتصاد علماً قائماً بذاته فعرف بأنه العلم الذي يدرس عملية الإنتاج والتوزيع في علاقتهما مع الحياة الاجتماعية مع الأخذ بنظر الاعتبار الظروف التاريخية للفترة الزمنية [1] .

أما الاقتصاد الإسلامي فلم يبتعد عن هذا المفهوم مع مراعاة مسألة هي أن للإسلام ضوابط وأحكاماً خاصة يجب الالتزام بها وفقا للشريعة الإسلامية وما ورد في القران الكريم والسنة العطرة فالاقتصاد الإسلامي يعني بدراسة النشاط الاقتصادي من استهلاك وانتاج وتوزيع وتبادل وما ينشأ عن هذا النشاط من ظواهر وعلاقات في ضوء أحكام المذهب الاقتصادي في الإسلام [2] .

ثالثا : الأزمـــة الاقتصاديــة :

بعد ذكرنا مدلولات الأزمة سواء اللغوي منها أم الاصطلاحي وكذا الحال للاقتصاد ، أصبح من اليسير علينا تكوين فكرة أولية عما تعنيه الأزمة الاقتصادية .

فهي الاضطراب الشديد في تدبير أمور الدولة المالية الذي يحتاج الى بذل جهد وتسخير طاقات لإزالته وإعادة الوضع إلى الاستقامة والاعتدال وليس المقصود بالأزمة الاقتصادية ذلك الخلل البسيط في الأمور المالية الذي يمكن معالجته بالوسائل العادية وبأيسر الطرق [3] .

وبتعريف آخر هي الاضطراب الذي يطرأ على التوازن الاقتصادي الذي ينشأ في العادة عن اختلال التوازن بين الإنتاج والاستهلاك [4] .

وثمة أمر ارتبط مع الأزمة الاقتصادية ، ألا وهو إدارة الأزمة وكيفية معالجتها ، فهو من مظاهر التعامل الإنساني مع المواقف الطارئة والحرجة التي واجهها الإنسان بعد ان جوبه بتحدي الطبيعة أو غيره من البشر وكانت تعرف

---

(١) طارق العزاوي ، الفكر والتاريخ الاقتصادي ،(ط٢ ، بغداد ، مطبعة الأزهر ، ١٩٧٥م)، ص٧ .
(٢) السبهاني ، الاقتصاد الإسلامي ، ص٢ .
(٣) أبو الرشتة ، الأزمات الاقتصادية ، ص٢ .
(٤) الدهان ، إدارة الأزمات في المنظمات ، ص٧٠ .

بأسماء أخر مثل براعة القيادة ، وحسن الإدارة ، وكانت هذه الممارسات هي المحك الحقيقي لقدرة الإنسان على مواجهة الأزمات والتعامل مع المواقف الصعبة [١] .

بعد كل ما تقدم علينا أن ننوه إلى مسألة جوهرية ذلك أننا لن نتناول الأزمات الاقتصادية التي مرت على الأندلس على وفق المفهوم الحديث للازمة الاقتصادية بل هو اقرب ما يكون الى التعريف الذي يصف الأزمة الاقتصادية على إنها ((كل خلل يحدث في موارد الدولة بسبب عوامل طبيعية أو بشرية وينعكس أثره على الدولة والفرد)) [٢] .

فالاختلاف بين تعريف الأزمة بشكلها المعاصر عما هو عليه في الأحداث التاريخية يكمن في أن المفهوم الحديث لها يطلق على حالة زيادة المعروض على المطلوب من السلع فيؤدي إلى حالة تعرف بفائض الإنتاج بينما في المفهوم التاريخي لها أو فيما يتضمنه البحث هو ندرة الموارد المعاشية للناس [٣] ، بسبب ظرف مما أدى إلى حدوث ذلك النقص فنتجت عنه بطبيعة الحال موجه من المجاعة والعوز الشديد بين السكان ولاسيما الفقراء منهم بل وهناك من الحوادث التي عانى منها الغني كمعاناة الفقير لشحة المواد الغذائية ، وهي بأغلب حالاتها إن لم تكن جلها خارجة عن قدرة الإنسان على درئها ومنع حصولها سواء أكانت طبيعية أم بشرية .

رابعا : الجغرافية الاقتصادية للأندلس :

تمتعت الأندلس بجغرافية متنوعة فقد حباها الله تعالى بأنواع مختلفة من الخيرات سواء من محاصيل زراعية أم معادن أم من خلال الموقع الجغرافي المطل على المحيط الاطلسي و البحر المتوسط مركز التجارة بين الدول الكبرى آنذاك .

ويذكر الاصطخري (ت ٣٤٨هـ/ ٩٥٢م) أن الأندلس تشرف بحدين من حدودها الأربعة على البر وبحديها الآخرين تطل على البحر [٤] ، وقد خَصت

(١) البلداوي ، إدارة الأزمات ، ص٥ .

(٢) المختار ، الأزمات الاقتصادية ، ص١٢ .

(٣) المختار ، الأزمات الاقتصادية ، ص١٢ .

(٤) ابو اسحاق ابراهيم بن محمد ، المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسيني ، (القاهرة ، دار القلم ، ١٩٦١م) ، ص٣٥ .

الأندلس بلذاذة الأقوات ودرور الفواكه وكثرة المياه وصحة الهواء وغيرها من الصفات التي حرمت منها الكثير من الأقطار [1].

ويذكر المقري نقلا عن الرازي (الذي عاش في القرن ٤ هـ/ ١٠ م) في تقديمه وصفاً للأندلس إنها ((بلد كريم البقعة طيب التربة خصب الجنان منبجس الأنهار الغزار والعيون العذاب معتدل الهواء والجو والنسيم ربيعه وخريفه ومشتاه ومصيفه على قدر من الاعتدال لا يتولد في احدها فصل يتولد منه فيما يتلوه انتقاص))[2].

أما فاكهته وزرعه فان اختلاف موسم نضوجه في البلاد بين منطقة وأخرى ساعد على توفره طيلة السنة فقد ((تتصل فواكهه أكثر الأزمنة وتدوم متلاحقة غير مفقود إما الساحل منه ونواحيه فيبادر بباكورة ، وإما الثغر وجهاته والجبال المخصوصة ببرد الهواء فيتأخر بالكثير من ثمرة فمادة الخيرات بالبلد متمادية في كل الأحيان وفواكهه على الجملة غير معدومة في كل آن)) [3] .

وهي بذلك من ابرك بقاع الأرض فلا يكاد المرء يسير فيها قدر فرسخين[*] دون أن يجد مصدر ماء ولا يمشي ثلاثة فراسخ إلا وجد فيها الخبز والزيت في الحوانيت على طول سفره [4].

فهي كما وصفها البكري قائلا ((شامية في طيبها وهوائها ، يمانية في اعتدالها واستوائها، هندية في عطرها وذكائها ، اهوازية في عظيم جبايتها ، صينية في جواهر معادنها ، عدنية في منافع سواحلها)) [5] .

---

(١) المقري ، نفح الطيب : ١ / ١١٧ – ١١٨ .

(٢) المصدر نفسه : ١ / ١٢٠ .

(٣) المصدر نفسه : ١ / ١٢٠ .

(*) الفرسخ يساوي ٣ أميال والميل يعادل ٢ كم وعليه إن الفرسخ يساوي ٦ كم ، فالتر هنتس ، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمة :كامل العسلي ،(عمان ، الجامعة الأردنية ، ١٩٧٠م)، ص ٩٤

(٤) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري ، كتاب الجغرافية ، تحقيق : محمد حاج صادق ، (دمشق ، المعهد الفرنسي، ١٩٧٠م) ، ص٢٢٧ .

(٥) جغرافية الأندلس وأوربا ، ص٧٠ .

وبذلك حق للشاعر الأندلسي ابن خفاجة (*) أن يتغنى ببلاده فيقول :

يـــا أهـــل الأنـــدلس! لله دركـــم — مـــاء وظـــل وانهـــار وأشـــجار
مـــا جنـــة الخلـــد إلا في ديـــاركم — ولـــو تخـــيرت هـــذا كنـــت اختـــار
لا تخشـوا ، بعـد ذا ، أن تـدخلوا سقرا — فلـيس تـدخل ، بعـد الجنـة النـار [1]

على أن هذا الوصف الجميل الرائع لخيرات الأندلس وطبيعتها ومنافعها لا ينفي أن يكـون في الأندلس مدن ومناطق ذمت من المؤرخين لسوء مناخها أو وعورة أرضهـا، فمـدينة المرية(*) (Almeria) وصفت عند لسان الدين ابن الخطيب بأن ((مغارمها ثقيلة ... وسماؤها بخيلة ، وبروقها لا تصدق منه مخيلة ، ... وسعرها من الأسعار غير الوطية)) [2] .

فالمدينة تقع في منطقة جرداء وأكثر منابتها شيح ومهامه فيح [3] ، قال ابن الحداد(*) عنها

بـــئس المريـــــة اليـــوم داراً — لـــيس فيهـــا لســـاكن مـــا يحـــب
بلـــدة لا تمـــار إلا بـــريح — ربمـــا قـــد تهـــب أولا تهـــب [4]

(*) ابن خفاجة : هو أبو إسحاق إبراهيم الأندلسي الشاعر ولد بشقر(JUCAR) من أعمال بلنسية (VALENCIA) سنة ٤٥٠ هـ/ ١٠٥٨م وتوفي بها سنة ٥٣٣ هـ / ١١٣٨م ، أبو العباس شمس الدين احمد بن خلكان، وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس ، (بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٨م): ١ / ٥٦ – ٥٧ .

(١) ديوان ابن خفاجة ، تحقيق: سيد غازي،(ط٢، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٧٩م) ، ص٣٦٤ .

(*) المرية مدينة محدثة احدثها العرب المسلمون تقع على ساحل البحر وهي مرسى الاندلس وبها دارا لصناعة المراكب لها قصبة حصينة وسور منيع وهي كثيرة الخيرات والبساتين ، الزهري ، كتاب الجغرافية ، ص ٢٠٦ ؛ مجهول، ذكر بلاد الاندلس ، ص ٧٧ .

(٢) ابو عبد الله محمد السلماني ، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ، تحقيق : محمد كمال شبانة ،(المغرب ، مطبعة فضالة المحمدية ، ١٩٧٧م) ، ص١٠٣ .

(٣) مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، (ط٤، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩م) ، ص١٤٣ .

(*) ابن حداد : محمد بن احمد بن عثمان القيسي الأندلسي ، له ديوان كبير ومؤلف في العروض أصله من وادي أش(Guadax) وسكن المرية وتوفي فيها عام ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧ م ، صلاح الدين بن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: ديدرينغ،(استانبول، مطبعة وزارة المعارف، ١٩٤٩م): ٢/ ٨٦ .

(٤) الشكعة ، الأدب الأندلسي ، ص١٤٣ .

ووصفت مدينة مالقة[*] (Malaga) بأن ((طعامها لا يقبل الاختزان ولا يحفظ الوزان وفقيرها لا يفارق الأحزان وجوعها ينفي به هجوعها)) [1] .

أما مدينة ارشذونة[*] (Archidona) فقد تباين وصفها عند الحميري وابن الخطيب فالأول يقول عنها ((أن فيها عيونا غزيرة وانهارا كبيرة سهلها واسع وجبلها مانع)) [2] .

أما ابن الخطيب فيقول أنها ((شر دار ... وعورة ساكنها – لعدم الماء – مستأسر ... وقومها ذو بطر واشر ... طعام من يقوت منهم أو يعول التيوس والوعول ، وحرثها مغل وخلقها حسد وغل)) [3] .

ولسنا هنا بصدد تقديم وصف دقيق وشامل لكل مدينة من مدن الأندلس فذاك أمر يطول الحديث فيه وحسبنا أن قدمنا لمحة بسيطة عما قيل عن بعض مدن الأندلس ، فالجزيرة ذات تضاريس متعددة الأفاق متباينة مما شكل جغرافية قليلة التناسق نوعا ما فاختلفت الحياة فيها من إقليم إلى أخر فتكون سهلة بسيطة في مكان ما وفي آخر صعبة قاسية [4] .

فيختلف مثلا سقوط امطارها بحسب هبوب رياحها بين شرقها وغربها فالجزء الشرقي منها يمطر بالريح الشرقية ويصلح عليه، والجزء الغربي يمطر بالريح الغربية وبها صلاحه فإذا ما أمطرت الأندلس الغربية أقحطت الأندلس الشرقية

(*) مالقة مدينة حصينة تقع جنوب الاندلس على ساحل البحر وهي من مدن كورة رية اشتهرت بصناعة الفخار وانتاج التين ، شهاب الدين ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٥٧م) :١١٦/٣ ؛ مجهول، ذكر بلاد الاندلس ، ص ٦٨ .

(١) ابن الخطيب ، معيار الاختيار ، ص٩١ .

(*) ارشذونة مدينة اندلسية تقع بالقرب من مدينة مالقة وهي قاعدة كورة رية ومنزل الولاة والعمال ولها مدن كثيرة واثار قديمة، محمد بن أيوب بن غالب الأندلسي، فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس ، تحقيق : لطفي عبد البديع ،(القاهرة ، معهد المخطوطات العربية ، ١٩٥٦م) ، ص٢٩٢ ؛ الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٢ .

(٣) معيار الاختيار ، ص٦٦ ؛ ينظر: حتاملة ، موسوعة الديار : ٢٧/١ .

(٤) مرتضى عبد الرزاق مجيد محمد ، تاريخ مدينة رندة في الأندلس من سنة ٩٢ – ٨٩٠ هـ/ ٧١١ – ١٤٨٥ م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة الموصل ، كلية التربية ، ٢٠٠٨م) ، ص٢٣ .

ومتى ما استحكمت الريح الشرقية كثر مطر الجزء الشرقي وقحط الجزء الغربي منها [1] .

ويلاحظ تنوع الخصائص الجغرافية للاندلس من تباين سطح الارض وتعدد الاقاليم المناخية والغطاء النباتي حيث تسود البلاد ثلاثة انماط مناخية ففي الشمال الغربي مناخ محيطي حيث ينهمر المطر بغزارة على مدار السنة وينتج عنه نشوء مراع غنية ويسود في الوسط مناخ قاري شبه جاف تغطيه اعشاب قليلة ويعتدل المناخ في الجنوب الشرقي صيفا وهو ادنى الى الجفاف في الشرق وبوجه عام تعيش معظم البلاد فب ظل المطر ، ادت هذه الانماط المناخية الى تنوع الحياة الزراعية من اقاليم تعتمد كليا على الامطار الى تفاوت من مكان لاخر الى مناطق تعتمد على مياه الانهار التي تفيض احيانا وتجف احيانا اخرى [2] .

بينما يصف حسين مؤنس الأندلس بانها إقليم جاف بصفة عامة لا تكثر أمطاره إلا في نصفه الشمالي لذا نجد أن النصف الأغنى هو الشمالي منها أي إلى الشمال من وادي تاجة (Guadatajo) الذي تقع عليه مدينة طليطلة[*] (Toledo) ، فنلاحظ أن القسم الذي ساده العرب كان أوسع مساحة ، في حين ان القسم الذي ساده النصارى اصغر حجما لكنه أكثر ثروة وأيسر مال وأقوى خيل [3] .

بعد كل ما تقدم أصبح من الواضح أن جزيرة الأندلس كباقي البقاع تحوي مناطق خصبة غنية وأخرى قاحلة جافة ، كما تمتعت فترات برخاء العيش وشهدت في أخرى حالات من الجفاف والقحط استمرت سنوات عديدة في بعضها وفي حالات لم يكن لها آثار سلبية كبيرة التأثير فضلاً عن أن سياسية الدولة كان لها دور في تجاوز الظروف الاستثنائية والحد من تماديها من خلال الموازنة بين واردات المناطق المتباينة الخاضعة لها .

---

(١) المقري ، نفح الطيب : ١/ ١٢٢.

(٢) محمد سهيل طقوش ، تاريخ المسلمين في الأندلس ،(بيروت ، دار النفائس ، ٢٠٠٥م) ، ص ١٦ .

(*) طليطلة من اهم واكبر مدن الاندلس واقدمها بناءا تقع وسط بلاد الاندلس كانت دار ملك القوطيين قبل دخول العرب المسلمين ، لها قصبة منيعة واسوار حسنة يمر عبرها نهر تاجة وعليه قنطرة عظيمة، الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص ١٣٠ ؛ مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، ص ٤٧ .

(٣) معالم تاريخ المغرب والأندلس ، (القاهرة ،دار مطابع المستقبل ، ١٩٨٠م) ، ص٢٣٠ .

الفصل الأول

العوامـــل الطبيعيـــة للازمات الاقتصادية

العوامل الطبيعية للأزمات الاقتصادية

أولا : العوامل المناخية والبيئية :

١-الجفاف وانحباس الأمطار :

ذكرنا سابقا في سياق حديثنا عن جغرافية الأندلس كيف أن الأمطار تتباين في سقوطها بين مناطق شبه الجزيرة الأيبيرية و تتعرض لحالات من الجفاف وانحباس الأمطار الذي يكون عاما وشاملا للمناطق جميعها من جهة ومن جهة أخرى يكون مقتصرا على بعض المناطق دون غيرها .

وقد أطلق على تلك الحالات تسميات مثل القحط أو الجدب أو المحل ، وهي بكل تلك المسميات تدل على عدم نزول المطر أو نزوله بقدر لا يكون كافيا لنمو الزرع فيجف الأخضر وتهلك الماشية لقلة العشب[١].

تعرضت بلاد الأندلس كغيرها من البلدان لحالات من الجفاف وانعدام سقوط الأمطار والتي تؤثر بشكل خاص في الثروة الزراعية في البلاد ، إذ أن اعتماد الزرع في الغالب على مياه الأمطار ولا يخفى على أحد أهمية الزراعة والفلاحة على حياة الإنسان والحيوان معا ، فهي ((العمران ومنها العيش كله والصلاح جله)) [٢]، وبدونها ينتشر الموت والهلاك[٣]،لذا نجد أن غالبية سكان الأندلس كانوا يتركزون في المناطق الصالحة للزراعة بوصفها أهم حرف أهل البلد [٤].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب: ١/ ٢٥٤؛ جبر، معجم ألفاظ الجغرافية الطبيعية، ص ١٣٧، ١٥٤.

(٢) ابن عبدون ، رسالة في القضاء والحسبة ، ص ٥ .

(٣) حازم غانم حسين، دور العلماء السياسي والاجتماعي في الأندلس في عهدي الطوائف والمرابطين أطروحة دكتوراه غير منشورة،(جامعة الموصل، كلية الآداب،١٩٩٥م)،ص ١٦٩

(٤) Levi provencal , Histore del espane muslmane , (parhs , 1967) , p . 166 .

فعند توالي القحط والجفاف تنتشر المجاعة بين العامة وترتفع الأسعار وكثيرا ما يستوي في المعاناة الفقير والغني لقلة المواد الغذائية المتوافرة في تلك السنة.

حتى أصبح نزول المطر بعد انحباسه مناسبة لنظم الشعر والنثر ، ففي ذلك يقول لسان الدين بن الخطيب :

قحطنا ثم صاب الغيث رحمى فشكرا يا حمامُ إذا غططنا

ويا غيث الرضا ، عنا انسكابا فأنت على الخبير به سقطنا[1]

ويقول أبو القاسم محمد بن الجد[*] ((وانسكبت غمائم الرزايا بنفحات العطايا وصدع ليل اليأس صبح الرجاء . . . لما ساءت بتثبيط الغيث الظنون))[2].

أما الشاعر الرفاء الرصافي[*] فاستوقفه منظر النهر الذي توالى عليه المحل حتى جف ماءه فقال عنه :

فتوالت الأمحال تنقصه حتى غدا كذؤابة النجم[3].

وإذا ما تتبعنا حالات القحط والجفاف التي مرت على الأندلس نجد أن بعضا منها كان لها التأثير الكبير المباشر في حياة الناس وفي بعضها الأخر ترد في سياق الكلام من دون ذكر لتفاصيله وأثاره في المجتمع .

---

(١) الإحاطة : ٤ / ٤٥٣ .

(*) هو أبو القاسم محمد بن عبد الله الفهري ، من أهل لبلة (Niebla) سكن أشبيلية (Seville) وكان متبحر في الحديث والفقه متقدم في الأدب وعلم النسب كان يفتي ببلدتة لبلة (ت٥١٥ هـ/ ١١٢١م)، العماد الأصبهاني ، خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق : محمد المرزوقي ومحمد المطوي ، (تونس، الدار التونسية ،١٩٦٦م) : ٣ / ٣٩٣ .

(٢) ابن بسام ، الذخيرة: ق ٢ مج ١ / ٢٨٩ .

(*) هو ابو عبد الله محمد بن غالب الرفاء الرصافي شاعر عصره من رصافة بلنسية اقام مدة في غرناطة (Granada) ثم سكن مالقة وتوفي بها عام (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م) له ديوان شعر ، ابو عبد الله محمد المعروف بأبن الآبار ، المقتضب من كتاب تحفة القادم ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ،(ط٢ ، القاهرة ، دار الكتاب المصري ، ١٩٨٩م)، ص ١٠٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١١٠ .

فأول حالة قحط أصيبت بها الأندلس بعد الفتح الإسلامي كانت في عام (١٣١ هـ / ٧٤٨ م) ، فيذكر ابن عذاري أن ((في سنة ١٣١ أمحلت الأندلس وعم المحل وتمادى إلى سنة ١٣٦ وذلك سنة محل وسنة غيث واتصل المحل الشديد سنة أو اثنتين))[١] ، فقد أجدبت السهول والوديان وأمحلت الزراعة وفتك الجوع بالمدن والقرى خلال هذه السنوات[٢].

فكانت الأعوام الستة تمطر في بعض الاحيان وينزل المطر فيخص بعض المواقع خاصة في سنة (١٣٢هـ/ ٧٤٩م) إلا أنها لم تكن كافية لإزالة أثار الجفاف الذي سبقها لذا عاد القحط من جديد فكان العام السابع عاما تمادى قحطه فلم يمطر[٣] ، ليدفع الناس إلى ترك مناطقهم والرحيل إلى مناطق أكثر خصوبة ، وسميت هذهالسنة بسنة برباط (Barbate) [*][٤]، والظاهر لم ينج من هذا القحط الشديد إلا مناطق محددة كانت مدينة سرقسطة (Saragoza) أهمها فاصبحت ملجأ للفارين من الجوع والهلاك[٥].

وبعد دخول عبد الرحمن بن معاوية (١٣٨-١٧٢هـ/ ٧٥٦-٧٨٨م) الى الاندلس وتاسيسه الامارة الاموية ، ينفرد صاحب كتاب ذكر بلاد الاندلس بذكر وقوع المحل في البلاد في سنوات (١٣٩هـ /٧٥٦م) وسنة (١٤٧هـ

---

(١) البيان المغرب : ٢ / ٣٨ .

(٢) عنان ، دولة الإسلام (عصر الامارة) ، ص ١٣٠ .

(٣) ابو محمد عبد الله الرشاطي ، اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في انساب الصحابة ورواة الآثار ، تحقيق : محمد سالم هاشم ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٩م) ، ص ٥٥ ؛ أبن الشباط ، وصف الأندلس وصقلية قطعة من كتاب صلة السمط وسمة المرط ، تحقيق : أحمد مختار العبادي ، (مدريد ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، ١٩٧١م) ، ص ١٣٦ .

(*) برباط : وادي بكورة شذونة (Sidonia) لجأ إليه الناس خلال تلك السنوات ومنهم من هاجر عبره إلى طنجة وزويلة وريف البحر في المغرب هربا من تلك الأزمة ، الحموي ، معجم البلدان : ٢ / ١٣٦ ؛ حتاملة ، موسوعة الديار : ١ / ٣٠ .

(٤) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢ / ٣٨ .

(٥) مؤنس ، فجر الأندلس، ص ٢٠٥ .

/ ٧٦٤م) وسـنة (١٦١هـ / ٧٧٧م)[١] ، دون ان يقدم تفاصيل واكتفى باشارة مقتضبة عنها مما يجعلنا نرجح اما انها لم تكن شديدة التاثير او ان الامير عبد الرحمن الداخل نجح بتلافي اضرارها .

وفي سنة (١٩٧هـ/ ٨١٢م) وعلى عهد الأمير الحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦هـ/ ٧٩٦-٨٢١م) أصاب المنطقة الشمالية من البلاد قحط شديد عانى المسلمون في تلك الأنحاء كثيرا ومات منهم خلق عظيم ، حتى أضطر قسم منهم إلى عبور البحر إلى المغرب [٢] ، ويبدو ان السبب وراء عبورهم نحو المغرب هو بقاءه مخصب وتفاقم الشدة في الاندلس على هذا النحو سببه دوام القحط طوال موسم الزراعة او اكثر من موسم مما اضر بالزرع ومن المرجح ان حدوث القحط انما وقع في السنة السابقة او في السنتين السابقتين بمعنى انه بداء في سنة (١٩٥هـ/ ٨١٠ م) او (١٩٦ هـ/ ٨١١ م) حتى بدى تاثيره السيء واضحا على الناس بهذا النحو .

وتكرر الحال في عام (٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م) على عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦ -٢٣٨ هـ/ ٧٩٦-٨٥٢م) فعانت البلاد الكثير من الموت والجوع لانعدام سقوط المطر مما دفع القاضي أبو النجيع[*] القيام بصلاة استسقاء والدعاء لله إلى أن أغيثوا بالمطر[٣].

وعم القحط في عام (٢٣٢ هـ / ٨٤٦ م) الأندلس جميعها وأثر بشكل كبير في المواشي والزروع فاحترق الزرع لقلة الأمطار وهلكت المواشي وارتفعت الأسعار حتى أضطر الحال بالأندلسيين إلى جلب الميرة والطعام من العدوة المغربية للتخفيف من حدة الأزمة وقسوتها [٤].

---

(١) مجهول ، ص ١١٤ - ١١٥ .

(٢) المقري ، نفح الطيب : ١ / ٢٦٨ ؛ عنان ، دولة الإسلام (عصر الإمارة) ، ص ٢٣٩ .

(*) هو أبو النجيع مسرور محمد تولى القضاء في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني سنة (٢٠٧ هـ/ ٧٩٧م) فاحسن السيرة توفي سنة (٢٣٨هـ/ ٨٥٣ م) ، ابن سعيد ، المغرب : ١ / ١٤٦ - ١٤٧ .

(٣) ابن سعيد ، المصدر نفسه : ١ / ١٤٦ -١٤٧ ؛ ينظر : مصطفى ، الكوارث والظواهر الطبيعية ، ص ٣١٤-٣١٥ .

(٤) ابن حيان ، المقتبس، تحقيق : مكي، ص ١٤٣ ؛ ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٩٦ .

أما في عام (٢٣٦ هـ/ ٨٥٠ م) فلم يكن المحل شاملا جميع البلاد وإنما اقتصر على كورة تدمير (Todmir) شرق الأندلس وهذا ما يفهم من نص ابن حيان حين ذكر عدم تحصيل الدولة الجباية المستحقة من هذه الكورة في ذلك العام بسبب المحل(١).

وفي عام (٢٥٣هـ/ ٨٦٧ م) وعلى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني (٢٣٨ - ٢٧٢ هـ / ٨٥٢ - ٨٨٥ م) لم يقتصر القحط على منطقة معينة بل شمل البلاد كلها وبلغ من شدة الجفاف أن غارت المياه فانتشر الوباء والغلاء وانعدمت الأقوات، واختلف المؤرخون في تحديد بداية هذا القحط ومدته فابن أبي زرع يذكر أنه استمر متواليا من سنة (٢٥٣هـ/ ٨٦٧م) الى (٢٦٥هـ/ ٨٧٨ م) وكانت سنة (٢٦٠هـ/ ٨٧٣ م) اشد السنوات جفافاً وغلاء(٢)، أما ابن الأثير فيجعل بداية القحط سنة (٢٥١ هـ/ ٨٦٥ م) واستمر حتى سنة (٢٥٥ هـ/ ٨٦٨م)(٣).

في حين اكتفى ابن عذاري بذكر سنتين لوقوع قحط شديد في الأندلس وذلك في سنة (٢٥٣ هـ/ ٨٦٧ م) وسنة (٢٦٠هـ/ ٨٧٣ م) دون أن يوضح هل دام القحط والمجاعة من سنة (٢٥٣ هـ) إلى سنة (٢٦٠ هـ) أم كانت منفصلة ولم تستمر طيلة هذه الأعوام(٤).

واغلب الظن كانت سنة (٢٦٠هـ/ ٨٧٣ م) أشدها قسوة وضراوة حتى جرى المثل بها على السنة الناس بسنة ستين إذ لم تقتصر على الأندلس فحسب بل عمت بلاد المغرب وإفريقية ومصر والحجاز وكثر بذلك الغلاء والموت(٥).

---

(١) المقتبس، تحقيق: مكي، ص ١٤٨.
(٢) الأنيس المطرب، ص ٩٦.
(٣) الكامل: ٦ / ١٩٦.
(٤) البيان المغرب: ٢ / ١٠٠ - ١٠٢.
(٥) ابن ابي زرع ،الأنيس المطرب، ص ٩٦ ؛ خليل إبراهيم السامرائي واخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، (بيروت، دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٤م)، ص ٤٦٢.

ومرت الأندلس بقحط شديد في سنة (٢٧٤ هـ/ ٨٨٧ م) على عهد الأمير المنذر بن محمد (٢٧٣ -٢٧٥ هـ / ٨٨٦ - ٨٨٨م) مما دفع الناس الى الخروج للاستسقاء طلبا للغيث والرحمة وبإمامة القاضي أحمد بن محمد بن زياد اللخمي* إلا أن المطر لم ينزل بل نزل ثلج كثير ثم عاودوا الاستسقاء مرارا دون جدوى فأصيب الناس بالقنوط واليأس إلى أن جاد الله على عباده بالمطر فاستبشروا خيرا[١].

وعلى عهد الأمير عبد الرحمن بن محمد (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ / ٩١٢ - ٩٦١ م) حل بالأندلس قحطا شديد سنة (٣٠٢ هـ / ٩١٤ م) فعمت المحنة سائر القواعد والثغور واستمر القحط إلى العام التالي وكان شديدا قاسيا على الناس[٢]، فأصابت البلاد المجاعة الشديدة وكثر الموت بين أهل الفاقة والحاجة حتى عجز عن دفنهم وشبه هذا القحط وما تلاه من مجاعة ومعاناة بمجاعة سنة ستين (٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م)[٣].

وكان تأخر نزول الغيث سبباً لوقوع القحط في البلاد وذلك سنة (٣١٤هـ/ ٩٢٦م) عانى الناس منه كثيرا حتى نزل الغيث وانكشفت الغمة[٤].

(*) احمد بن محمد بن زياد اللخمي من قضاة قرطبة يلقب القاضي الحبيب كان اكمل الناس أدبا واقضاهم للحاجة بماله وجاهه اذ كان أثيرا عند الامراء توفي عام(٣١٢ هـ / ٩٢٤ م) ، ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس : ١/ ٢٩ ؛ ابو الفضل عياض بن موسى المعروف بالقاضي عياض ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك ، تحقيق : قاسم علي سعد ، (دبي ، دار البحوث للدراسات واحياء التراث ، ٢٠٠٢م) : ١/ ٢٥٠ -٢٥١ .

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢ / ١١٩ ؛ ينظر : النقيب ، الأزمات الاقتصادية ، ص ١٣ .

(٢) مؤلف مجهول ، قطعة من تاريخ عبد الرحمن الناصر ، تحقيق : ليفي بروفنسال و غرسيه جومث ، (مدريد ، د.مط ، ١٩٥٠م) ، ص ٤٩ ؛ محمد عبد الله عنان ، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية ، (القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٧٠م) ، ص ١٦٩ .

(٣) مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس: ١/ ٢٦٤- ٢٦٥؛ عنان، دولة الإسلام (عصر الخلافة)، ص ٧٨.

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٢٥؛ مجهول، قطعة من تاريخ عبد الرحمن الناصر، ص ٧٣ .

وتجدد المحل وانحباس المطر في سنة (٣١٧هـ / ٩٢٩ م) ، والتي بدورها أدت إلى اضمحلال الزرع وقلة الأقوات فارتفعت الأسعار واجهدت الناس التي لم يكن لها سبيل سوى التضرع إلى الله تعالى طلبا للغيث والرحمة [١] ، ونجد أن ابن حيان يشير إلى هذا المحل بقوله: ((والسماء في كل ذلك ممسكة لما قدر الله تعالى))[٢] ، مما يدل على أن المطر لم ينزل على الرغم من تكرار صلوات الاستسقاء في الكور جميعها .

وواجهت البلاد خطر المحل والجفاف وذلك في سنة (٣٢٤هـ/ ٩٣٥م) والذي ((لم يعهد فيه بمثله ولا سمع كاتصاله إذ تمادت السنة على محلها وضنت السماء بوبلها فلم تنض بقطرة ولا بلت مدرة))[٣].

إلا أن قوة الخلافة وسيطرتها وعلى رأسها خليفتها عبد الرحمن الملقب بالناصر استطاع مواجهة الأزمة إذ لم يعانِ الناس من الضائقة والمجاعة التي عادة ما تكون مزامنة للمحل والجفاف وبقي حالهم على أحسنه إلى أن جادت السماء بقطرها في العام التالي[٤].

وعاد المحل والقحط يعصف بالأندلس في سنة (٣٢٩ – ٣٣٠ هـ / ٩٤٠ – ٩٤١م) وتوقف المطر وعم الجفاف وبعد القيام بصلاة الاستسقاء ولمرات عديدة سقطت الثلوج بدل المطر ثم تلاها سقوط الامطار التي أحيت الناس ورويت المزارع وعم الرخاء[٥].

(١) عنان ، دولة الإسلام (عصر الخلافة) ، ص ٤٢٣ .

(٢) المقتبس ، تحقيق : شالميتا ، ص ٢٥٠ -٢٥١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٨٣ – ٣٨٤ .

(٤) عنان ، دولة الإسلام (عصر الخلافة) ، ص ٤٢٤ ؛ حامد حسين الفلاحي ، التاريخ الأندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطة ،(أربد ، دار الكتاب الثقافي ، ٢٠٠٣م) : ١ / ٩٧ .

(٥) ابن حيان ، المقتبس، تحقيق :شالميتا ، ص ٤٧٦ ؛ عنان ، دولة الاسلام (عصر الخلافة) ، ص ٤٢٤.

وما هي إلا سنوات حتى عاد القحط من جديد في عام (٣٣٥ هـ/ ٩٤٦ م) فكان تأثيره في مدينة قرطبة (Cordoba) خاصة[1].

ويبدو أن الأندلس واجهت قحطا في أخر عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر وهذا ما يفهم من روايات المؤرخين حول صلاة الاستسقاء التي قام بها القاضي المنذر بن سعيد البلوطي[*]، ومن خلال الروايات المتوافرة والتي لا تشير إلى حصول مجاعة بين الناس خلال هذا القحط إنما اقتصر الذكر على ما وجهه البلوطي من النصح والإرشاد للخليفة الناصر في صلاة الاستسقاء التي قام بها وبحضور الناصر نفسه فكانت مناسبة للتوبة والعودة إلى الله ليرفع عن الناس البلاء[2].

وفي سنة (٣٨١ هـ/ ٩٩١ م) وعلى عهد الحاجب المنصور محمد ابن أبـي عامـر (٣٦٦-٣٩٢هـ/ ٩٧٦-١٠٠١م) وقع القحط الشديد الذي شمل المغرب والأندلس وإفريقية فجفت المياه وارتفعت الأسعار حتى أضطر الناس للخروج من قرطبة إلى أن جادت السماء ونزل المطر واستبشر الناس خيرا [3] .

---

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢ / ٢١٤ .

* المنذر بن سعيد البلوطي أبو الحكم ينسب إلى منطقة فحص البلوط (Fehs al bolut) ولي القضاء بقرطبة وكان فقيها وأديبا بليغا وخطيبا مصعقا عالماً بالجدل حاضر الجواب ثابت الحجة كانت له رحلة إلى عدد من بلدان المشرق غلب عليه المذهب الظاهري غير أنه كان يقضي بمذهب مالك توفي سنة (٣٥٥هـ/ ٩٦٦م)، أبو محمد عبد الحق الاشبيلي المعروف بابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، تحقيق: محمد سالم هاشم، (بيروت، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٩م)، ص ٧٧؛ النباهي، المرقبة العليا ، ص ٨٩ .

(٢) الذهبي ، سير أعلام النبلاء : ١٥/ ٥٦٣ و١٦/ ١٧٦ ؛ أبو عبد الله أبن الأزرق ، بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق : علي سامي النشار ، (العراق ، وزارة الثقافة والفنون ، ١٩٧٨م) : ٢ / ٧٣ – ٧٤ ؛ شهاب الدين احمد المقري ، أزهار الرياض في أخبار عياض ، (ط٢، المغرب، صندوق أحياء التراث الإسلامي، ١٩٧٨م) : ٢ / ٢٧٩ – ٢٨٠ .

(٣) ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ١١٤ ؛ مؤنس ، موسوعة تاريخ الأندلس : ١ / ٤٩٣ .

غير أن انحباس المطر عاد من جديد في عام (٣٨٣ هـ / ٩٩٣ م) فخرج الناس إلى صلاة الاستسقاء داعين من الله أن ينزل عليهم الرحمة [١].

وفي عام (٤٠٧ هـ / ١٠١٦م) تجدد القحط بالأندلس ورافقه وباء كثير [٢]، ويبدو أن حالة البلاد آنذاك وما تعانيه من فوضى دفعت المؤرخين إلى العناية بالأحداث السياسية والأمنية والابتعاد عن ذكر تفاصيل الحوادث التي تعد ثانوية لما كان يمر به البلد آنذاك من حروب داخلية عنيفة ، فضلاً عن عدم وجود سلطة قوية ودولة مستقرة تؤدي دورها في التخفيف من حدة الأزمة فاجتمع بذلك على الناس قسوة الجوع والقتل .

وفي فترة ملوك الطوائف وردت رواية نقلها لنا ابن بشكوال ضمن ترجمة الفقيه أبي عبد الله محمد بن منظور الأشبيلي (ت ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م) مفادها أن منطقة أشبيلية أصيبت بالمجاعة سنة(٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م) جراء القحط الشديد الذي وقع بها فانتشر الموت بين الناس وارتفعت الأسعار وكان هذا الفقيه معاصرا للحدث معنياً بما آل إليه حال الناس إلى ان فرج الله عنهم البلاء [٣].

وفي عام (٤٩٨ هـ/ ١١٠٤م) وعلى عهد زعيم المرابطين يوسف بن تاشفين (٤٥٣ – ٥٠٠ هـ / ١٠٦١ – ١١٠٦ م) وقع القحط الشديد في بلاد الأندلس والعدوة المغربية حتى أيقن الناس بالهلاك [٤].

كما واجهت غرناطة أزمة قحط لحقت بها في عام (٥٢٤ هـ/ ١١٢٩ م) وهذا ما يفهم من ترجمة الفقيه عبد المنعم بن مروان الهلالي[*] الذي أم الناس

(١) النباهي ، المرقبة العليا ، ص ٥٢ .
(٢) ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص ١١٨ .
(٣) الصلة : ٢ / ٥٤٨ – ٥٤٩ .
(٤) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٤ / ٤٥ ؛ مؤنس ، موسوعة تاريخ الأندلس : ٢ / ١٣١ .
(*) عبد المنعم بن مروان الهلالي أصله من طنجة (Tanger) سكن غرناطة كان فقيها جليلا ولي قضاء غرناطة وقضاء المرية توفي أواخر سنة (٥٢٤ هـ / ١١٢٩ م) ، أبو جعفر أحمد بن الزبير ، صلة الصلة ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، (بيروت ، مكتبة خياط ، ١٩٣٧م) ، ص ٢٣ – ٢٤ .

بصلاة الاستسقاء فجادت السماء بقطرها [١]، ويبدو أن الأزمة لم تتكشف تماما فعادت في السنة التالية (٥٢٥ هـ/ ١١٣٠ م) [٢]، وكانت أشمل من سابقتها إذ لم تقتصر على غرناطة فقط ، ومما زاد الامر سوءا هجوم أسراب الجراد على المزارع والحقول وخاصة في سنة (٥٢٦ هـ/ ١١٣١ م) [٣].

وفي وقت الاحتراث من عام (٥٦٥ هـ/ ١١٦٩ م) وعلى عهد الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف (٥٥٨ - ٥٨٠ هـ/ ١١٦٢ - ١١٨٤ م) توقفت الأمطار عن السقوط مما أدى إلى حدوث حالة من الجفاف في الاندلس استمرت إلى ان عاودت الأمطار بالنزول فباشر الناس بالزرع والحرث [٤].

ويذكر لنا ابن عذاري خبرا لم يتحقق منه مفاده أن محلا شديدا أصاب المغرب والأندلس في السنوات (٦١٤ هـ / ١٢١٧م) و (٦١٥ هـ / ١٢١٨) و (٦١٦ هـ / ١٢١٩م) أدى إلى وقوع المجاعة وارتفاع الأسعار و اشتد الحال على الناس أكثر فأكثر إلى أن فرج الله عن عباده هذا البلاء [٥].

وفي سنة (٦٣١ هـ/ ١٢٣٣ م) وقع القحط الشديد بغرناطة فأقيمت صلاة الاستسقاء طلبا للرحمة ووافق ذلك اليوم ورود التقليد والراية من الخلافة العباسية في بغداد من قبل الخليفة المستنصر بالله (٦٢٣ - ٦٤٠ هـ/ ١٢٢٥ - ١٢٤٢ م) إلى المتوكل ابن هود(*) الذي كان حاضرا في غرناطة في ذلك اليوم فقرئ الكتاب على

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٤ .

(٢) إبراهيم القادري بوتشيش ، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين ، (بيروت، دار الطليعة ، ١٩٩٨م) ، ص ١٩٩ ؛ حسين ، دور العلماء ، ص ١٧١ .

(٣) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ١٩٧ .

(٤) ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص ٣٩٧ .

(٥) البيان المغرب ، العصر الموحدي ، ٢٤٤ - ٢٤٥ .

(*) هو محمد بن يوسف بن هود أمير المسلمين بالأندلس من ولد المستعين بن هود حاكم مملكة سرقسطة والذي اسقطه المرابطون عند دخولهم البلاد ، سيطر على العديد من مدن الاندلس واعلن تبعيته للخلافة العباسية في بغداد توفي سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م ، ابن الخطيب ، الإحاطة : ٢/ ٧٦ ؛ اعمال الاعلام ، ص ٢٧٧- ٢٨٠.

الناس ويذكر أنه لم يستتم على الناس قراءته إلا وقد جادت السماء بالمطر فكان يوما مشهودا [1].

كما أشار ابن عذاري إلى وقوع قحط في بلاد المغرب ولاسيما في مدينة سبتة (Ceuta) سنة (٦٣٧ هـ/ ١٢٣٩ م) [2] ، إلا أن ما يهمنا من هذا الأمر هو مدى تأثير هذا القحط في الأندلس فمن المعلوم ان سبتة لم تكن ضمن املاك مملكة غرناطة لكن عدم وصول المساعدات الغذائية لتلك المدينة من الاندلس او من بلاد المغرب ربما كان يدل على سوء الاحوال في المنطقة بوجه عام فضلا عن ان مملكة غرناطة بعد قيامها اصبحت تعتمد بشكل كبير على ما يرد عليها من المغرب من مساعدات وإذا ما تعرض لأي عارض فإن ذلك سيؤثر في الأندلس وما يردها من المغرب وهذا ما حدث فعلا إلى أن جاءت سنة (٦٣٨ هـ/ ١٢٤٠ م) فوافق نزول المطر فرخصت الأسعار وذهب الجوع وأفاض الله بخيره على عباده [3].

ما ذكرناه آنفا ينطبق على الحال الذي أصاب مملكة غرناطة عندما توقفت المعونات المغربية بعدما ضعف حكم المرينيين وسقطت الجزيرة الخضراء (Algeciras) بأيدي النصارى (٧٤٤ هـ / ١٣٤٣ م) [4]، حيث واجهت غرناطة والمدن التي كانت آنذاك ضمن سلطانها شبح القحط في سنة (٧٤٧ هـ/ ١٣٤٦م) حيث كان جزء من فصل الشتاء قد انقضى دون أن تمطر السماء مما منع الناس من البذار والزراعة ووافق هذا الحال ولاية أبي البركات بن

(١) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٢٨٠ ؛ شكيب ارسلان ، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، (بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٣٦م) : ٣/ ٤٣٤ .

(٢) البيان المغرب ، العصر الموحدي ، ٣٤٧ .

(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ، العصر الموحدي ، ٣٤٧ .

(٤) ضيا الباشا ، الاندلس الذاهبة ، تعريب : عبد الرحمن أرشيدات ، مراجعة : صلاح أرشيدات ، (عمان ، وزارة الثقافة والإعلام : ١٩٧٩م) : ٣/ ١٨٦ .

الحاج البلفيقي[*] القضاء على المرية فدعا الرجل الصالح ربه فاستجاب له ونزل المطر واستبشر الناس خيرا [1].

وفي عام (٧٤٨هـ/١٣٤٧م) تجدد القحط في مملكة غرناطة وخاصة في المناطق الشرقية منها [2] ، ومن المرجح ان هذا القحط هو استمرار للقحط الحاصل في العام السابق والذي لم تنتهي اثاره السيئة رغم نزول المطر .

٢-الفيضانـــات والسيـــول:

تعد الانهار نعمة من الله تعالى على عباده فهي السبيل البديل لهم إذا ما توقفت الأمطار فتكون لهم مصدر إرواء لزرعهم وماشيتهم وفي الوقت نفسه تعد مصدر خطر وتخريب لما حولها إذا ما فاضت وارتفع منسوبها عن الحد الطبيعي لها.

ويعرف الفيضان بأنه : زيادة كبيرة في كمية المياه الجارية في النهر وارتفاع في مناسيب المياه وغمر المياه للأراضي التي لا تغطى بالمياه عادة[3].

وقد أطلق على السيل تسميات منها الجحاف إذ كان شديداً فهو يجحف ويجرف ما حوله[4]، وكذلك سمي بالغشمشم إذا فاض السيل عن مجراه وجرف ما حوله[5].

(*) ابو البركات البلفيقي هو محمد بن إبراهيم بن عياش أصله من مدينة المرية تقلد القضاء في عدد من مناطق الأندلس في باجة (Boygie) ومالقة والمرية كما تولى النظر في الأحكام أيضا ، ابن الخطيب ، الإحاطة : ٢/ ٨٣ - ٨٥.

(١) المصدر نفسه : ٢ / ٨٣ – ٨٥ .

(٢) ابو عبد الله محمد السلماني الشهير بلسان الدين بن الخطيب ، مشاهدات ابن الخطيب في بلاد المغرب والاندلس ، (مجموعة من رسائله) ، تحقيق : احمد مختار العبادي ، (الاسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨٣م) ، ص٣٨ .

(٣) المختار ، الأزمات الاقتصادية ، ص ٤٣ .

(٤) ابن منظور ، لسان العرب : ٩ / ٢١ ، مادة جحف .

(٥) جبر ، معجم الفاظ الجغرافية الطبيعية ، ص ١٢٦ .

وكانت الأضرار التي يلحقها السيل بالأراضي ولاسيما الزراعية منها مثار جدل بين الناس مما دفعهم للتوجه إلى فقهائهم يسألونهم طالبين فتواهم في ذلك ، فإذا ما اكترى الرجل أرضاً لزراعتها وأتى السيل عليها وأضر بقدر الثلث وعطلها عن غلتها والرجل صاحب الأرض يطالب المكري الأجرة كلها ، ففي مثل هذه الأحوال يكون الحكم نوعين الأول : إذا دخل السيل قبل الزرع ومنع من الزراعة والبذار بقدر الثلث من الأرض فيحط عن المكري جزء من الكراء ، أما إذا دخل السيل بعد الزراعة وخرج عن موعد الحرث فلا يسقط من أجرة الكراء شيء [(١)].

وفي الأندلس اعتمدت مناطق عديدة على مياه الأنهار ، فمدينة أشبيلية وقرطبة كانت مياه نهر الوادي الكبير (Guadalquivir) مصدر سعادة وشقاء لهما .

ويذكر الإدريسي (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) أن ثمانية الاف قرية عامرة كانت تعيش على ثمار الأشجار التي تروى من نهر الوادي الكبير[(٢)]، فلنا أن نتصور إذا ما فاض هذا النهر فكم من قرية ومزرعة قد تتعرض للخراب وتذهب مع سيوله الجارفة .

وكذلك مدينة غرناطة التي لم تنج من سيول نهر حدرة (Eldaro) والذي هو في الوقت نفسه مصدرا لسقي أراضيها وخصبها .

أما مدينة بلنسية فكان نهر شقر (Jucar) سببا لشهرتها بالمزارع والبساتين الغناء ، إلا ان النهر كان مخيفا بسبب فيضاناته القوية[(٣)].

ويذكر محمد عبده حتاملة أن نهر شقورة (Seguar) أطول الأنهار التي تنبع من الأطراف الشمالية لجبال شبه جزيرة الأندلس ومستوى مياه النهر منخفضة

---

(١) الونشريسي ، المعيار المعرب : ٥ / ٢٣٦ – ٢٣٧ .

(٢) ابو عبد الله محمد بن محمد ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، (القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ١٩٩٤م) : ٢ / ٥٦٩ .

(٣) محمد عبدة حتاملة ، أيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين ، (عمان ، المؤسسة الصحفية الأردنية ، ١٩٦٦م)، ص ١٠٣ .

بوجه عام لكنه يرتفع بسرعة كبيرة إثر العواصف المطرية الشديدة مما يؤدي إلى فيضانه[1]، فيشكل خطرا مفاجئا على ما حوله من مدن وقرى .

وقد لا يكون ضرر الفيضانات والسيول بشكل مرحلي يتلاشى بمرور الوقت إنما يكون سبباً في تغير جغرافية منطقة ما ، فيذكر الزهري (ت في القرن ٦هـ/ ١٢م) أن جزيرة قادس (Cadez) كانت في الأصل مدينة متصلة بالأندلس إلى أن حفرت قناة بين البحر ووادي لكة (Guadalete) لكي يدخل سمك التن إلى النهر من البحر فلما دخل الماء والتقى بالنهر فاض الماء على مدينة قادس فأغرقها فلم يبق منها إلا جزيرة صغيرة منقطعة في البحر وتهدمت قنطرتها وبقي منها أرجل تحت البحر ولا يذكر الزهري متى حدث ذلك[2].

إن أول ذكر لسيل تعرضت له مدينة قرطبة منذ الفتح الإسلامي كان في عام (١٤٨هـ/ ٧٦٥م) على عهد الأمير عبد الرحمن الداخل وكان لشدته أن حمل معه الدور والناس والدواب [3] .

كما تعرضت قنطرة قرطبة التي تصل بين مدينة قرطبة وربضها المسمى شقندة (Secunda) إلى سيل شديد في عام (١٦١هـ/ ٧٧٧م) على عهد الأمير عبد الرحمن الداخل وكان لقوته أن زلزل أركان القنطرة وسد حناياها وهدم بعض منها واستمر هذا السيل مدة يومين[4].

وفي عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن تعرضت مدينة قرطبة إلى سيل أخر وذلك في عام (١٧٧هـ/ ٧٩٣م) نتيجة لكثرة الأمطار وزيادة منسوب مياه نهر الوادي الكبير فكان السيل عظيما حتى عد من اكبر السيول [5] .

---

(١) موسوعة الديار: ٢ / ١١٠٢ .

(٢) كتاب الجغرافية ، ص ٩٢ – ٩٣ .

(٣) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ١١٥ .

(٤) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢ / ٥٦ .

(٥) مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، ص ١٢٢ .

وفي عام (١٨٢ هـ/٧٩٨ م) وعلى عهد الأمير الحكم بن هشام أصيبت القنطرة مرة ثانية بسيل عظيم جرف ربض القنطرة وأضر بدورها وهدمها حتى وصل السيل إلـى شقندة[١].

ويذكر ابن الأثير أن في عام (٢١٢ هـ/٨٢٧ م) وعلى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط كانت السيول العظيمة والأمطار المتتابعة بالأندلس قد خربت أكثر الأسوار بمدائن ثغر الأندلس وخربت قنطرة سرقسطة التي جددت عمارتها وأحكمت فيما بعد[٢].

أما في عام (٢٢٢ هـ/ ٨٣٦ م) على عهد الأمير نفسه فقد شهدت مدن الأندلس ولاسيما مدينة قرطبة حدوث سيل شديد حتى سمي ذلك العام بعام السيل الكبير[٣]، دون أن تتوافر لدينا معلومات وافية عن الآثار والأضرار التي خلفها هذا السيل على المدن .

وفي عام (٢٣٥ هـ/ ٨٤٩ م) وعلى عهد الأمير الأوسط أيضا كانت الأندلس على موعد مع سيل عظيم عُدَّ من أمهات السيول على وصف ابن حيان فقد ارتفعت مياه نهر الوادي الكبير عن حده الطبيعي فخرب قنطرة نهر شنيل (Genil) وهو نهر غرناطة كما أضر بقوسين من أقواس قنطرة استجه (Acija) وخرب ستة عشرة قرية من قرى أشبيلية على نهر الوادي الكبير فأضر بالناس وبهائمهم وأمتعتهم[٤] ، كما وأذهب بقنطرة قرطبة فصار عرضه آنذاك قرابة ثلاثين ميلا[٥].

---

(١) عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، (بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧١م): ١٩٩/١ .

(٢) الكامل : ٥ / ٤٨٨ .

(٣) ابن الفرضي،تاريخ علماء الأندلس:٢/ ٥؛ينظر:مصطفى، الكوارث والظواهر الطبيعية، ص٣٢١

(٤) المقتبس ، تحقيق : مكي، ص ١٤٦ – ١٤٧ ؛ ينظر : مؤنس ، موسوعة تاريخ الأندلس : ١ / ٢٢١.

(٥) ابن الأثير ، الكامل : ٦ / ١٠٦ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢ / ٨٩ .

ولم تكن السيول والفيضانات جميعها التي تعرضت لها الأندلس بالحجم التخريبي نفسه كالذي سبق ذكره ففي عام (٢٨٨ هـ/ ٩٠٠ م) وعلى عهد الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥ – ٣٠٠هـ / ٨٨٨ – ٩١٢ م) فاض نهر قرطبة وثلم بعض أرجل القنطرة وأغتصت القنطرة بالمياه [١] ، ويبدو أنه أقتصر تأثيره في قرطبة فقط فلا نجد ذكراً لآثاره السيئة قد لحقت بمناطق أخرى تقع عليه .

وفي سنة (٢٩٦ هـ/٩٠٨م) تعرض نهر الوادي الكبير من جديد لفيضان كبير فذكر ابن حيان أنه ((طما سيله وساء تأثيره)) [٢] دون أن يقدم تفصيلاً عن مدى إساءته وتخريبه .

وفي عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر كان الفيضان العظيم بنهر قرطبة سنة (٣٣١ هـ/ ٩٤٢ م) فثلم قنطرتها [٣] ويبدو أن هذا السيل كان شديدا حتى أنه جرف معه جذوع الاشجار [٤].

وتكرر السيل مرة ثانية في عام (٣٣٤ هـ / ٩٤٥م) وبلغ الماء إلى البرج المعروف ببرج الأسد وثلم جزء من القنطرة والرصيف[٥].

وبعد وفاة الخليفة عبد الرحمن الناصر ومجيء الخليفة الجديد الحكم المستنصر بالله (٣٥٠– ٣٦٦ هـ/ ٩٦١– ٩٧٦م) وبعد عام واحد أي في سنة (٣٥١ هـ / ٩٦٢ م) عاد السيل من جديد ليلحق الضرر بالقنطرة التي يبدو أنه قد أُنهكت أساساتها بكثرة السيول التي واجهتها لذلك أصبح ترميمها وتقوية دعاماتها يشغل فكر الخليفة الحكم المستنصر الذي أتم ذلك في عام (٣٦١ هـ / ٩٧٠ م)[٦].

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : انطونيا ، ص ١٣٩ ؛ سالم ، قرطبة : ١ / ١٩٩ .
(٢) المقتبس ، تحقيق : انطونيا ، ص ١٤٤ .
(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢ / ٢١٠ .
(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٢١٧؛ عنان ، دولة الإسلام (عصر الخلافة) ، ص ٣٨٦ .
(٥) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢/ ٢١٣ ؛ سالم ، قرطبة : ١ / ١٩٩ .
(٦) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص ٦٤ – ٦٥ .

وقد ينشأ سيل النهر بسبب كثرة سقوط الامطار كما حدث سنة (٣٦٣ هـ/ ٩٧٣ م) حيث فاض النهر لكثرة الامطار المنهمرة فوصل الماء إلى رصيف القصابين وتتابع نزول المطر في تلك السنة ينقطع حيناً ويعاود في أخرى والنهر في كل ذلك يزداد وينقص ، حتى تناهت زيادته وجرف معه أكواماً من الطمى ، فكانت محنة شديدة لأهالي قرطبة لكثرة الأمطار وشدة السيول الناشئة من هذه الامطار[1].

وتكررت المحنة ذاتها عام (٣٦٤ هـ / ٩٧٤ م) بشدة الأمطار الساقطة ففاض نهر قرطبة فيضان طاميا وخرج إلى الرصيف الذي يلي القنطرة فمنع الناس السير بباب المحجة حتى أن جماعة من أهل شبلار (Sabular) من قرية شقندة أقبلوا في ذلك اليوم يريدون الوصول إلى دورهم فلم يتمكنوا من ذلك فاتخذوا قاربا لبلوغ غايتهم إلا أن شدة السيل وقوة الموج أغرق القارب فهلك من فيه ماعدا صاحبه الذي استطاع السباحة لينجوا من الهلاك[2].

وعلى عهد الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر اجتاح قرطبة سيل شديد سنة (٣٨٢ هـ/ ٩٩٢م) فكان تأثيره سيئا في أسواقها حتى وصل تأثيره إلى مدينة الزهراء (Medina Zahra) [3].

وفي فترة اندلاع الفتنة القرطبية (٣٩٩-٤٢٢هـ/١٠٠٨-١٠٣٠م) وعلى حين كان أهالي قرطبة محاصرين في المدينة من البربر يعانون الجوع والحرمان عظمت مصيبتهم بفيضان نهر قرطبة سنة (٤٠١ هـ/ ١٠١٠م) فهدم قرابة ألفي دار وعددا كبيرا من المساجد والقناطر ومات في ذلك الفيضان نحو خمسة آلاف نفس ردما وغرقا ومن بقي حيا ذهبت أموالهم وأمتعتهم وهدم أكثر السور المحيط بقرطبة و ردم قسماً من الخندق دام هذا الفيضان ثلاثة أيام مما جعل تأثيره كبيرا جدا[4].

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق :الحجي ، ص ١٤٤ – ١٤٥ ، ١٥٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ٢٠٩ .
(٣) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ١١٦ .
(٤) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٣ / ١٠٥ ؛ خالد الصوفي ، تاريخ العرب في اسبانيا (نهاية الخلافة الأموية) ، (حلب ، دار الشرق ، ١٩٦٣م) ، ص ٢١٦ .

كما اجتاح مدينة أشبيلية أيضا سيل كبير سنة (٤٢٩ هـ/١٠٣٧ م) ومصادرنا التاريخية لا تمدنا بمعلومات تفصيلية عن هذا السيل غير ما أورده ابن بشكوال من خلال ترجمته لعبد الله بن يوسف الوهراني الذي قدم الأندلس لغرض التجارة وسكن أشبيلية في ذلك العام مضطرا [١].

وكان الاتصال بين قرطبة وربضها في الأوقات التي تصاب فيها القنطرة بسبب الفيضانات والسيول يتم عن طريق مراكب ومعديات [٢].

أما مدينة بلنسية فكانت هي الأخرى على موعد مع سيل عظيم سنة (٤٨١ هـ / ١٠٨٨م) أحدث الكثير من التخريب والتدمير في المدينة وما يجاورها من القرى [٣].

كما حدث سيل جارف في مدينة أشبيلية (٥٦٤هـ / ١١٦٨ م) تسبب في هدم سورها من جهة الوادي [٤].

وفي سنة (٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) كان على أشبيلية أن تواجه خطر سيل ثان كان أقوى وأعنف من سابقه سيل لم يسمع بمثله من قبل اجتاح أجزاء كبيرة من سور المدينة ولاسيما بين باب طريانة (triana) وباب المؤذن وغمرت المياه المدينة بأسرها وسقط عدد كبير من دورها بلغ عددهم قرابة ستة ألاف حتى صارت أشبيلية وكأنها جزيرة ما بين المياه [٥].

---

(١) الصلة : ١ / ٢٩٨ .

(٢) سالم ، قرطبة : ١ / ٢٠٠ .

(٣) ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، تحقيق : أحمد مختار العبادي ، (مدريد ، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية ١٩٧١م) ، ص ٩٨ - ٩٩ ؛ كمال السيد أبو مصطفى ، تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين ، (الإسكندرية، مركز الاسكندرية للكتاب ، د.ت) ، ص ٩١ .

(٤) ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص ٢٣٤ ؛ أبو مصطفى ، المرجع نفسه ، ص ٩١ .

(٥) ابو عبد الله محمد عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق إحسان عباس، (بيروت، دار الثقافة،١٩٦٥م):س ٥ ق ٢/ ٦٦١؛عنان، دولة الإسلام (عصر الموحدين)، ص ٢٥٦.

اما حجم الضحايا من الناس فالمراكشي (ت٧٠٣هـ/١٣٠٣م) يذكر أنه كان من لطف الله على الناس أن وقع هذا السيل ظهرا فلو حدث ليلا لغرق الآلاف من أهل أشبيلية فيه فكان عدد الضحايا قرابة خمسة أنفس فقط [١].

بينما يذكر ابن عذاري أن أمماً لا يحصيهم إلا الله قد هلكوا فيه وأن جماعة من تجار الغرب الأندلسي الواصلين إلى أشبيلية عثروا ما بين الرمال على سبعمائة شخص من الغرقى [٢].

والظاهر ان السيل كان عظيما أضطر معه الناس الى استعمال القوارب للتنقل في المدينة ودام السيل ثلاثة أيام [٣] ، ويبدو أن هذا السيل قد سبقته سيول كثيرة حتى قيل فيه شعرا:

لله حمص أيما بلدة ... لو أننا من ثعبانها

طاف بها والريح روح له ... فابتلع الأرض وسكانها [٤]

ولم يقتصر هذا السيل على مدينة أشبيلية فحسب بل شمل وادي النهر الكبير كله من قرطبة إلى أشبيلية وحتى مدينة قادس فكان من أعظم ما جرى في المدينة من حوادث جليلة حتى أصبح مناسبة يؤرخ بها لوفاة أحدهم أو ولادة آخر [٥].

وفي عام (٨٨٣ هـ / ١٤٧٨ م) وعلى عهد السلطان أبو الحسن علي بن سعد الملقب بالغالب بالله (٨٦٨ - ٨٨٧ هـ / ١٤٦٣ - ١٤٨٢ م) اجتاح مملكة غرناطة سيلا جارفا بسبب الأمطار الغزيرة وفيضان نهر حدرة احتمل معه ما على ضفتيه من أشجار عظام من الميس والدردار والجوز وغيرها فمنع الناس السير في

(١) الذيل والتكملة : س ٥ ق ٢ / ٦٦١ - ٦٦٢ .

(٢) البيان المغرب ، العصر الموحدي ، ٢١٤ .

(٣) المراكشي ، الذيل والتكملة : س ٥ ق٢ / ٦٦١ - ٦٦٢ .

(٤) ابن عذاري ، البيان المغرب ، العصر الموحدي ، ٢١٤ .

(٥) المراكشي ، الذيل والتكملة : س٥ ق ١ / ٤١٤ .

الطرقات ودخل السيل البلد فاغرق الدور والحوانيت والمساجد والفنادق ودخل الأسواق وهدم البناء المشيد واذهب ببناء القنطرة فأبقى أقواسها فقط وبلغ تيار السيل رحبة الجامع الأعظم ، ثم جاء السيل بكل تلك الأشجار العظام التي اقتلعت فتراكمت في البلد أخر قنطرة منه فسدت مجاري الوادي فتراكم السيل والشجر في قلب البلد فعاين الأهالي الهلاك فلا يسمع إلا بكاء الأطفال وصريخ النساء وأصوات الرجال فكان من أعظم الأيام التي قلما يسمع بمثله من قبل(١).

٣- الـــــزلازل :

تعد هذه الظاهرة الجغرافية من أكثر الظواهر الطبيعية المسببة للرعب والهلع عند الناس إذا ما وقعت في منطقة ما ، فكان الاعتقاد عند العامة من الناس أن الأرض التي يعيشون عليها صلبة ومستقرة تماما لذلك كانت حركة الزلازل تثير الخوف الشديد في نفوسهم .

وتعرف الزلازل بأنها نتيجة للتفاعلات الأرضية الحاصلة في باطن الأرض فتنشأ عن تصدع الصخور في أعماق الأرض .

وقد تكون الزلازل مقتصرة على منطقة واحدة ومنها ما يقع في أكثر من مكان في آن واحد كما وتختلف مدة الزلازل فمنه ما يتكرر في أيام متعددة ولمدة أسبوع أو شهر أو أكثر (٢).

وفي كثير من حالات الزلازل يلجأ الناس إلى المساجد والساحات العامة ضارعين إلى الله طالبين المغفرة والرحمة معتبرين ذلك عقاباً من الله عليهم لذنوبهم

---

(١) المقري، نفح الطيب: ٥/ ٣٩٥ ؛ مؤلف مجهول، نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر ، تحقيق : محمد رضوان الداية ،(دمشق، دار حسان، ١٩٨٤م)، ص ٤١– ٤٥؛ حتاملة، موسوعة الديار : ٢/ ٧٤٩.
(٢) المختار ، الازمات الاقتصادية ، ص ٥٢ .

فكانوا يخرجون من منازلهم في ذلك اليوم حتى قيل في أمثالهم العامة ((يومُ زلزل يوم بروزَ)) [(١)].

وعلى الرغم من كل حالات الهلع والفزع التي تحدثها الزلازل نجد ان عناية المؤرخين والكتاب بسرد الزلازل وآثارها قليلا إذ ما قورنت بحالات القحط والجفاف والسيول فقلما نجد حادثة زلزال قد أسهب ذاكرها في تفاصيلها من حيث عدد الضحايا والخسائر المادية فكثيرا ما يكتفي بذكر الخبر فقط أثناء تعداده للحوادث الواقعة في تلك السنة ، وقد يزيد عليه بعبارات عمومية لا تفصيلية مثل (هلك فيه خلق) أو (تهدمت فيه من البنيان والدور) وغيرها .

وفي محاولة منا لرصد حوادث الزلازل الواقعة في الأندلس نجد أن الأندلس قد واجهت زلازل ألحقت بها أضرارا جسيمة ومنها ما كان عابرا ضعيفا .

ففي سنة (٢٦٧ هـ / ٨٨١ م) على عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ضرب مدينة قرطبة زلزال شديد عند صلاة المغرب رافقته أحوال جوية سيئة فهاجت الرياح وأبرقت السماء وأرعدت وضربت صاعقة ناشئة ستة أشخاص من المصلين مات اثنان منهم من شدتها واهتزت الجبال والقصور وخرج الناس إلى الصحارى لاجئين إلى الله تعالى[(٢)]، ولم يقتصر هذا الزلزال على قرطبة فحسب بل شمل مناطق عدة من الأندلس [(٣)].

وتكرر الحال في قرطبة عام (٣٣٢ هـ / ٩٤٣ م) على عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر حيث وقع الزلزال عند العشاء فزع أهل قرطبة لذلك فخرجوا إلى

---

(١) أبو يحيى عبيد الله الزجالي ، أمثال العوام في الاندلس مستخرج من كتابه : ري الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام ، تحقيق : محمد بن شريفة ، (فاس ، مطبعة محمد الخامس ، ١٩٧١م) : ق٢ / ٤٧٢ .

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢ / ١٠٤ .

(٣) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ٩٧ .

المساجد داعين الله أن يكشف عنهم السوء وقد سبق وقوع الزلزال أحوال جوية سيئة مما زاد في هلع الناس وخوفهم [1].

وفي عام (٣٤٤هـ / ٨٦٨ م) وعلى عهد الخليفة نفسه وقع زلزال في قرطبة ويبدو أنه كان قويا حتى وصف بأنه ظاهر الهزة ثم عاد مرة اخرى بعد ايام عند الظهيرة [2].

كما ضرب قرطبة زلزال بسيط لم تكن له أثار سيئة على الناس ولا على البنيان وذلك عام (٣٦١ هـ / ٩٧١ م) على عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله وفي هذا يقول ابن حيان : ((تزلزلت الأرض في أول الساعة الرابعة منه وسكنت بسرعة)) [3].

إلا أن هذا الزلزال عاود مرة أخرى فضرب قرطبة وما يليها في العام التالي (٣٦٢ هـ/ ٩٧٢م) ، وفي كلتا الحالتين لم يذكر لنا ابن حيان أي أثار نجمت عنهما واكتفى بذكر الخبر دون تفاصيله [4].

وفي سنة (٣٦٤ هـ / ٩٧٤ م) وعلى عهد الخليفة الحكم أيضا عاود الزلزال مرة أخرى عند صلاة الظهر وكانت مدته قصيرة أيضا لكنه لم يقتصر على قرطبة فحسب وإنما وقع بأكثر كور الأندلس [5].

في حين اقتصر الزلزال الواقع في عام (٣٧٦هـ/٩٨٦م) على مدينة قرطبة غير انه كان شديد الهزة [6] .

---

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢ / ٢١١ ؛ مؤنس ، موسوعة تاريخ الأندلس : ١ / ٣٣٢ .
(٢) ابن عذاري ،المصدر نفسه : ٢ / ٢٢٠ ؛ مؤنس ، المرجع نفسه : ١ / ٣٣٣ .
(٣) المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص ٦٧ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٠٧ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٠٢ .
(٦) مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، ص ١٨١ .

ووقع زلزال عظيم أنهدت الجبال به وتهدمت الديار واضطربت أرض الأندلس كلها من شدته وذلـك في سنة (٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م) أيـام الفرقة والتنافس (أحداث الفتنة القرطبية)[١].

وكذلك وقع زلزال شديد القوة متتابع الهزات بعد عام (٤٤٠ هـ/ ١٠٤٨م) في مدينتي أريولة (Orihuela) ومرسية (Murcia) [*] فكان تأثيره كبيرا جدا تهدمت الدور ووقعت الصوامع والبنيان العالي ولحق الأذى بجامع أريولة فتداعى مع صومعته ((وانشقت الأرض في كل ناحية . . . وغارت أعين كثيرة وحدث في بعضها ما له رائحة منتنة))[٢].

وعلى عهد الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف داهم الأندلس زلزال عظيم سنة (٥٦٥ هـ/ ١١٦٩ م) عند طلوع الشمس و في الظهر ضرب مدينة أندوجر (Andujar) [*] واستمر لعدة أيام مما تسبب بإلحاق أضرار جسيمة في هذه

---

(١) ابن أبي زرع ،الأنيس المطرب ، ص ١١٨ ؛ أبو العباس أحمد الناصري ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق : جعفر الناصري ومحمد الناصري ، (الدار البيضاء ، دار الكتاب ، ١٩٥٤م) : ١ / ٢٢٦.

(*) اريولة ومرسية مدينتان تقعان في شرق الأندلس ضمن كورة تدمير ، وأريولة عبارة عن حصن وهي قاعدة تدمير، أما مرسية فهي مدينة محدثة إسلامية بنيت في عهد الإمارة ، الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ٣٤ ، ١٨١ ؛ عماد الدين إسماعيل المعروف أبو الفداء ، تقويم البلدان ، (بغداد ، مكتبة المثنى ، د.ت) ، ص ١٧٩ ؛ للمزيد ينظر : هديل يوسف محمود البارودي ، مرسية ودورها في التاريخ السياسي والحضاري للاندلس ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، (جامعة الموصل ، كلية التربية ، ٢٠٠١م).

(٢) أحمد بن عمر بن أنس العذري ، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار و تنويع الآثار في غرائب البلدان والمسالك ، تحقيق : عبد العزيز الاهواني ،(مدريد ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، ١٩٦٥م) ، ص ٨ ؛ حتاملة ، موسوعة الديار : ١ / ١٨٠ و ٢ / ١٠٢٠ .

(*) أندوجر أو(أندوخر) مدينة من توابع جيان تقع إلى الشمال الشرقي من قرطبة في بسيط من الأرض على نهر الوادي الكبير تحيط بها أشجار الزيتون من جميع جهاتها وأرضها أرض زرع وحراثة ، أبن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص ٢٧١ ، هامش ٢ ؛ وينظر : ناظم عواد الدليمي ، تاريخ مدينة جيان في الأندلس، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الموصل، كلية التربية، ٢٠٠٨م)، ص ٢٣.

المدينة ((حتى كادت أن تتحول وتغوص بها الأرض)) [1] ، ثم أتصل الزلزال بمدينة قرطبة وغرناطة وأشبيلية وجميع الأندلس وكان من شدته أن الرائي كان يرى حيطان الديار تضطرب وتميل إلى الأرض ثم ترتفع وترجع إلى حالها بقدرة الله تعالى ، فتهدمت ديار كثيرة في البلاد ومساجد عديدة [2].

وقد أدى هذا الزلزال بطبيعة الحال إلى موت الكثير من أهل الأندلس وإلى ضياع ممتلكاتهم وتشريد عائلات كثيرة منهم [3].

٤-أحـــوال مناخيـــة أخـــرى :

لابد لنا قبل أن نطوي صفحات حديثنا عن العوامل المناخية والبيئية للأزمات الاقتصادية أن نتطرق إلى ظروف مناخية أخرى أقرب ما توصف به أنها ظروف سيئة ألحقت أضراراً اختلفت درجتها من حيث الشدة .

إن اختلاف درجات الحرارة ، وهبوب الرياح الشديدة ، وتساقط الأمطار الغزيرة ، والتي قد يرافقها في أغلب الأحيان نزول البرد وفي البعض الأخر تساقط الثلوج هي أبرز تلك الظروف المناخية ، ويواجه المتتبع لتلك الاحوال صعوبة كبيرة جدا في محاولته جمع المعلومات عنها من بطون المصادر ، فلا يرد منها إلا النزر اليسير في صفحات كتاب هذا المؤرخ أو ذاك فلا يمكن أن نقدم صورة متكاملة لما مر على الأندلس من تلك الظروف خلال حقبة الدراسة .

وعلى أية حال فقد امتاز مناخ الأندلس بطيب الهواء واعتدال الحرارة في فصوله الأربعة فلا يتولد في إحداها فصل يتولد منه فيما يتلوه انتقاص [4].

---

(١) ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص ٣٩٧ .

(٢) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ٣٩٧ ؛ عنان ، دولة الإسلام (عصر الموحدين) ، ص ٤٣.

(٣) مراجع عقيلة الغناي ، سقوط دولة الموحدين ،(بيروت ، مطابع الشروق ، ١٩٧٥م) ، ص ١١٢ .

(٤) المقري ، نفح الطيب : ١ / ١٢٠ .

ولا يذكر عن الأندلس في المصادر الجغرافية ما يناقض هذا الوصف إلا ما ذكره الزهري عن مدينة غرناطة التي تقع على جبل شلير (Solarus) والذي لا يخلو منه الثلج صيفا ولا شتاءً حتى يخشى صعوده لشدة برودته فتهب فيه ريح تسمى (الدّاخل) وهي شديدة البرودة فإذا ما أصابت البشر أو الحيوان هلكوا من شدة البرودة [1] ، لذا فقد امتاز مناخ غرناطة في الشتاء خاصة بشدة البرودة ، وتساقط الثلوج من جراء وقوعها بالقرب من جبل شلير[2] .

وتختلف الأندلس بين شرقها وغربها بحسب الرياح التي تهب عليها فالقسم الغربي منها تهب عليه الرياح الغربية ويمطر بها ، والقسم الشرقي منها تهب عليه الرياح الشرقية ويمطر بها كذلك [3] ، وقد وضحنا هذا فيما سبق عند الحديث عن الجغرافية الاقتصادية للاندلس .

لذا نجد أن أغلب الرياح القوية التي تهب على البلاد ترافقها أمطار شديدة والتي قد تترافق مع نزول البرد الذي يختلف حجمه وتأثيره في كل مرة عن سابقه .

وفي حالات أخرى قد تسقط الثلوج بدل الأمطار كما حصل في عام (٢٧٤ هـ / ٨٨٧ م) على عهد الأمير المنذر بن محمد عندما كانت البلاد تعاني من القحط الشديد فكان نزول الثلوج بدل الامطار له تأثير كبير في زيادة حدة الأزمة إلى أن فرج الله على عباده بنزول المطر[4] .

وقد تسقط الثلوج أو البَرَد دون أن يتزامن معه سقوط الأمطار وهبوب الرياح فيذكر ابن حيان أن البَردَ سقط على مدينة تطيلة[*] (Tudela) سنة (٣٠٣

---

(١) كتاب الجغرافية ، ص ٩٤ ؛ ينظر : البكري ، جغرافية الأندلس ، ص ٨٤ – ٨٥ .
(٢) الزهري ، كتاب الجغرافية ، ص ٩٦ .
(٣) المقري ، نفح الطيب : ١ / ١٢١ .
(٤) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢ / ١١٩ .
(*) تطيلة مدينة اندلسية قديمة تقع بالقرب من سرقسطة في اقصى ثغور المسلمين وباب من الابواب التي يدخل منها الى بلاد المشركين وهي حسنة البناء كثيرة الخيرات ، ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص ٢٨٧ ؛ مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، ص ٧٤ .

هـ / ٩١٥ م) وكان شديدا غليظا خرب أسقف الدور وأذهب بالزرع وخضرة البساتين فكانت أثاره سيئة على الناس في المدينة[١].

كما شهدت بلاد الاندلس هبوب الرياح الشديدة وذلك في عام (٣٠٧هـ/ ٩١٩م) والتي اقتلعت معها الاشجار وهدمت الديار واوقعت الهلع والفزع بين الناس[٢].

وفي عام (٣٣٠ هـ / ٩٤١ م) وبعد أن كانت البلاد تعاني من القحط وبتكرار صلاة الاستسقاء مرارا نزل الثلج بدل المطر رافقه أحوال جوية سيئة فهبت الرياح الشديدة واستمرت الثلوج بالهطول حتى أرتفع فوق الأرض فغطاها وعلا عليها ثم جاء المطر مع الثلج واستمر الحال كذلك إلى أن سقى الله تعالى عباده وفرج عنهم بنزول المطر وإرواء الزرع[٣].

وفي سنة (٣٣٢ هـ / ٩٤٣م) ((هبت ريح عاصف . . . فاقتلعا كثيراً من شجر الزيتون والتين وغيرها من الأشجار والنخيل)) وخلعت الرياح الكثير من قرمد السقوف ، ثم تبع ذلك مطر شديد والذي رافقه نزول البَرَد الكبير فقتل من الحيوانات والطيور والمواشي وأتلف ما أصابه من الزرع فكان سيء التأثير على البلاد ، كما هبت رياح قوية على قرطبة من جهة القبلة في سنة (٣٣٣ هـ / ٩٤٤م) ايضا رافقه بَرَد كبير[٤].

أما في عام (٣٣٨هـ/ ٩٤٩م) وعام (٣٣٩ هـ/ ٩٥٠ م) فقد شهدت البلاد في كلا العامين نزول البَردَ الكبير الذي تسبب بقتل الطيور والبهائم والحيوانات

---

(١) المقتبس ، تحقيق : شالميتا ، ص ١٢٤ .
(٢) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ١٦١ .
(٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : شالميتا ،ص ٤٧٧-٤٧٨ .
(٤) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢ / ٢١١ ؛ ينظر : مؤنس ، موسوعة تاريخ الاندلس :١/ ٣٣٢ .

فضلا عن إتلاف الأشجار والزروع والثمار فتفاقم سوء الامر إذ كان مرافقا لأوضاع اقتصادية سيئة آنذاك[1].

كما هبت الرياح العاصفة القوية في عام (٣٤٠ هـ/ ٩٥١م) رافقها البرق والرعد فنزلت صاعقة شديدة القوة أدت إلى قتل امرأة وأصابت أخرى [2].

وفي سنة (٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م) نزل البرد الكثير الذي أتلف الزروع والأشجار واهلك البهائم والمواشي لشدته [3].

ثم كانت سنة (٣٥٥ هـ/ ٩٦٥ م) والتي شهدت البلاد بها هبوب الرياح الشديدة التي ((قلعت الأشجار وهدمت الديار وقتلت الرجال)) [4].

وفي أخر ليلة بقيت من سنة (٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م) هبت ريح قوية رافقها بروق ورعود أفزعت من سمعها وأمطرت سماء قرطبة مطرا وابلا روى الأرض وأفاد الزرع [5].

وعلى الرغم من الفوائد الجمة للأمطار ومنافعها ،إلا أنها قد تشكل في الوقت نفسه خطرا كبيرا على حياة الإنسان وتلحق الأضرار بالأموال والممتلكات إذا ما كانت غزيرة فتتشكل منها السيول الجارفة وتفيض من جرائها الأنهار الجارية.

وفي سنة (٣٦١ هـ / ٩٧١ م) نزل بقرطبة غيث وابل أتصل أياماً وليالي عدة رافقه رياح باردة شديدة الهبوب ، والغيث في كل ذلك يزداد سقوطا ، ثم غطى الثلج قرطبة وما حولها حتى فاض النهر (نهر الوادي الكبير) وصادف في

---

(١) الناصري ،الاستقصا : ١ / ١٩٣ ؛ مؤلف مجهول ، تاريخ الاندلس ، تحقيق : عبد القادر بوباية ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٧م) ، ص ٢٠٣.

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢ / ٢١٨ .

(٣) الناصري ، الاستقصا : ١ / ١٩٣ .

(٤) الناصري ،المصدر نفسه : ١ / ٢٠٥ ؛ مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ،ص ١٧١.

(٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص ٦٦ .

ذلك اليوم خروج موكب الخليفة الحكم فضاق به وبمركبه الطريق لشدة الأمطار وفيضان النهر مما دفع الخليفة الحكم أن يأمر بعد ذلك بتوسيع الدرب والرصيف لتيسير سلوك الناس[1].

كما أن تذبذب سقوط الأمطار قد يلحق الأذى أيضا بالزرع ويثير الفزع عند الناس خوفا من أن تكون السنة سنة قحط ، ففي سنة (٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م) وكما يروي ابن حيان واجهت قرطبة رياح شديدة متوالية ثم أعقب ذلك سقوط الغيث وكان المطر ينزل تارة ويقلع تارة حتى خاف الناس على زرعهم وظنوا ان القحط واقعٌ بهم فخرجوا يستسقون الله تعالى ليغيثهم إلا أن المطر لم ينزل بل نزل ثلج استمر ثلاث ليالي أدى إلى أتلاف الزروع ولاسيما أشجار الكروم والتين وكان أكبر ضرره على المناطق المنخفضة ، إلى أن جاد الله على عباده بالمطر فاستنقذ الزرع [2].

وفي سنة (٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م) هبت رياح شديدة رافقها نزول المطر الغزير في نهاية الخريف وكان مفتتح الزراعة فبادر الناس بالحرث والزرع [3] ، واستمرت الأمطار بالهطول وقد تباينت ما بين الشدة والضعف خالطها رعد وبرق ونزل بَرَد كبير في بعض مواقع قرطبة وصل وزن بعض من حبوبه وزن ثلاثة دنانير وأكثر وكان لتلك الفترة الطويلة التي تساقطت بها الأمطار أثرها على منسوب نهر الوادي الكبير الذي زاد عن حده الطبيعي ، واستمر كذلك إلى ان بدء بالتناقص تدريجيـا بعد ذلك [4].

---

(١)ابن حيان، المقتبس، تحقيق: الحجي، ص ٦٧؛ ينظر: مصطفى، الكوارث والظواهر الطبيعية، ص٣٢٣.

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٠ – ١٠١ ، ١٠٧ .

(٣) النقيب ، الأزمات الاقتصادية ، ص ١٦ .

(٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص ١٤٤ – ١٤٥ .

ولم يطل الحال حتى عاد نزول المطر وهياج الرياح الشديدة العاصفة التي اقتلعت كثيرا من شجر الزيتون وقطعت أغصانها وكسرت كثيرا من الشجر فكان أثر الرياح القوية سيئاً جدا واستمر المطر بالهطول فتمادى نزوله يومين متتابعين فعاد النهر من جديد إلى الزيادة وأغرق المحجة (الرصيف) وصادف نزول الأمطار الشديدة وفيضان النهر إقبال الناس إلى المسجد الجامع يوم الجمعة فبلل أثوابهم وأضطرهم إلى التدافع والتناحر لدخول المسجد اتقاءً من تلك الأمطار فازدحموا بداخله فمنع هذا الحال الكثير منهم من أداء الصلاة(١).

ويشير ابن حيان في أحداث سنة (٣٦٤ هـ / ٩٧٤ م) إلى نزول الثلوج على مدينة قرطبة وأقاليمها وكان كثيرا لم يعهد بمثله من قبل وتبع تلك الثلوج نزول الامطار وهبوب الرياح الشديدة مما تسبب بزيادة مياه نهر الوادي الكبير عن حده الطبيعي(٢).

كما سقطت الأمطار الغزيرة والتي تسببت بحدوث السيول وذلك عام (٣٧٣هـ/ ٩٨٣م) (٣).

وفي عام (٣٨٢هـ/ ٩٩٢م) هبت الرياح الشديدة التي دامت ثلاثة اشهر ونصف مستمرة الهبوب حتى هدمت الديار واقتلعت الأشجار وساءت أحوال الناس من جرائها (٤).

اما عام (٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م) فقد هاجت الرياح الشديدة والتي أدت إلى تلف المحاصيل الزراعية فنتج عن ذلك تضرر معايش الناس فغلت الأسعار وشحت الأقوات(٥).

---

(١)ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص ١٥٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٩ .
(٣) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ١٨٤ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٨٤ .
(٥) الناصري ، الاستقصا : ١ / ٢٢٦ ؛ مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ١٨٤ .

وأصاب الجيش الهلع الشديد من جراء ما عانوه في عام (٣٩٦ هـ / ١٠٠٥ م) من ((مطر شديد اصابهم ببَرَد كثير وبرق متتابع ورعد قاصف ارتاع الناس به جدا وتوالى البرق وجاءت في أثره قصفات مفزعة ألبست الناس خشوعا . . . فجهروا إلى الله ضارعين لكشف ما بهم)) ففرج الله عنهم وكانت تلك الأحوال مرافقة لإحدى غزوات الحاجب المظفر عبد الملك بن محمد بن أبي عامر (٣٩٢-٣٩٩هـ/ ١٠٠٢-١٠٠٨م) لاراضي العدو شمال غرب مدينة سرقسطة [١].

أما في عام (٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م) فقد كان البَردَ العظيم الذي أصاب البلاد وكان ذا تأثير على الناس حتى قال عنه الشاعر :

أرسل ملء الأكف من بَردَ	جلامدا تنهمي على البشر
فيا لها أية وموعظة	فيها نذير لكل مزدجر
كاد يذيب القلوب منظرها	ولو أعيرت قساوة الحجر [٢].

كما أن للأحوال الجوية السيئة دوراً في إفشال تحركات عسكرية تقوم بها الجيوش ، ففي سنة (٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م) خرجت حشود من النصارى نحو مدينة جيان[*] (Jaen) وساروا نحو الوادي الكبير واستعدوا لعبور النهر ، إلا أن شدة الأمطار الهاطلة منعتهم من عبوره واستمرت تلك الامطار مدة عشرين يوما حتى فاض النهر وعجزت الخيل عن العبور فاتخذ النصارى بعض المعادي فوق الماء في محاولة منهم لعبور النهر إلا ان تلك المعادي تكسرت بهم وغرق من كان عليها فانصرف النصارى دون تحقيق غرضهم، واستمر الأمير علي بن يوسف بن تاشفين

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٣ / ١٣ .

(٢) ابن بسام ، الذخيرة : ق١ مج١ / ٤٧٠ .

(*) جيان مدينة اندلسية تقع غرب الأندلس إلى الشرق من قرطبة لها قصبة منيعة وحصون كثيرة وبها مزارع وبساتين وغلات ، الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٧٠ ؛ مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، ص ٤٦ .

(٥٠٠ –٥٣٧ هـ / ١١٠٦–١١٣٢ م) يترقب الفرصة للرد على النصارى والسير إليهم لأسابيع إلا أن شدة الأمطار وكثرة السيول التي غمرت الطرق والبسائط أعاقته عن مقصده [١].

وفي سنة (٥٦٧هـ/ ١١٧١م) وفي حين كان الموحدون يحاصرون مدينة وبذة (Huete) [*] في محاولة منهم لاستعادة المدينة من أيدي النصارى الذين حاولوا مفاوضة الموحدين وتسليم المدينة صلحا على أن يؤمن أهلها ألا أن الموحدين لم يعيروا أي عناية لذلك الطلب ، واستمروا بحصار المدينة حتى هبت ريح قوية على معسكر الموحدين في العشرين من شهر ذي القعدة اقتلعت الخيام ومزقتها وتلاها مطر شديد ورعد وبرق اوقع الفوضى والارتباك في معسكر الموحدين واستمرت العواصف إلى اليوم التالي [٢] .

وفي اليوم الثاني والعشرين من الشهر نفسه ازدادت الريح عصفا والسماء برقا ومطرا إلى صبيحة اليوم التالي حيث حاول الموحدون تجميع قواتهم والهجوم على المدينة المحاصرة لكنهم فوجئوا بمطر كثيف افسد خطتهم فهطل مطر غزير كالسيل بلل ثيابهم وأعاق تحركاتهم فارتدوا إلى ان أشرقت السماء عند الظهر وانقطع المطر فاندفع الموحدون الى القتال لكن دون جدوى فعدوا ما حدث سخطا من الله عليهم فقد هطلت الأمطار على اشد ما يكون لينتهي الأمر بانسحاب الموحدين وترك المدينة [٣] .

ولم يقتصر تأثير الأحوال المناخية السيئة في توقف تحركات جيش ما أو فشل حصار فقط ، بل كان لها في بعض الأحيان دور في سقوط المدن وخير مثال

---

(١) عنان ، دولة الإسلام (عصر المرابطين) ، ص ١٤٣ .

(*) وبذة مدينة بالأندلس محصنة تقع على واد بقرب حصن إقليش (Ucles) الذي يقع في كورة شنتبرية (Santaver) ، الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص٢٨ ، ١٩٤ .

(٢) الغناي ، سقوط دولة الموحدين ، ص١١٦ .

(٣) عنان ، دولة الإسلام (عصر الموحدين) ، ص٧٨ – ٧٩ ؛ الغناي ، سقوط دولة الموحدين ، ص١١٦-١١٧ .

على ذلك ما حدث لمملكة غرناطة فقد أسهم دخول الشتاء ونزول الثلوج إلى سد الطرق والدروب الموصلة إلى منطقة البشرات (Alpujaras) والتي كانت تمد غرناطة بالمؤن أثناء حصارها الأخير فانقطع بذلك الجالب بسبب تلك الثلوج وقل الطعام و المؤن في المدينة المحاصرة واشتد الجوع بالناس مما دفعهم إلى طلب التسليم فسقطت آخر المعاقل الإسلامية في الأندلس (٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م) [١] .

ثانيا : العوامـــل الحياتيــة:

١- الأوبئة والأمراض البشرية :

تعد الأوبئة والامراض من أهم المسببات للازمات الاقتصادية وان اختلف تأثيرها عما سبقها من أسباب فان كانت حالات انحباس الأمطار والفيضانات والزلازل والعواصف والثلوج والبرد وغيرها تؤثر بشكل مباشر في الزرع وما تجود به الأرض فتؤثر في اقتصاد البلاد ، فان الأمراض التي تصيب الإنسان تؤثر فيه مباشرة فيموت من جرائها أعداد هائلة ويفر هربا من يقدر على ذلك خوفا من تلك الأمراض التي تكون فتاكة تجتاح المجتمع بأسره فتتعطل بذلك الحياة الاقتصادية لفترة قد تطول بسبب المرض وفقدان القوى العاملة الانتاجية [٢] .

وقد ميز العلماء بين الطاعون والوباء اللذان يصيبان المجتمع فيعدون الطاعون وباء الا أنهم يرون الوباء أوسع واشمل وبذلك يكون الطاعون نوعاً من أنواع الأوبئة [٣] .

---

(١) المقري ، نفح الطيب : ٥ / ٤٠٦ ؛ عنان ، دولة الإسلام (نهاية الأندلس) ، ص ٢٢٥ ؛ محمد عبد الله عنان ، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ،(ط٤ ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٢م) ، ص٢٩٧.

(٢) المختار ، الأزمات الاقتصادية ، ص٥٨ .

(٣) احمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، (ط٣، دمشق، دار الفيحاء، ٢٠٠٠م): ١٠/ ٣٢٢ ؛ المختار ، الأزمات الاقتصادية ، ص٥٨-٥٩ .

أشار ابن خلدون (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) إلى سبب انتشار الوباء بقوله ((وسببه في الغالب فساد الهواء بكثرة العمران لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة وإذا فسد الهواء وهو غذاء الروح الحيواني وملابسه دائما فيسري الفساد إلى مزاجه فان كان الفساد قويا وقع المرض في الرئة وهذه هي الطواعين وأمراضها مخصوصة بالرئة وان كان الفساد دون القوي والكثير فيكثر العفن ويتضاعف فتكثر الحميات في الأمزجة وتمرض الأبدان وتهلك))(١).

فإذا كان الوباء هو فساد الهواء والذي بدوره يؤثر في الأبدان فيصيبها بأنواع مختلفة من الأمراض والحميات، فان الطاعون مرض شديد العدوى ينتشر بصورة وبائية ترتفع نسبة الوفيات فيه إذا أهمل علاج المرضى فينتقل من إقليم إلى إقليم (٢).

وبوصف أدق هو مادة سمية تحدث ورما قتالا يصيب المناطق الرخوة من البدن وسببه دم رديء مائل إلى العفونة والفساد (٣).

وقد ورد عن رسول الله (ﷺ) انه سئل عن الطاعون فقال ((غد كغدة البعير تخرج في المرافق والاباط)) (٤) ، كما نهى النبي (ﷺ) التفرق عن الطاعون قال ((إذا سمعتم بالطاعون في ارض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه)) (٥).

---

(١) عبد الرحمن بن محمد الحضرمي ، مقدمة ابن خلدون ، (بيروت، دار إحياء التراث، ١٩٩٩م): / ٣٠٢ - ٣٠٣ .

(٢) احمد عطية الله ، القاموس الاسلامي،(القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٧٦م): ٤/ ٤٢٥؛ مجموعة مؤلفين ، الموسوعة الطبية الحديثة، ترجمة احمد عمار واخرون ،(ط٢، القاهرة،مؤسسة سجل العرب،١٩٧٠م):٩/ ١٢٨١ .

(٣) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري : ١٠/ ٢٢٢.

(٤) الونشريسي ، المعيار المعرب : ١١ / ٤٥٩ ؛ النباهي ، المرقبة العليا ، ص١٦٦ .

(٥) ابو عبد الله محمد البخاري ، صحيح البخاري ، تنقيح : محمد فؤاد عبد الباقي ، (القاهرة ، دار البيان الحديثة ، ٢٠٠٣م) ، ص٨٣ وما بعدها .

وقد فسر العلماء سبب نهي رسول الله (ﷺ) عن الخروج من ارض الوباء على أن ذلك فيه تقصير بحقوق المسلمين من التمريض والغسل والدفن فلا يجوز إهمالهم ولاسيما أن هذا المرض يكون عاماً في البلد ويوقع ضحايا كثيرة [1] .

وتنتشر الأوبئة في المناطق المنخفضة والرطبة والمزدحمة بالسكان وقد تنتشر في اعوام المجاعات والقحوط حيث يضطر الناس في تلك الأعوام الى اكل الجيف هذا إن لم يضطروا إلى أكل بعضهم البعض ، وتكون في حالات مرافقة للحروب والحملات العسكرية [2].

ومن الملاحظ أن المؤرخين يوردون في بعض الأحيان تسمية الطاعون على ما يقع من مرض في منطقة ما وهذا أمر واضح لنا ، إلا أنهم كثيرا ما يكتفون بذكر الوباء دون تحديد ماهيته فيصعب على القارئ معرفة أي وباء أصاب ذاك المجتمع او البلد لعدم ذكر تسمية واضحة للوباء أو حتى ذكر أعراض المرض وقد يعود ذلك إلى جهلهم بتلك الأمراض أو التباس الأمر لديهم خاصة إذا ما تشابهت أعراض بعضها مع بعض وقد يكون ندرة وقوعها سببا وجيها لعدم معرفتهم بنوعها واسمها .

وفي الأندلس وعلى عهد الأمير الحكم بن هشام وقع الوباء الشديد في البلاد وذلك في عام (١٨٩هـ/ ٨٠٤م) ترافق معه المجاعة فكان سببا في موت أعداد كبيرة من الناس[3].

وعلى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن عم الوباء البلاد سنة (٢٦٠ هـ/ ٨٧٣م) وانتشر فيها متزامنا مع غلاء الأسعار وقلة الأقوات فهلك من جراء ذلك خلق كثير ولم يقتصر هذا الوباء على الأندلس فحسب بل شمل أيضا افريقية

---

(١) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري : ١٠ / ٢٣٣ ؛ الونشريسي ، المعيار المعرب : ١١ / ٣٥٨ .
(٢) عطية الله ، القاموس الإسلامي : ٤ / ٤٢٥ .
(٣) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ١٣١ .

وبلاد المغرب [1] ، وقد ذكر ابن الاثير ان ذلك الوباء هو الطاعون [2] ، وهذا يتماشى مع سعة الرقعة الجغرافية التي انتشر بها .

ويقدم ابن ابي زرع تفاصيل أوسع عن الوباء الذي حل بالبلاد عام (٢٨٥هـ/ ٨٩٨ م) فقد سبقته مجاعة شديدة اضطر الناس معها إلى أكل بعضهم البعض بعد أن فقدت الأقوات فانتشر المرض والوباء على اثر ذلك فقتل الكثير من الناس حتى استحال إحصاءهم فكان يدفن في القبر الواحد أكثر من شخص عجز معها تغسيل من مات منهم والصلاة عليه فكانوا يدفنون من غير غسل ولا صلاة لقلة القادرين على القيام بذلك [3] .

ويشابه وصف ابن ابي زرع عن هذا الوباء ما ذكره صاحب كتاب ذكر بلاد الأندلس إلا انه يجعل وقوع المرض والوباء وموت تلك الأعداد الكبيرة من الناس في عام (٢٨٨هـ/ ٩٠١م) [4] .

وزاد من عظم البلاء الذي حل بالأندلس من قحط وجفاف سنة (٣٠٢-٣٠٣هـ/ ٩١٤-٩١٥م) انتشار الوباء بين الناس فقد بلغت الحاجة مبلغا عظيما وارتفعت الأسعار فانتشر المرض بين ضعاف الناس حتى عجز عن دفنهم يقول ابن حيان في هذا ((وعاث الموتان في هذه الأزمة)) ، والموتان هو الموت العام ، بيد ان المرض سرى الى الجميع وطال علماء الأندلس وخيارهم حتى ان كثرتهم حالت دون ذكرهم هذا ما عدا من مات بمناطق بعيدة في البلاد عجز عن إحصائهم ومعرفة أعدادهم لبعد المسافة [5] .

---

(١) ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب ، ص٩٦-٩٧ ؛ ينظر : مصطفى ، الكوارث والظواهر الطبيعية ، ص ٣٢٨ .

(٢) الكامل : ٦/ ٢٤٩ .

(٣) الأنيس المطرب ، ٩٧ .

(٤) مجهول ، ص ١٥٦ .

(٥) المقتبس ، تحقيق : شالميتا ، ص١٠٩ – ١١٠ ؛ مجهول ، قطعة من تاريخ عبد الرحمن الناصر ، ص٥٠ .

وقد ذكر ان الوباء الذي حل بالأندلس في ذلك العام كان الطاعون فقد ورد ضمن الترجمة الشخصية لأحمد بن بيطير من أهل قرطبة وفقهائها الذي توفي بذلك الطاعون سنة (٣٠٣هـ/ ٩١٥م) [١] .

كما عم الطاعون بلاد الأندلس والمغرب وافريقية في عام (٣٠٧هـ/ ٩١٩م) تسبب بموت أعداد من الناس حتى عجز عن دفنهم لكثرتهم[٢] .

ويبدو ان طاعونا قد وقع بالأندلس سنة (٣٣٨هـ/ ٩٤٩م) على عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر إلا أننا لا نعلم عن تفاصيله شيئاً سوى معلومة وردت ضمن ترجمة احمد بن دحيم القرطبي الذي توفي في هذه السنة بالطاعون وكان هذا من اهل العلم حافظا لمذهب مالك تولى قضاء طليطلة إلى أن توفي [٣] .

وفي عام (٣٤٤هـ/ ٩٥٥م) وعلى عهد الخليفة نفسه وقع الوباء العظيم في الاندلس والمغرب اودى بارواح خلق كثيرة [٤] ، الا ان هذا الوصف العام غير الدقيق يحول دون معرفتنا بحجم الخسائر البشرية التي ذهبت من جراء ذلك الوباء .

كما شهدت البلاد في عهد الحجابة العامرية وتحديدا في عام (٣٧٣هـ/ ٩٨٣م) انتشار الوباء العظيم ووقوع الموت الكثير بين الناس تزامن ذلك مع سقوط الامطار الكثيرة والتي تسببت بحدوث السيول[٥] .

وفي عام (٤٠١هـ/ ١٠١٠م) وفي بداية احداث الفتنة القرطبية كان الطاعون في الاندلس ولا نعلم ان كان هذا المرض في ذلك العام قد شمل جميع البلاد ام اقتصر على قرطبة فقط ، فقد ذكر أن الأخ الأكبر لأبي محمد علي بن حزم وهو أبو بكر كان قد توفي في سن باكرة في الثانية والعشرين من عمره

---

(١) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس : ١ / ٢٨ ؛ عياض ، ترتيب المدارك : ١/ ١٩٤ .

(٢) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ١٥٦ ؛ مجهول ، تاريخ الأندلس ، ص ٢٠٣ .

(٣) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس : ١ / ٣٦ ؛ عياض ، ترتيب المدارك : ١/ ٢٠١ – ٢٠٢.

(٤) ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب ، ص١٠٠ ؛ الناصري ، الاستقصا : ١ / ١٩٣ .

(٥) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص١٨١ .

بالطاعون الواقع بقرطبة في تلك السنة [١] ، وتوفي احمد بن محمد بن الجسور الأموي بقرطبة في ذلك المرض في تلك السنة وكان من اهل العلم والحديث [٢] ، كما توفي فيه ايضا عمر بن حسين الأموي وهو من شيوخ قرطبة وخيرة اهل العلم والدين فيها[٣] .

وتجدد الحديث عن وباء اجتاح المغرب والأندلس في عام (٤٠٧هـ/١٠١٦) وقد رافقه قحط شديد عانت منه البلاد فوقع الناس في ضيق عامة [٤] ، ولاسيما انه تزامن مع ما كانت تعانيه البلاد انذاك من فوضى وفتنة .

ويبدو أن أخبار الأوبئة والطواعين التي تردنا عن طريق التراجم الشخصية لا تقدم لنا ما يكفي من الإيضاح إنما تقتصر على ذكر الشخص وسنة وفاته بذلك المرض ، ففي سنة (٤٥١هـ/١٠٩٤) توفي خلف بن يوسف المقريء البربشتري من أهل الحديث والقران وكانت وفاته بالطاعون [٥] .

ولم يقتصر تاثير الاوبئة والامراض في المجتمع والناس فحسب بل كانت في بعض الأحيان تتفشى في الجيوش المحاربة او المحاصرة لمدينة ما فتضطرهم الى الانسحاب وترك مواضعهم كما حدث للجيش المرابطي عام (٥٠٣ هـ/١١٠٩م) عندما كان عائدا من حصار طليطلة [٦] ، متجها الى مجريط (Modrid) [*] ووادي

---

(١) ابو محمد علي بن احمد ابن حزم ، طوق الحمامة في الألفة والآلاف ، تحقيق : نزار وجيه فلوح ،(بيروت ، المكتبة العصرية، ٢٠٠٨ م) ، ص٢٠٠ .

(٢) ابن بشكوال ، الصلة : ١/ ٢٣ - ٢٤ .

(٣) المصدر نفسه : ٢/ ٣٩٦ .

(٤) ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب ، ص١١٨ .

(٥) ابن بشكوال ، الصلة : ١/ ١٦٩ -١٧٠ ؛ ارسلان ، الحلل السندسية : ١/ ١٨٥ .

(٦) عن الحملة المرابطية ينظر: ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، ص١١٦ .

(*) مجريط (او مدريد) : مدينة صغيرة على مقربة من طليطلة بناها الامير محمد بن عبد الرحمن لها قلعة منيعة وحصنها من الحصون الجليلة ، الرشاطي ، اقتباس الانوار ، ص ٣٨ ؛ الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٧٩ .

الحجارة (Guadalajara) (*) وغيرها من القواعد لاعادة السيطرة عليها واستطاعوا تحقيق ذلك حتى دب الوباء في الجيش المرابطي فاضطر الامير علي بن يوسف بن تاشفين الى مغادرة تلك الاراضي والعودة الى قرطبة خوفا من استفحال الامر [1] .

وفي عام (٥٢٦هـ/ ١١٣١م) تزامن الغلاء والجاعة مع اشتداد الوباء بالناس في قرطبة فكثر من جراء ذلك الموت بين الناس وانتشرت الفوضى في ارجاء المدينة وكثر اهل الشر المروجين لها فكان والي المرابطين على قرطبة يجد في ملاحقتهم وعقابهم[2] .

وفي سنة (٥٧١هـ/ ١١٧٥م) عم الطاعون الشديد ارض المغرب الاقصى وكان فتاكاً قتل من العوام الكثير حتى بلغ عدد الضحايا كل يوم مائتي شخص ضاق بهم المسجد الجامع في مدينة مراكش فأمر الخليفة الموحدي ابا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ان يصلى عليهم بسائر مساجد المدينة ، ولحق المرض بسادات الموحدين وحاشية الخليفة حتى فني معظم رجال الحاشية والخدم [3] ، الى ان اصيب الخليفة الموحدي وأخوه السيد ابو حفص وأوشكا على الهلاك لكنهما شفيا من المرض بعد ذلك[4] .

(*) وادي الحجارة : مدينة تقع الى الشرق من طليطلة تعرف بمدينة الفرج لها اسوار حصينة تكثر بها الخيرات والبساتين ، الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٩٣ ؛ مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، ص ٥٨-٥٩ .

(١) عنان ، دولة الإسلام (عصر المرابطين) ، ص٦٩ ؛ سلامة محمد الهرفي ، دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين ،(بيروت ، دار الندوة الجديدة ، ١٩٨٥م) ، ص٢٠٠ .

(٢) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص١٩٧ ؛ الزيات ، مظاهر اقتصادية ، ص١١٧ .

(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ، العصر الموحدي ، ١٠٩ ؛ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،(بيروت ، مؤسسة جمال ، ١٩٧٩م) : ٦/ ٢٤٠ .

(٤) عنان ، دولة الإسلام (عصر الموحدين) ، ص٩٤-٩٥ ؛ علي محمد الصلابي ، دولة الموحدين ،(بيروت ، المكتبة العصرية ، ٢٠٠٧م) ، ص١١٢ .

إن ما يهمنا من هذا الوباء القاتل مدى تاثيره في الأندلس ولاسيما أنها كانت تحت سيادة الموحدين وأي عارض يصيب الدولة في المغرب ينعكس سلبا على الأندلس ووضعها الخاص بمجاورتها للممالك النصرانية ، هذا اذا علمنا ان المرض لم يقتصر على المغرب فحسب بل امتد إلى الأندلس وان كان بصورة اخف مما هو عليه في المغرب الا ان الموت لحق بعدد من شخصيات الأندلس وعامتها فاضعف المعنويات وقلة الأيدي العاملة فتعطلت التجارة والزراعة والصناعة فضلاً عن خسارة أعداد كبيرة من العناصر القتالية القادرة على مواجهة الممالك النصرانية التي استغلت الفرصة وأخذت تعيث بأرض الأندلس فسادا [١] ، ((وكان الناس من ضعف المرض والطاعون لا يقدرون على الحركة)) [٢] ، فلم يستطع الموحدون القيام برد حاسم نتيجة الظروف القاسية التي مرت بها الدولة في ذلك العام [٣] .

وفي عام (٦١٠هـ/ ١٢١٣م) وقع الوباء في بلاد المغرب والأندلس [٤] وقد تزامن هذا الوباء مع حملة النصارى على مدينة ابذة (Ubeda) [*] التي عاثوا فيها فسادا واحرقوا دورها وقتلوا سكانها حتى خلت المدينة وامتلأت الوديان والمواقع بجثث القتلى ونتيجة لذلك حل الطاعون بجند النصارى فقتل اعداد كبيرة منهم ومن سلم اضطر إلى مغادرة المدينة عائدا إلى طليطلة [٥] .

واجتاح الوباء الشديد في عام (٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م) بلاد المغرب والأندلس على عهد الخليفة الموحدي عبد الواحد الرشيد بن المأمون (٦٣٠-

---

(١) الغناي ، سقوط دولة الموحدين ، ص١٢٩ .

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ، العصر الموحدي ،١١٠-١١١ .

(٣) الصلابي ، دولة الموحدين ، ص١١٣ .

(٤) ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب ، ص٢٧٢ ؛ الناصري ، الاستقصا : ٢/ ٢٦٢ .

(*) ابذة مدينة تقع بالقرب من بياسة (Baeza) من أعمال جيان على مقربة من نهر الوادي الكبير وهي مدينة صغيرة ذات مزارع وغلات ، ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص٢٨٤ ؛ الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص١١ .

(٥) الباشا ، الاندلس الذاهبة : ٣/ ٥٠ .

٦٤٠هـ/ ١٢٣٢-١٢٤٢م) وكان مرافقا لغلاء شديد مما دفع أكثر أهل البلاد إلى الهرب من تلك الأحوال السيئة [١] ، ولاسيما أن الدولة آنذاك كانت تعاني من الضعف والتفكك [٢] .

غير أن اشد الطواعين فتكا كان الطاعون الذي وقع في عام (٧٤٩هـ/ ١٣٤٧م) ودام عدة سنوات وشمل مناطق عديدة كان مصدره أسيا الوسطى ومنها انتقل إلى أوربا كلها ومن ضمنها مملكة غرناطة وبلاد الفرنج وامتد إلى شمال إفريقيا ومصر كما اجتاح العراق وبلاد الشام وقبرص حتى سمي بالموت الاسود والطاعون الاسود (Lapeste noiro) فكان من شدته ان المريض لم يحتج الى دواء او طبيب لسرعة موته [٣] .

ان هول هذا الطاعون دفع بالعديد من الكتاب والشعراء الى تسجيل وقائعه، فقد وصف الوزير لسان الدين ابن الخطيب تلك المحنة التي كان معاصرا لها وشاهد عيان لروعها وفتكها في رسالة عنوانها (مقنعة السائل عن المرض الهائل) ، كذلك تحدث عن هذا المرض طبيب المرية وشاعرها الكبير ابن خاتمة (ت٧٧٠هـ/ ١٣٦٩م) حيث وصف عصف الوباء بثغر المرية في رسالة اسماها (تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد) [٤]، وتحدث عنه ايضا محمد بن محمد الاسلمي ويعرف بالبلباني (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) من اهل المرية في تاليف اسماه (اصلاح النية في المسألة الطاعونية) [٥] .

---

(١) ابو مصطفى ، تاريخ الأندلس الاقتصادي ، ص٩٣ .

(٢) طقوش ، تاريخ المسلمين ، ص٥٥٨ وما بعدها .

(٣) مجموعة مؤلفين ، الموسوعة الطبية : ٩/ ١٢٨١ ؛ عطية الله ، القاموس الإسلامي : ٤ / ٤٢٧ .

(٤) عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس ،(بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٩م) ، ص١٠٣-١٠٤ ؛ محمد كمال شبانة ، يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة ، (الرباط ، مطبعة الرسالة ، ١٩٦٩م) ، ص١١٢ .

(٥) ابن الخطيب ، الاحاطة : ٢/٢٤٦ – ٢٤٧ .

في حين كان الشيخ ابو الحسن النباهي شاهدا على ما وقع في بلدته مالقه فيقول في ذلك ((وقد شاهدنا منه غرائب يقصر اللسان عن بيان جملة أجزائها ومنها انتهى عدد الأموات في تلك الملحمة الوبائية بمالقه إلى ما يزيد في اليوم على الألف، بقي بعد ذلك أشهر حتى خلت الدور وعمرت القبور وخرج أكثر الفقهاء والفضلاء والزعماء))[١] .

ومما لا شك فيه أن هذا الطاعون كان الاقسى والاشد على الناس لذا فقد سقطت جمهرة عظيمة من اهل الاندلس بسببه من رجال الدولة وعامة الناس كان في مقدمة ضحاياه ذو الوزارتين الفقيه ابو الحسن علي بن الجياب توفي سنة (٧٤٩هـ/ ١٣٤٧م) الذي تتلمذ على يده الكثير كان منهم لسان الدين ابن الخطيب والذي ورث خطة الوزارة بعده[٢] .

كما فقدت الدار السلطانية كاتب السلطان ابا الحجاج يوسف الاول(٧٣٣-٧٥٥/ ١٣٣٣-١٣٥٤م) محمد بن محمد اللخمي في ذلك الطاعون فكانت فيهما الفجيعة عظيمة[٣].

وممن توفي من اعلام غرناطة أيضا بذلك الطاعون محمد بن احمد العطار واصله من المرية[٤] ، ومحمد بن احمد السلمي خطيب قرية قنجة من قرى غرناطة[٥] ، وعبد الرحمن بن عبد الملك الينشتي الذي كان ينتحل النظم والنثر واصله من كورة البيرة (Elviro)[*][٦] .

(١) المرقبة العليا ، ١٥٦ .

(٢) إسماعيل بن يوسف ابن الأحمر ، نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان ، تحقيق : محمد رضوان الداية ، (بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٧م) ، ص٢٣٩-٢٤٠ ؛ عنان ، دولة الإسلام (نهاية الأندلس) ، ص١٦ .

(٣) ابن الخطيب ، الإحاطة : ٢ / ١٧٢ – ١٧٤ .

(٤) المصدر نفسه : ٣ / ١٤١-١٤٢ .

(٥)ابن الخطيب ، الإحاطة: ٣/ ١٧٧-١٧٨ .

(*) البيرة : مدينة قديمة تقع شمال غرب غرناطة على احد فروع نهر شنيل كثيرة الثمار والاشجار والمعادن ، ابن غالب ، فرحة الانفس ، ص ٢٨٣ .

(٦) ابن الخطيب ، الاحاطة : ٣/ ٤٠٣ .

أما مالقه فقد فقدت خيرة رجالها بهذا الطاعون فتوفي به القاضي احمد بن محمد بن برطال الذي تولى القضاء في غرناطة الى جانب امامة الصلاة في المسجد الجامع وكانت وفاته في بلدته مالقه حيث خرجت جنازته في اليوم التالي لوفاته في ركب من الاموات ناهز الألف وينيف بمائتين [1] .

كان من ضمن ذلك الركب جنازة قاسم بن يحيى الزروالي المعروف بابن درهم وهو من مالقه أيضا كان علماً من اعلامها في العلم والدين[2]، وكذلك جنازة محمد بن احمد الامي المعروف بالقطان فقيه مالقه وواعظها [3] .

ومن اهل مالقه ايضا ممن ذهب ضحية الطاعون محمد بن محمد الصريحي وهو من اهل الخير والمعروف كان قد تصدق بمال كثير وعهد بريع مجزٍ لطلبة العلم في المدينة وجعل كتبه وقفا لطلبة العلم [4] .

وفقدت مالقه شيخها محمد بن عبد الله الأنصاري الذي كان له رحلة إلى المشرق والحجاز وكان حسن الرواية توفي بعد الظهر من يوم الجمعة بعد أن استقبل القبلة ونفث دم الطاعون [5] .

---

(١) ابن الخطيب، المصدر نفسه:١/ ٦٠-٦٢؛ النباهي، المرقبة العليا، ص١٥٩؛ شبانة، يوسف الأول، ص١١٢ .

(٢) ابن الخطيب ، الاحاطة : ٤/ ٢٢٠-٢٢١ ؛ النباهي ، المرقبة العليا ، ص١٥٩ .

(٣) ابن الخطيب ، المصدر نفسه : ٣ / ١٨٢ – ١٨٣ ؛ النباهي ، المصدر نفسه ، ص ١٥٩ .

(٤) ابن الخطيب ، المصدر نفسه : ٣/ ٥٥ .

(٥) المصدر نفسه : ٣/ ١٧٢ – ١٧٣ .

وتوفي بناحية قمارش (Comares)[*] محمد بن علي السكوني وكان خطيب جامع قمارش[1] ، ومن أهل الفضل في هذه المدينة محمد بن علي العبدري كان ناظماً للشعر والنثر له معرفة بالطب فكان يقصده الناس لذلك توفي في ذلك الطاعون ودفن في مالقه[2] .

وقضى القاضي ابو بكر محمد بن منظور القيسي في ذلك الطاعون في بلدته مالقه ودفن بها حيث كان قاضيا وخطيبا بقصبتها [3] .

ولم يقتصر الأمر على مدينتي مالقه وغرناطة فقط فقد توفي علي بن محمد البنا من أفاضل اهل وادي اش [*] بذلك الطاعون ولم يبلغ الثلاثين بعد [4] ، وتوفي من وجهاء وعلماء المرية قاسم بن محمد العمري [5] ، واحمد بن قاسم الجذامي واصله من مرسية وهو من أهل الخير والديانة [6] .

(*) قمارش بلدة بالقرب من مالقه عبارة عن برج شاهق يعلوه بهو وفي هذا البهو كان يعقد مجلس العرش ولهذا سمي ايضا بالمشورة ، وبرج قمارش من اكبر ابراج مملكة غرناطة ، حسين مؤنس ، رحلة الاندلس ، (القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٦٤م) ، ص٢٣٣ .

(١) ابن الخطيب ، الإحاطة : ٣ / ١٣٨- ١٣٩ .

(٢) المصدر نفسه : ٣ / ٦٨- ٧٤.

(٣) النباهي ، المرقبة العليا ، ص١٥٤ — ١٥٥ .

(*) وادي اش مدينة قريبة من غرناطة على الشمال الشرقي منها تحيط بها الأنهار والمياه الكثيرة واهم أثارها القصبة (القلعة القديمة) وقد خص الله أهلها بالأدب والشعر ، المقري ، نفح الطيب : ١/ ١٤٩ ؛ مجهول ، نبذة العصر ، هامش ص٦١ .

(٤) ابن الخطيب ، الاحاطة : ٤/ ١٤٢ — ١٤٥ .

(٥) ابن الخطيب ، الاحاطة: ٤/ ٢٢٢-٢٢٣ .

(٦) ابو العباس احمد بن محمد المكناسي المعروف بابن القاضي ، ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في اسماء الرجال ، تحقيق : محمد الأحمد ابو النور ،(القاهرة ، دار التراث ، ١٩٧٠م) : ١/ ١٣٥.

وفي مدينة لوشة (Loja)(*) توفي خطيبها ومقرؤها احمد بن محمد اللوشي[1] وقاضيها احمد بن عبد الله الهاشمي الطنجالي وكان ممن له نظر في الطب[2].

من كل ما سبق يمكننا ان نتصور مدى قوة ذلك الطاعون وشدته فكتب التراجم المعاصرة لتلك الحقبة الزمنية زاخرة باسماء من قضوا بذلك الوباء من اهل العلم والدين وسواهم لم يذكروا كثيرون.

وقد استغلت الممالك النصرانية كعادتها الوضع المضطرب وانشغال المسلمين في ذلك الوباء القاتل فجهز ملك قشتالة (Casteile) الفونسو الحادي عشر سنة (٧٥٠هـ/١٣٤٨م) جيشاً تقدم به للاستيلاء على جبل طارق (Gibralltar) وضرب الحصار حول المدينة الا ان الوباء لحق بهم وفشا بين جنده فأهلك قسماً كبيراً كان الملك الفونسو اول ضحاياه فاضطر من بقي من الجيش للانسحاب وترك المدينة[3].

وفي سنة (٧٦٥هـ/١٣٦٣م) توفي بطاعون وقع في مدينة مالقة المقريء احمد بن عبد الخالق ابو جعفر الجدلي[4]، ولا يوجد بين ايدينا أية معلومات اخرى تذكر هذا الطاعون وما خلفه من آثار على البلاد.

(*) لوشة: من اقليم البيرة تقع في الجنوب الغربي من غرناطة وكانت مدينة هامة أيام دولة بني نصر وهي على نهر شنيل، الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص ١٧٣ ؛ مجهول، نبذة العصر، هامش ص٥٧.

(١) شمس الدين ابو الخير محمد الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، نشره: برجستر اسر ،(ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية ،١٩٨٠م) : ٩٩/١.

(٢) احمد عيسى، معجم الاطباء ذيل عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة، (ط٢، بيروت، دار الرائد العربي، ١٩٨٢م)، ص١٠٩.

(٣) ابو عبد الله محمد السلماني الشهير بلسان الدين ابن الخطيب، كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق: محمد كمال شبانة، مراجعة: حسن محمود، (القاهرة، دار الكاتب العربي، ١٩٦٦م)، ص٣٧ ؛ عبد الرحمن الحجي، تاريخ الاندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة ،(بيروت، دار القلم، ١٩٧٦م)، ص٥٤٨.

(٤) الجزري، غاية النهاية: ٦٦/١.

٢-الآفـــات الزراعيـــة :

تعد الآفات الزراعية أخطر ما تتعرض لها الزروع وخاصة آفة الجراد التي تصيب الزرع [١] ، وكان درء أسراب الجراد يعد من الأمور الصعبة في العصور الوسطى وكل ما كان يمكنهم فعله لمكافحتها يتم بعد أن توقع الضرر بالزرع .

وأصل تسمية الجراد من جَرَدَ وهو أخذ الشيء عن الشيء على سبيل النحت والسحق وأرض جردة لا نبات فيها ومجردة قد لحسها الجراد[٢] .

وقد أعطى القزويني (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م) وصفا عن الجراد فصنفه إلى صنفين : احدهما يطير يقال له الفارس ، والأخر يقال له الراجل وكلا الصنفين يبحث عن أرض طيبة التربة يبيض بها إلى أن تفقس البيض المدفون فتظهر صغار الجراد على وجه الأرض فتأكل زرع تلك الأرض[٣] .

والجراد أول ما يكون سروة فإذا تحرك فهو دبى أي قبل أن تنبت أجنحته ثم يكون غوغاء ثم خيفان ثم كتفان ثم جراد[٤] .

وقد ساق المؤرخون عدداً من أوصاف الطلاسم التي كانت تصنع لدرء الجراد عن الزرع فيقول صاحب كتاب علم الملاحة في علم الفلاحة (ت١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م) أن الطلسم الذي يفرق الجراد هو أن يعمل تمثال جرادة من نحاس توضع فيه جرادة ويسد بشمع ويدفن حيث يريد الإنسان أن يتفرق الجراد فلا تعيش جرادة في تلك الناحية [٥] .

(١) ابو مصطفى ، تاريخ الأندلس الاقتصادي ، ص ١١٧ .
(٢) ابن منظور ، لسان العرب : ٣ / ١١٧ ، مادة جرد .
(٣) زكريا بن محمد ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، تحقيق فاروق سعد (ط٤ ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة ، ١٩٨١م) ، ص ٤٧٠ – ٤٧١ .
(٤) ابن منظور ، لسان العرب : ٣ / ١١٧ .
(٥) عبد الغني النابلسي النقشبندي (بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٩ م) ، ص ١٧٣ .

كما أن الجراد لا يحل بقرية إذا توارى أهلها عن الانظار عند إقبال الجراد أو إحراق شيء منها فتتجاوز تلك القرية ولا يقع بها شيء[١].

وعلى شاكلة ذلك ذكر أن في إحدى كنائس مدينة لورقة[*] (Lorca) في الأندلس كان يوجد جرادة من ذهب وكانت المدينة أمنة من جائحة الجراد حتى سرقت فظهر الجراد في ذلك العام ولم يفقد بعد ذلك[٢].

ويبدو أن الناس كانوا يقبلون على صنع تلك الطلاسم ويعتقدون بجدواها حتى ذكرها المؤرخون في كتبهم وإن دلت على شيء فإنما تدل على مدى تأثير تلك الحشرة الضارة في الزرع ومن ثم تأثيرها في الحالة المعاشية للناس في إتلاف الزرع وتخريبه حتى بات الناس يصدقون بتلك الطلاسم .

ولم يقتصر الامر على ذلك فحسب إنما ضربت بالجراد الأمثال وقيل عنها الأشعار فكان يقال للرجل المشؤوم ((أجرد من جراد)) [٣]، فلشدة شؤم الرجل يقتلع الأصول بشؤمه كما يقتلع الجراد الزرع إذا وقع فيه فلا يبقى منه شيء .

وقالت العرب في أمثالهم((إذا أخصب الزمان جاء الغاوي والهاوي[*]))[٤].

غير أن الكثير من الأخبار التي تذكر أسراب الجراد كانت ترد متزامنة مع حالات القحط والجفاف وعليه فلا يرتبط انتشار الجراد بموسم معين فينتشر في أوقات الجدب كما ينتشر في أوقات الخصب والنماء ، قال أعرابي يخاطب الجراد الذي أكل زرعه :

---

(١) القزويني ، عجائب المخلوقات ، ص ٤٧٠ -٤٧١ .

(*) لورقة مدينة من أعمال تدمير (مرسية) وبها حصن ومعقل محكم وأرضها جرز لا يرويها إلا ما ركد عليها من الماء ، الحموي ، معجم البلدان : ٥ / ٢٥ .

(٢) العذري ، نصوص عن الأندلس ، ص ٢ ؛ الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٧٢ .

(٣) الزجالي ، أمثال العوام : ٢ / ٥٦ ؛ ينظر : شاكر هادي شكر ، الحيوان في الأدب العربي ،(بيروت ، مكتبة النهضة العربية ، ١٩٨٥م) : ١ / ٢٦٥ .

(*) الهاوي : الذئب، والغاوي : الجراد .

(٤) ابن منظور ، لسان العرب : ١٥/ ١٤٢ .

مـر الجـراد علـى زرعـي فقلـت لـه ألــزم طريقــك لا تولــع بإفســادِ

فقــال مـنهم خطيـب فـوق سنبلــة أنــا علـــى ســفر لابــد مــن زادِ

إنـا جنـود لـرب العـرش مرسلــة منــا حصــيد ومنــا غــير حصــادِ[1].

وقد تكون أسراب الجراد تلك من أصناف العقاب الذي أرسله الله تعالى على الأقوام السابقة فقال تعالى في محكم كتابه : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾[2].

وتعرضت الأندلس لأخطر الآفات الزراعية وهي الجراد التي سببت الكثير من الخسائر والأضرار للثروة الزراعية في الأندلس ، ففي سنة (٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م) أصاب أهل الأندلس مجاعة شديدة كان سببها انتشار الجراد في الأرض ولحسه الغلات وهجومه على عدة جهات في البلاد ترافق ذلك مع توقف الأمطار فزاد من عناء الناس[3].

وفي عام (٢٣٢ هـ / ٨٤٦ م) تكرر الحال مرة ثانية في ترافق القحط والغلاء والجاعة مع هجوم الجراد الذي زاد من حدة الأزمة وضيق العيش على الناس أكثر[4].

وبعد أن خرجت البلاد من مجاعة شديدة دامت قرابة ثلاث سنوات [5] ، من (٣٧٩ – ٣٨١هـ / ٩٨٩ – ٩٩١ م) اجتاحت أسراب الجراد أنحاء الأندلس جميعها وكان ضررها الأشد قد لحق بقرطبة وعظم البلاء على الناس مما حدا بالحاجب المنصور محمد بن أبي عامر إتباع طرق عدة للخلاص منه فبذل للناس الأموال وأمرهم بجمع ذلك الجراد كل حسب قدرته وهيأ مكانا خاصاً بجانب

(١) شكر ، الحيوان في الأدب العربي : ١ / ٢٦٨ .
(٢) سورة الأعراف ، اية : ١٣٣ .
(٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : مكي ، ص ٢٢٥ .
(٤) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢ / ٨٩ ؛ ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٩٦ .
(٥) ابن عذاري ، المصدر نفسه : ٣ / ١١٤ – ١١٥ .

السوق لبيعه ، فكان سوء تأثيره ان دفع الدولة إلى توظيف الناس لجمعه فكانوا يعطون أجورا على ذلك فضلاً عن شراء أكوام الجراد من الناس لتشجيعهم على قتله ومكافحته خاصة أنه أستمر ثلاث سنوات من (٣٨١ هـ/ ٩٩١ م) إلى (٣٨٣ هـ/ ٩٩٣ م) فكان ضرره كبيرا على البلاد[١].

وفي إشارة مقتضبة جدا يشير ابن بسام على لسان المعتمد بن عباد حاكم مملكة اشبيلية (٤٦١-٤٨٤هـ/ ١٠٦٩-١٠٩١م) في رسالة مؤرخة سنة (٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م) موجهة إلى بعض ملوك الطوائف يصف وضع البلاد من سوء الأحوال بحلول القحط والجراد إلى جانب تهديدات الفونسو السادس ملك قشتالة والتي تزيد الأمر سوءا على الرعية [٢] ، فالمصادر لا تعطينا أية معلومات عن هذه الأحوال وتأثيرها .

وفي سنة (٥٢٦ هـ/ ١١٣١ م) بدأت سلسلة متواصلة من هجمات الجراد على مزارع قرطبة واستمر لعدة سنوات ، ففي هذه السنة أكل الجراد زرع قرطبة فأدى لحدوث مجاعة شديدة في البلاد اضافة الى موت الثروة الحيوانية جوعا [٣].

وفي السنة التالية (٥٢٧ هـ/ ١١٣٢م) والسنة التي بعدها (٥٢٨ هـ/ ١١٣٣ م) أكل الجراد زرع تلك السنوات ومحا ما كان على الأرض من زرع وكلأ[٤].

واستمرت ويلات الجراد على الأندلس في عام (٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م) وعام (٥٣٠هـ/ ١١٣٥م) حيث كان تأثيرها فاحشا فأتت على الزرع وجردت الأرض من غلاتها[٥].

---

(١) ابن عذاري ، المصدر نفسه : ٣ / ١١٥ .

(٢) الذخيرة : ق ٢ مج ١ / ٢٥٣ .

(٣) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ١٩٧ .

(٤) ابن القطان، المصدر نفسه، ص ٢٠٢ – ٢٠٨ ؛ أبو مصطفى، تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص ٩٤.

(٥)ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ٢١٧ – ٢٢٦ .

وأدركت الدولة المرابطية خطورة هذه الحشرة وما أوقعته من خسائر في المحاصيل خلال هذه السنوات العديدة فأخذ أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين يرسل رسائله إلى عماله في الأندلس حاضا إياهم على الجد في القضاء على هذه الآفة فيقول الأمير لأهل الأندلس: ((وانظروا إليه وبالله العون . . . فأخرجوا إليه الجم الغفير ولا يتخلف الكبير منهم ولا الصغير . . . فجدوا في إطفاء هذا الجمر (أي الجراد) . . .))[1].

لذا فقد خرج الناس وجمعوا من الجراد نحو خمسة الاف وثلاثمائة وثلاثون عدلا [*] هذا ما عدا ما غاب عن عيون الناس ورحل وما ترك مقتولا في موضعه ولم يحمل[2].

وتجدر الإشارة إلى انه لم ترد لنا أية أخبار عن خطر الجراد في العصر الموحدي مما يبعث على الظن بأن الدولة الموحدية مثل الدولة الاموية (الامارة والخلافة) بذلت جهودا فائقة في هذا المجال ونجحت في الحد من هذا الخطر[3].

وفي سنة (٧٦٢ هـ / ١٣٦٠ م) تزامنت الأوضاع السياسية المضطربة مع ما كانت تمر به مملكة غرناطة آنذاك من صراع مرير على السلطة والعرش ومضايقات النصارى مع هجوم الجراد فيقول لسان الدين ابن الخطيب : ((آلت أحوال الناس لهذا العهد من خمول الأمر واختلال السيرة وتجذيب الحامية ، فحضر

(١) الهرفي ، دولة المرابطين ، ص ٢٨٣ .
(*) العدل نصف الحمل الذي يكون على أحد جنبي البعير[والحمل يساوي ٢٤٠ كغم تقريبا] ، ابن منظور ، لسان العرب : ٥ / ٣٥٣ .
(٢) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ٢١٧ ؛ عنان ، دولة الإسلام (عصر المرابطين) ، ص ١٤٠ .
(٣) أبو مصطفى ، تاريخ الأندلس الاقتصادي ، ص ٩٤ ، هامش رقم (٥) .

. . . رجل الدبا[*]، فالتهم الخلاء والكلأ ، وأعدم بإعدام الغلة أسباب الرضا وفتح أبواب البلاء)) [1].

كما شهد عام ٨٥٢ هـ/ ١٤٤٨م انتشار الجراد بشكل واسع شمل مناطق عدة من مملكة غرناطة ولاسيما في وادي اش وبسطة (Baza) والبيرة وكان لكثرته ان عجز اهل تلك المناطق عن مكافحته ودفع ضرره ((فكانت تلك الفجاج الفيح تموج موجا ، وما على الارض من عشب او نبات يستأصل بسارحه اكلا ، . . . ، وهو لا يبقي ولا يذر مما سبقه من العشب ، ومر عليه من النبات كثيرا ولا قليلا ، وانما يذر الارض بعده جرداء كانها لم تنبت في عامها خضرا))[2]

فكان تاثيره سيئا للغاية حتى كادت الاقوات ان تستأصل وتنعدم في تلك المناطق ((وتلحق الاحياء من عدم الطعمة بالاموات)) [3] .

(*) الدبا : هي صغار الجراد ، ابن منظور ، لسان العرب : ٣ / ١١٧ .

(١) أبو عبد الله محمد السلماني الشهير بلسان الدين أبن الخطيب ، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب ، تحقيق : احمد مختار العبادي ، مراجعة :عبد العزيز الأهواني ،(القاهرة ، دار الكاتب العربي ، د .ت) ، ص ١٨٣ ؛ محمد ، تاريخ مدينة رندة ، ص ١٥٩ .

(٢) ابو يحيى محمد بن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى ، تحقيق : صلاح الجرار ، (الاردن ، دار البشير ، ١٩٨٩م) : ١/ ٢١٨ -٢١٩ .

(٣) المصدر نفسه : ١ / ٢٢٠ .

الفصل الثاني

العوامـــل البشريـــة للازمات الاقتصادية

العوامل البشرية للازمات الاقتصادية

أولا: العوامـل السياسـية :

١- الاضطرابات الامنية الداخلية والاخطار الخارجية:

لم تكن العوامل الطبيعية وحدها المسببة للازمات الاقتصادية بل شاركها الإنسان في خلق بعض منها ، فكان للعوامل السياسية والاضطرابات الأمنية دور كبير في إلحاق الضرر البالغ بالبنية الاقتصادية فإذا ما تعرضت البلاد إلى خطر خارجي أو تمرد داخلي فان استنزاف الموارد الاقتصادية تعد من أهم أساليب الحرب لإخضاع الخصم والقضاء عليه .

لذا كانت اغلب المواجهات العسكرية أول ما تستهدفه هو تخريب الموارد الزراعية خاصة وتدمير المدن والقرى للطرف الأخر لقطع الموارد عنهم وإضعافهم اقتصاديا .

وهذا الكلام ينطبق على ما كان يقع بين المسلمين وغير المسلمين وما كان يجري من مواجهات بين الدولة الإسلامية والخارجين عن سلطتها .

إن مدى الخسائر التي تنتج عن التدمير والتخريب والإضرار التي تخلفها بالزرع والأموال ومن ثم اثر ذلك في الإنسان بشكل خاص جعل فقهاء الإسلام ينقسمون فيما بينهم حول جواز التدمير والتخريب بأموال وممتلكات العدو إلى ثلاث طوائف .

فرأى الحنفية والاوزاعية في هذا الأمر انه لا بأس بإحراق حصون العدو بالنار وإغراقها بالماء وتخريبها وقطع أشجارهم وذبح حيواناتهم[1] لقوله تعالى ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾[2] .

---

(١) وهبة الزحيلي ، نظام الإسلام ، (طرابلس ، جامعة بنغازي ، ١٩٧٤م) ، ص ٣٧٥ .
(٢) سورة الحشر ، اية ٢ .

ورأى الشافعي ومالك وابن حزم جواز تخريب وهدم منازل العدو والتحريق والتغريق لكن دون قطع نخلهم واشجارهم الا للاكل او لمصلحة حربية[1]، قال تعالى ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾[2].

أما الحنابلة والاوزاعية في قول آخر فقد رأوا في وصية أبي بكر الصديق للجيش المتوجه إلى الشام ((... ولا تقطعن شجراً مثمرا ولا تخربن عامرا ولا تعقرن شاة ولا بعيرا الا لمأكله ولا تحرقن نخلا ولا تغرقنه)) دليل على عدم جواز التخريب والتحريق والهدم وقطع الاشجار المثمرة لان في ذلك فساداً والله لا يحب الفساد[3]، قال تعالى ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾[4].

وإذا ما استعرضنا تاريخ الأندلس منذ فتح المسلمين إلى سقوط غرناطة (٩٢-٨٩٧هـ/ ٧١١ - ١٤٩٢م) نجد أنها كانت (دار جهاد) أي في حرب دائمة وخطر متواصل لاسيما من الممالك النصرانية التي كثيرا ما كانت تتحين الفرصة لإلحاق الضرر بالمسلمين وإضعافهم ، فكانت السياسية الاسبانية تقوم على فكرة سياسة الأرض المحروقة وإحلال الخراب في كل ما تصل إليه ايديهم للقضاء على الوجود الإسلامي[5].

ولم يكن خطر الممالك الاسبانية هو الوحيد فقد تعرضت الأندلس إلى اخطار أخرى يمكن عدها اقل ضررا من هجمات الأسبان إلا أنها ألحقت الأذى ببعض مناطق البلاد فضلا عن قيام التمردات والثورات الداخلية على الحكومات

---

(١) الزحيلي ، نظام الإسلام ، ص ٣٧٦ .
(٢) سورة الحشر ، اية : ٥ .
(٣) الزحيلي ، نظام الإسلام ، ص٣٧٦ .
(٤) سورة البقرة ، اية : ٢٠٥ .
(٥) عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، كيف ضاع الإسلام من الأندلس بعد ثمانية قرون مأساة الفردوس المفقود (٩٢-٨٩٧هـ/ ٧١١-١٤٩٢م) ، (الرياض ، جامعة الملك فيصل ، ١٩٩٣م) ، ص٢١٢ .

والدول المختلفة التي حكمت الأندلس ، ونظرا لطول المدة الزمنية وكثرة تلك الحوادث والتي يصعب حصرها ارتأينا أن نذكر عدداً منها بما نعتقد انه شكل نقطة تحول في تاريخ الأندلس وبدى مثالا حيا لما تخلفه الاضطرابات الأمنية من مشاكل وأضرار على الاقتصاد ومن ثم تأثير ذلك في الإنسان .

وستتناول تلك الأحداث وفق محورين الأول الفتن الداخلية والثاني الأخطار الخارجية التي تعرضت لها البلاد وعلينا أن ننوه لأمر وهو انه ليس كل ما وقع في الأندلس من فتن داخلية أو ما تعرضت له من أخطار خارجية نتج عنه أزمة اقتصادية فهناك حوادث عديدة مرت دون أي أثار جانبية أو كان تأثيرها بسيط لا يكاد يذكر.

إن باكورة الفتن الداخلية التي حدثت في الأندلس ترجع إلى تلك الحروب العنيفة التي وقعت في عصر الولاة (٩٥-١٣٨هـ/ ٧١٤-٧٥٦م) بين العرب والبربر (القبائل المغربية) عام (١٢٤هـ/ ٧٤٢م) ثم ما وقع بين العرب القيسية واليمانية بعد ذلك ، ففي خلال اثنين وأربعين عاما تولى حكم الأندلس عشرون واليا [1] ، فلنا أن نتصور مدى الاضطراب وعدم الاستقرار الذي ساد البلاد إلى أن دخل عبد الرحمن بن معاوية الأندلس سنة (١٣٨هـ/ ٧٥٦م) ليحسم النزاع بين تلك الأطراف لصالحه .

إن الحديث عن سبب كل تلك النزاعات وما ساقه المعنيون بذلك من آراء حول مسألة توزع العرب والبربر في مناطق الاندلس امر يطول نقاشه ، إلا أن ما يهمنا من تلك الأحداث هو ما خلفته من آثار على اقتصاد البلد آنذاك ، فقد شغل العرب والبربر بهذه الحروب عن عمارة الأراضي وزراعتها وكانت جموع كثيرة من هؤلاء البربر وأعداد قليلة من العرب قد اشتغلت بفلاحة الأرض واستقروا بها[2] .

(١) مصطفى ابو ضيف ، القبائل العربية في الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية (٩١-٤٢٢هـ/ ٧١٠-١٠٣١م) ، (الدار البيضاء ، د. مط ، ١٩٨٣م) ، ص٦٣-١٠٦.
(٢) مؤنس ، فجر الأندلس ، ص٢٠٤ .

إلى أن بدأت هذه الأرياف والمزارع تخلو من السكان المسلمين بسبب الحروب فخربت الزروع وحالت بين المزارعين وبين مواصلة عملهم الأمن في الحقول فأخذت المحاصيل تقل من منتصف سنة (١٢٤هـ/ ٧٤١م) وتوالى ذلك خلال السنوات التالية فلم تحل سنة (١٣٣هـ/ ٧٥١م) حتى شملت الأندلس جميعها المجاعة الكبرى فانضافت مأساتها إلى مأساة الحروب والمنازعات فقل العمار في النواحي فوقعت المجاعة حتى تقطعت أوصال البلاد وخيف على مصير الإسلام فيه [١].

ويلغ من سوء الحال و انعدام الامن ان يوسف الفهري آخر ولاة الأندلس (١٢٩-١٣٨هـ/ ٧٤٧-٧٥٥م) كان لا يخرج إلا في خمسين من الحراس يحيطون به نتيجة خوفه مما ساد البلاد آنذاك من اضطرابات وفوضى [٢].

واشتدت المحنة في نواحي الأندلس كلها ودارت رحى الحرب في الأقاليم المزروعة في الجنوب والجنوب الشرقي فخرب كثيرا من المزارع واضطرب أمر زراعها وزادت المحاصيل قلة تبعا لذلك ولم يسلم منها سوى إقليم سرقسطة الذي نجا بفضل مياهه وأنهاره وبفضل الجماعة العربية التي أقامت في مواضعها ولم يشتركوا في هذه الحروب الدامية [٣].

وبعد أن استقر حكم الأندلس للأمويين واجهت الإمارة الأموية في الأندلس (١٣٨-٣١٦هـ/ ٧٥٦-٩٢٩م) ثورات عديدة اتبعت طرق عدة للقضاء عليها كان أهمها هو حصار تلك المنطقة أو المدينة والتضييق عليها ونسف ما يحيط بها من زرع وغلة لإضعاف المتمردين اقتصاديا ، مثلما حدث مع تمرد المولدين

---

(١) مؤنس ، المرجع نفسه ، ص٣٤٧ ؛ إبراهيم بيضون ، الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة (٩٢-٤٢٢هـ/ ٧١١-١٠٣١م) ، (بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٨م) ، ص ١١٨.

(٢) مؤلف مجهول ، ذكر فتح الأندلس وأمرائها ، تحقيق : خواكين دي كونثاليث ، (الجزائر ، د.مط ، ١٨٨٩م) ، ص٤٦ .

(٣) مؤنس ، فجر الأندلس ، ص٢٣٣ — ٢٣٤ .

بزعامة عبد الرحمن بن مروان الجليقي الذي ظهر في مدينة ماردة (Merida) [*] مما دفع الأمير محمد لفرض الإقامة الجبرية عليه في قرطبة إلى أن هرب الجليقي إلى قلعة الحنش(ALange) (التي تبعد قرابة ٢٠ ك.م عن ماردة) سنة (٢٦١ هـ/ ٨٧٥م)[١].

فنهض إليه الأمير محمد ثانية وحاصر قلعة الحنش مدة ثلاثة أشهر وضيق عليه ومنع وصول المؤن من خارج الأسوار كلما حاولوا الحصول عليها [٢] ، واستمر الحال إلى أن ألجاء الجليقي وأنصاره إلى أكل دوابهم بعد أن قطع الماء عنهم ورماهم بالمجانيق ((حتى أذعن وطلب الأمان وشكى ثقل الظهر وضيق الحال ، فأباح له الامير الرحيل إلى مدينة بطليوس)) (Bodjoz) [٣] .

وما كاد يحل ببطليوس حتى بدأ يعد العدة فأعلن عصيانه واستمر الجليقي أعواما وهو يسيطر على بطليوس ويعيث بأنحائها تخريبا [٤] ، إلى سنة (٣١٧هـ/ ٩٢٩م) حيث خرج إليه الخليفة عبد الرحمن الناصر واقتحم ارباض بطليوس واحرق ديارها وشدد الحصار عليه وضربه بالمجانيق وقطع عنه كل مورد حتى اشتد بأهل المدينة الضيق فطلبوا الأمان وتسليم المدينة وبذلك انتهى امر المتمردين سنة (٣١٨ هـ/ ٩٣٠م) [٥] .

وفي سنة (٢٦٧ هـ / ٨٨٠ م) ظهر عمر بن حفصون أعظم متمردي الأندلس الذي أعيا الأمراء وطالت فتنته وعظم شره وهو من المولدين ظهر بمنطقة

(*) ماردة : مدينة قديمة كبيرة جداً بالقرب من بطليوس غرب الاندلس لها سور وحصون عديدة كما تكثر فيها البساتين والخيرات ، الزهري ، جغرافية الاندلس ، ص ٢٢٢-٢٢٣ ؛ مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، ص ٥٦-٥٧ .

(١) عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس ،(لبنان ، دار المعارف ، ١٩٦٢م) ، ص٢٤٧ ؛ طقوش، تاريخ المسلمين ، ص ٢٣٨ .

(٢) عنان ، دولة الإسلام (عصر الإمارة) ، ص٣٠٠ ؛ علي محمد حمودة ، تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي ،(مصر ، دار الكتاب العربي ، ١٩٥٧م) ، ص١٧٤ .

(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢/ ١٠٢ ؛ حتاملة ، موسوعة الديار : ٢ / ٢٧٠ .

(٤) سالم ، تاريخ المسلمين ، ص٢٤٧ .

(٥) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢/ ٢٠٠-٢٠٢ ؛ عنان ، دولة الإسلام (عصر الخلافة) ، ص٣٨٩ .

ببشتر (Bobaxter) (بين مدينة رندة (Ronda) ومالقة) ولم تنته حركته حتى مع وفاته (٣٠٥هـ/ ١١٧م) إذ استمر أبناؤه من بعده بتزعم المتمردين الى ان فرض عبد الرحمن الثالث سلطته على جميع المعاقل والحصون التي كانت تحت سلطتهم فقضى عليهم سنة (٣١٥ هـ/ ٩٢٧ م) [١] .

إن استمرار الحركة كل هذه السنوات وشدة زعيمها الحق الأذى الكبير بالمناطق التي وقعت بين سندانة المتمردين ومطرقة الدولة ولسنا بصدد استعراض الثورة بتفاصيلها السياسية والعسكرية لكن ما يستوقفنا فيها هي تلك الآثار الاقتصادية التي خلفتها حركة كهذه على البلاد ، فالأمراء اخذوا يسيرون الحملات في كل عام للتضييق على الخارجين فضلاً عن استخدام سياسة التجويع ضدهم بتدمير وإحراق كل مظاهر الحياة في المنطقة من زرع وعمران [٢] ، وقطع جميع الصلات التي تربط ابن حفصون وبر المغرب حيث كان يجلب الميرة والسلاح منه بعد أن وطد علاقته مع الدولة العبيدية في المغرب المناوئة لسلطة الأمويين في الأندلس مما اضعف الخارجين على السلطة المركزية [٣] .

إلا أن غارات المتمردين لم تنقطع عن قرطبة مما جعل أهل الحاضرة يشكون إلى الأمير عبد الله من هذه الغارات التي قطعت المواصلات إلى قرطبة وأدت إلى تدني الأوضاع الاقتصادية فيها لانقطاعها عن بقية الكور [٤] ، فتعطلت الأسواق وارتفعت الأسعار ونفذت الأقوات وساد الذعر بين سكان قرطبة [٥] .

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص١٣٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢ / ١٠٤ ؛ ابن خلدون ، العبر: ٤/ ١٣٩؛ حمودة، تاريخ الأندلس، ص١٧٥؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٢٤٠ وما بعدها .

(٢) ابن حيان ، المقتبس : تحقيق : انطونيا ، ص ٥٣ ؛ محمد ، تاريخ مدينة رندة ، ص٨٥ .

(٣) ابن حيان ، تحقيق : انطونيا ، ص١٢١ ؛ أمين توفيق الطيبي ، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس ، (ليبيا ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٤م) ، ص١٣٠ ، ١٣٦ – ١٣٧ .

(٤) الطيبي ، دراسات ، ص١٢٦ – ١٢٧ .

(٥) طقوش ، تاريخ الأندلس ، ص٢٧٢ .

حتى كان القحط والوباء في البلاد سنة (٣٠٢ – ٣٠٣هـ/ ٩١٤-٩١٥م) والذي ألجأ ابن حفصون للركون إلى السلم وطلب الصلح و بقي ملتزم ببنوده إلى أن توفي في سنة (٣٠٥ هـ / ٩١٧ م) [١] .

بعد ان ذاقت البلاد الويلات من جراء التمرد خلال هذه السنوات ولحق الخراب مناطق عديدة ولاسيما منطقة ببشتر فيقول الحميري عنها ((كثيرة المياه والاشجار والثمار والكروم... ، وأصناف الفواكه والزيتون وما بها الان نبذ مما كان فان فتنة ابن حفصون أتت على أكثر ذلك)) [٢] .

وكانت الأندلس على موعد مع فتنة كبرى أصابت البلاد بعد القضاء على الحجابة العامرية سنة (٣٩٩هـ/١٠٠٨م) فقد ضربت الفوضى أطنابها في قرطبة وتوالى الخلفاء على كرسي الحكم ووقعت المعارك الدامية بين أهالي قرطبة والبربر وطال النهب والسلب المدن العامرة حتى أطلق عليها تسمية الفتنة المبيرة ، كما أسهب المؤرخون في ذكر ما دار من حوادث عسكرية وسياسية خلال هذه المدة [٣] .

تزعم البربر المستعين وهو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، أما قرطبة فقد أصبح هشام المؤيد بن الحكم المستنصر خليفة عليها للمرة الثانية بعد مقتل المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر[٤] .

وكان البربر لا ينفكون يغيرون على قرطبة وارباضها يحرقون ويخربون وذلك سنة (٤٠١هـ/ ١٠١٠م) [٥] ، واستمر حصار البربر لقرطبة والحال تسوء يوم

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : شالميتا ، ص١٠٩ – ١١٤ ؛ ابن خلدون ، العبر : ٤/ ١٣٩ .

(٢) صفة جزيرة الاندلس ، ص ٣٧ .

(٣) ينظر : ابن عذاري ، البيان المغرب : ٣ / ٨١ وما بعدها ؛ ابن الخطيب ، إعمال الإعلام ، ص ١٠٩ وما بعدها ؛ وينظر : الصوفي ، تاريخ العرب (نهاية الخلافة الأموية) ، ص١٣١ وما بعدها ؛ سالم ، تاريخ المسلمين ، ص٣٤٩ وما بعدها .

(٤) طقوش ، تاريخ المسلمين ، ص٤٠٠-٤٠٤ .

(٥) ابو عبد الله محمد المعروف بابن الابار ، الحلة السيراء ، تحقيق : حسين مؤنس ، (القاهرة ، الشركة العربية ، ١٩٦٣م) : ٢/ ٧ .

عن يوم فكانت الاقوات تقل لقطع البربر الميرة عن المدينة فاشتد الغلاء وعظم البلاء وانتشر الجوع ((واشتد حال اهل قرطبة حتى اكل الناس الدم من مذابح البقر والغنم وأكلوا الميتة . . . وكان قوم في السجن فمات منهم رجل فأكلوه))[1].

اما البربر فقد كانوا لا يتوقفون عن الإغارة على القرى فينهبونها ويقفرون البسائط ويملؤون أيديهم بالمؤن والماشية فكان جياع قرطبة يخرجون ليلا لسرقة الطعام منهم حتى علم البربر بأمرهم فكانوا يقتلون منهم في كل ليلة العشرة والعشرين والثلاثين شخصا حتى كفوا عن الخروج من قرطبة [2] .

على الرغم من أن ابن الأثير يذكر أن الأقوات كانت عند البربر اقل منها بقرطبة لأنهم كانوا قد اقفروا البلاد [3] ، غير ان حرية حركة البربر كانت تسمح لهم بالحصول على الاقوات من هنا وهناك ومهما وصل بهم الحال سوءا فلا يمكن أن يكون كحال أهل قرطبة المحاصرين داخل أسوار المدينة ، حتى اضطر معها هشام المؤيد إلى إخراج سائر نفائس القصر وتحفه ليقتني بها الخيل والسلاح فضلاً عن إرهاق القرطبيين بالمطالب والمغارم حتى ضاقوا ذرعا [4] ، وفي عام (٤٠٢هـ/ ١٠١١م) دخل وجوه الجند والوزراء على هشام المؤيد وكشفوا له عن حال البلد وانه لا طاقة للناس بعد على التحمل وهم منقسمون بين الراغب بالقتال والراغب في الصلح والأسعار في غاية الغلاء والجور بالمغارم على الرعية قد بلغ منتهاه [5] .

---

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٣/ ١٠٦ ؛ أحلام حسن مصطفى النقيب ، اثر الفتنة على علماء قرطبة (٣٩٩ -٤٢٢ هـ /١٠٠٨ - ١٠٣٠ م) ، مجلة آداب الرافدين ، ع ٣٥ ، (جامعة الموصل ، كلية الاداب ، ٢٠٠٢م)، ص ١٤٥ .

(٢) ابو عبد الله محمد بن عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق : محمد سعيد العريان ، ومحمد توفيق عويطه ، (ط ٣ ، القاهرة ، د . مط ، ١٩٦٣م) ، ص٩٠ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب : ٣ / ١٠٦ .

(٣) الكامل : ٨ / ٥٨ .

(٤) ابن الخطيب،أعمال الإعلام، ص١١٧؛ عنان، دولة الإسلام (الدولة العامرية)، ص١٥٥

(٥) ابن عذاري ، البيان المغرب: ٣/ ١٠٨-١٠٩؛ عنان، دولة الإسلام (الدولة العامرية)، ص١٥٦ .

وبعد اتفاق الرأي على التسليم خرج القاضي ابن ذكوان مع جماعة من الفقهاء وطلبوا الأمان من المستعين والبربر لقاء مبالغ عظيمة فرضت على المدينة[1]، فدخل البربر قرطبة سنة (٤٠٣ هـ/ ١٠١٢م) فقتلوا عددا من سكانها واحرقوا الدور وارتكبوا ابشع ضروب الوحشية ما عدا من فر من أهل قرطبة هربا من الجوع والخوف فأخليت قرطبة من أهلها فكانت محنة من أقسى ما عانته عاصمة الخلافة [2].

وهكذا نجد أن مدينة قرطبة انكمشت بتناقص عدد سكانها منذ الفتنة فخربت معظم ديارها ومنشآتها وأصبحت قصورها أطلالا دارسة يبكيها الشعراء[3] .

ومما زاد الامر سوءاً ما حل بالبلاد من تفكك وانقسام وظهور ما عرف بفترة ملوك الطوائف منذ عام (٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م) والتي كانت تخوض صراعاً دائماً فيما بينها وكانت اغلب تلك الدول تعتمد في اقتصادها على مورد مالي يتمثل بإنتاج زراعي أو معدني في الغالب يتحول إلى مال عبر المتاجرة به [4].

لذا فقد أدت الحروب بين هذه الدول إلى إضعاف القوة الاقتصادية للبلاد فالحاصلات الزراعية كانت تدمر لعدة سنوات متتالية بسبب الغارات والتي تمنع المتاجرة في الوقت نفسه [5].

---

(١) ابن عذاري ، المصدر نفسه : ٣ / ١١٢.

(٢) ابن الأثير، الكامل : ٨/ ٥٩؛ الصوفي ، تاريخ العرب (نهاية الخلافة الأموية)، ص٢٢٢-٢٢٣ .

(٣) المقري ، نفح الطيب : ٢ / ٦٨ ؛ حتاملة ، موسوعة الديار : ٢ / ٧١٨ ؛ للمزيد ينظر : يحيى ابو المعاطي محمد عباسي، الملكيات الزراعية وأثارها في المغرب والأندلس (٢٣٨-٤٨٨هـ/ ٨٥٢-١٠٩٥م) ، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة القاهرة ، كلية دار العلوم ، ٢٠٠٠م)، ص٢٠٥ .

(٤) احمد بذر ، المجتمع الأندلسي والمجتمع الاسباني في عصر ملوك الطوائف ، مجلة دراسات تاريخية ، ع ١٥ - ١٦ ، (دمشق ، د.مط ، ١٩٨٤م) ، ص ٣٨ - ٣٩ .

(٥) المرجع نفسه ، ص٤٠ .

فضلاً عن الأعداد الكبيرة من القتلى التي كانت تذهب جراء ذلك حيث ذكر ان مدينة بطليوس بقيت خالية الدكاكين والأسواق من استئصال القتل لأهلها[١] .

وكانت مدينة بطليوس تحت سلطة محمد بن الافطس الملقب بالمظفر(٤٣٧-٤٦٠هـ/ ١٠٤٥-١٠٦٧م) تخوض معارك عديدة مع المعتضد بن عباد (٤٣٣-٤٦١هـ/ ١٠٤٢-١٠٦٩م) حاكم اشبيلية الذي كان كثيرا ما يعيث بأراضي ابن الافطس فيخرب زروعها ويهلك الأقوات وتنضب الموارد فيقع الناس في المجاعة الشديدة حتى اضطر ابن الافطس سنة (٤٤٢ هـ/ ١٠٥٠ م) الى الاعتصام بقاعدته بطليوس لا يستطيع الخروج منها إلى أن تدخل ابو الوليد بن جهور(٤٣٥-٤٥٥هـ/ ١٠٤٣-١٠٦٣م) حاكم قرطبة لعقد الصلح بين الطرفين سنة (٤٤٣ هـ/ ١٠٥١ م)[٢] .

ولم يقتصر النزاع بين مملكتين فحسب إنما كانت اغلب الممالك الناشئة تتوقع هجوماً مباغتا في أية لحظة وقد لا يقتصر الأمر على ذلك فقد يستعين احد الأطراف بالممالك النصرانية لمواجهة خصمه فعندما دخل بنو هود حكام سرقسطة مع بني ذي النون حكام طليطلة في معارك حول السيطرة على منطقة وادي الحجارة وعند انتصار بني هود استعان يحيى المأمون بن ذي النون (٤٣٥-٤٦٧هـ/ ١٠٤٣-١٠٧٥م) بالنصارى مقابل أموال كثيرة فعاث الجنود في اراضي سرقسطة وكان موعد حصاد الزرع فحصدوها ونقلوها إلى بلادهم واستمر التخريب زهاء شهرين رافقه قتل واسر وتدمير فكانت ضربة اقتصادية بالغة الضرر لحقت بالمدينة[٣] .

واستمر حال الأندلس كذلك إلى إن دخلها المرابطون وبدأوا بتوحيد البلاد بعد انتصارهم بمعركة الزلاقة (Sagrajas) على النصارى (٤٧٩ هـ/ ١٠٨٦ م)

---

(١) ابن بسام ، الذخيرة : ق١ مج١ / ٣٨٨ ؛ بدر ، المجتمع الأندلسي ، ص٣٧ .
(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٣/ ٢١١ ؛ ابن بسام ، الذخيرة : ق٢ مج١ / ٣٥ ؛ عنان ، دولة الإسلام (دول الطوائف) ، ص٨٤ .
(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٣ / ٢٧٨ ؛ عنان ، دولة الإسلام (دول الطوائف) ، ص٩٧ .

فأخذوا يسيطرون على المناطق والمدن الواحدة تلو الأخرى ، ومما يذكر في هذا المقام حصار المرابطين لاشبيلية فقد وقف حاكمها المعتمد ابن عباد بوجه الحصار في محاولة منه لمنع سقوطها بيد المرابطين إلا أن سوء الأحوال من شحة الأقوات واشتداد الغلاء والضيق الذي لحق بالمدافعين الذين أضناهم الجوع والحرمان فبلغ بهم الضعف والوهن أن الجند لم تعد تقوى على حمل السلاح الذي يدافعون به عن المدينة فلم يعد أمامهم سوى فتح أبواب المدينة أمام المرابطين الذين دخلوها سنة (٤٨٤هـ/ ١٠٩١م) [١] .

ويذكر محمد عبد الله عنان أن الأندلس تمتعت بالسكينة والرخاء والخلاص من الحروب الأهلية منذ الزلاقة فتخلصت من الظلم والإرهاق والغزوات المتوالية التي كانت تعصف بوديانها النضرة وتبث إليها الخراب والجدب ويبدو أن ذلك ينصرف إلى عهد الأمير يوسف بن تاشفين وأوائل عهد ولده علي فلما ظهرت حركة الموحدين بالمغرب تبدلت الأحوال وغلبت الفوضى فزال الأمن والرخاء [٢].

فضلاً عن المعارك المتواصلة مع النصارى التي خاضها المرابطون في الأندلس والتي استنزفت قوى المرابطين وقضت على اغلب مواردهم [٣] .

استطاع الموحدون إسقاط دولة المرابطين والقضاء عليها واعتمد الموحدون أسلوب الحرب الطويلة مستخدمين حرب العصابات فقضوا على اقتصاديات المرابطين فضلاً عن ضغط النصارى على المرابطين [٤] ، فيذكر ابن السماك ذلك بقوله ((وتأججت نار الفتنة بالمغرب ، وبسبب هذه الفتنة اتصلت الحرب وغلت الأسعار وتوالت الفتن وعم الجدب وقلت الجابي وكثر على أهل الإسلام المحن

---

(١) ابن بلقين ، التبيان ، ص١٧٠ ؛ الباشا ، الأندلس الذاهبة : ٢/ ١٠٠

(٢) دولة الإسلام (عصر المرابطين) ، ص٤٣٦-٤٣٧.

(٣) عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، (الاسكندرية ، الدار القومية ، ١٩٦٦م) : ٢/ ٧٤٠ .

(٤) الصلابي ، دولة الموحدين ، ص٨٥ .

بالعدوتين ووجه كثير من حماة الأندلس إلى العدوة . . . والح النصارى بالضرب على جهات بلاد الأندلس... فساءت الأحوال وكثرت الشدائد والأهوال))[1].

وبعد سيطرة الموحدين على المغرب بدأوا بفرض السيطرة على الأندلس إلا أنهم واجهوا حركة تمرد محمد ابن مردنيش في شرق الأندلس فكانت حركته من اعنف التمردات ، كان والده سعد ابن مردنيش واليا للمرابطين على مدينة افراغة (Fraga)[*] وتولى محمد بن سعد حكم بلنسية سنة (٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) وضمت مرسية إلى سلطانه بعد ذلك فتوسعت دائرة حكمه لتشمل اغلب مناطق شرق الأندلس[2] .

واستطاع الموحدون بعد سيطرتهم على المغرب ضم مناطق الاندلس الى سلطانهم ما عدا مناطق ابن مردنيش الذي أعلن عصيانه وعدم قبوله الدخول تحت مظلة الموحدين واستمر على ذلك إلى أن توفي سنة (٥٦٧هـ/ ١١٧١م) فتنازل ابنه عن حكم شرق الأندلس للموحدين مقابل تعويضات مجزية[3] .

لقد تمكن ابن مردنيش ان يقف مدة طويلة بوجه الموحدين وان ينزل بهم الخسائر الفادحة فاشغلهم بحربه عن مواجهة الطامعين والمتذمرين فوجد هؤلاء الفرصة لشق عصا الطاعة ، وقد استنزفت حرب ابن مردنيش الكثير من جهد الموحدين ورجالهم وألحقت المعارك الخراب والدمار باقتصاد بعض مناطق الأندلس

(١) ابو القاسم محمد ابن ابي العلاء ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق : سهيل زكار وعبد القادر زمامة ، (الدار البيضاء ، دار الرشاد ، ١٩٧٩م) ، ص١٢٠.

(*) افراغة مدينة بالقرب من لاردة تقع على نهر يقال له نهر الزيتون وهي حسنة البناء ولها حصن منيع لا يرام وبساتين كثيرة لا نظير لها ، ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص ٢٨٦ ؛ الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ٢.

(٢) الصلابي ، دولة الموحدين، ص ١٠٥ .

(٣) طقوش ، تاريخ المسلمين ، ٥٣٤-٥٣٧ .

وأدت إلى كساد التجارة ونـدرة المحاصيل الزراعيـة والمتجـات الصناعية فكانـت إحدى البذور التي أضعفت الموحدين منذ قيام دولتهم [(١)] .

هذا على صعيد الظروف الداخلية وابرز ما وقع فيها من أحداث ، أما مـا تعرضت له الأندلس من هجمات وأخطـار خارجيـة فهـو أكثـر بكـثير مـن تلـك الأحداث الداخلية فضلاً عن شدة خطرها وسوء تأثيرها فقـوة الممالـك النصـرانية مهما بلغت من الضعف لا يمكن أن تقارن بأي حال من الأحـوال بقـوة المتمـردين على السلطة ، وغاية النصارى إخراج المسلمين مـن شبه الجزيـرة الايبريـة كانـت تدفعهم للقيام بأعمال وحشية قاسية لأجـل الوصـول إلى ذلـك ، فالغايـة عنـدهم كانت تبرر الوسيلة .

لذا نجد أول ما يستهدفون في اغلب هجماتهم على المسـلمين هـو محاصـرة البلد وقطع الموارد عنه وإيقاع الناس بالمجاعة بعد نسف زرعهم واستنزاف مواردهم حتى يضطر سوء الحال بالمحاصرين إلى الاستسلام والأمثلة على ذلك كثيرة .

ففي سنة (١٨٥هـ/ ٨٠١ م) بدأ ملك الافرنج شارلمان مشروعه الكـبير في اسبانيا للاستيلاء على مدينـة برشـلونة (Barcelona) [(*)] ولتحقيـق ذلـك قضـت خطته بحصار برشلونة وقطـع سـبل الاتصـال بينهـا وبـين سـائر منـاطق الأنـدلس الإسلامية لذا قسم جيشه على قسمين احدهما يتقدم لحصار المدينة والثاني مهمتـه أن يرابط جنوب غرب المدينة لمنع وصول أي مدد وعون قد يصل إلى برشلونة [(٢)] .

---

(١) هشام ابو رميلة ، الموحدين وعلاقاتهم بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس ،(الأردن ، دار الفرقان ، ١٩٨٤م) ، ص٣٧٦ ؛ الصلابي ، دولة الموحدين ، ص١٠٧ .

(*) برشلونة : مدينة تقع على ساحل البحر شرق الاندلس بالقرب من مدينة طركون (Tarragona) لها سورمنيع كثيرة الحنطة والحبوب ، البكري ، جغرافية الاندلس ، ص ٩٦ ؛ الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٢ .

(٢) محمد محمد مرسي الشيخ ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي ، (مصر ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، ١٩٨١م) ، ص١٦٩ ؛ طقوش ، تاريخ المسلمين ، ص١٩٥ .

وبسبب انشغال الأمير الحكم بن هشام بمشاكل داخلية تعذر إرسال المساعدات إلى المدينة المحاصرة [1] ، واستمر الحصار مدة سبعة أشهر عانت المدينة كثيرا من نقص الأقوات وقلة الزاد ومن ضروب الجوع والحرمان دون أن يأتي المدد المنشود وزاد الأمر سوءا وصول جيش جديد من الافرنج لإحكام الحصار وليغلق كل منفذ إليها فهلك أهلها من الجوع والحرب وساءت أحوال المدينة كثيرا ولم تعد قادرة على الصمود ولاسيما بعد أسر واليها سعدون الرعيني الذي حاول الخروج لطلب المساعدة من قرطبة فتمكن الفرنجة من فتح ثغرات في أسوارها مما اضطر أهل المدينة إلى التسليم [2] .

وان كانت قوة الخلافة الاموية منعت النصارى وغيرهم من الإمعان في الهجمات وإلحاق الأذى بمناطق الأندلس فان سقوط الخلافة وظهور ملوك الطوائف جعل الباب مشرعا أمام الطامحين بالسيطرة على البلاد لاسيما النصارى الذين بدأوا مشروع الاسترداد النصراني لذا نجد ان خطة الفونسو السادس ملك قشتالة كانت تقوم على شن الغارات المنظمة على أراضيهم وانتساف زروعهم وتدمير المدن والضياع والقرى لقطع الموارد عنهم ثم فرض الجزية لاستصفاء أموالهم [3] .

ولما كانت اغلب المدن محصنة بأسوار وقائية فقد أصبحت المناطق القروية والريفية الهدف الاول لتلك الهجمات فشاع التخريب وإفساد الغلل والمحاصيل فكانت تلك المناطق تعاني من الجور والالام نتيجة لعمليات السلب والنهب والغارات التخريبية التي كانت تتعرض لها [4] ، وبالمقابل كان ملوك الطوائف لا يحركون ساكنا إزاء تلك الهجمات أو نجدة المدن التي تتعرض للحصار مثلما

---

(١) ابن الأثير ، الكامل : ٥ / ٣٢٣ .

(٢) عنان ، دولة الإسلام (عصر الإمارة) ، ص٢٣٢ ؛ الشيخ ، دولة الفرنجة ، ص١٧٠ ؛ راجع :
pedro bleye , ajuado , mnnual de historiade wspana , (Madrid , 1963) , p . 676 .

(٣) الباشا ، الاندلس الذاهبة : ٢/ ٦٠ .

(٤) امحمد بن عبود ، التاريخ السياسي والاجتماعي لاشبيلية في عهد ملوك الطوائف ، (تطوان ، مطابع الشويخ ، ١٩٨٣م) ، ص ١٨٨ ، ٢٣٤ .

حـــدث في حصـــار بربشـــتر (Barbastr) [*] مـــن النورمانـديـــين ســنة (٤٥٦هـــ/ ١٠٦٤م) فقـد خــرج النورمانــديون مــن قاعدتهــم نـــورماندي (Normandie) [*] وتوجهـوا إلـى الأراضـي الأنـدلسيـة وبعـد فشـل حصـارهـم لمـدينـة وشقـة تـوجهـوا إلـى مدينة بربشتر [١] .

فنزل عليها النورمان وضربوا حولها الحصار ولم يبادر احمد بن هود الملقب بالمقتدر (٤٣٨-٤٧٥هـ/ ١٠٤٦-١٠٨٢م) لنجدة المدينة إذ كانت من أعمال أخيه يوسف المظفر الذي تركها أيضا لمصيرها ، واستمر الحصار اربعين يوما والمسلمون صامدون داخل مدينتهم يجاهدون العدو [٢] .

وطال الحصار فاضطربت أحوال المدينة ووقع فيما بين أهلـها تنـازع علـى القوت لقلته والعدو يشتد في حصاره إلى أن دخل المدينة الخارجية فتحصن الأهالي بالقصبة والمدينة الداخلية والناس في ذلك كله صامدون [٣] .

وشاءت الأقدار أن ((اتفق أن القناة التي كان الماء يجري فيها من النهـر الى المدينة تحت الأرض في سرب موزون انهارت وفسدت ودفعت فيها صخرة عظيمة سدت السرب باسره فانقطع الماء عن المدينة ويئس من بها من الحياة)) [٤] .

وذكر ابن عذاري أن رجلا خرج من قصبة المدينة إلى المهاجين ودلهم علـى مجرى الماء ((فساروا إليه وهدموه وحالوا بينه وبين الاتصـال بفـم السـرب فعـدم أهلها الماء ولم يكن لهم صبر على العطش)) [٥] .

(*) بربشتر مدينة بالاندلس تقع بين وشقة (Huesca) ولاردة (Lerida) في الشمال الشرقي لسرقسطة وهي فائقة الحصانة والامتناع لوجود الحصن على نهر إبرة (Ebro) ، البكري ، جغرافية الأندلس وأوربا ، ص ٩٢ ؛ الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ٣٩ .

(*) نورمانـدي تقـع في شمـال غـرب فرنسـا ، السـامرائي وآخرون ، تاريخ العرب ، ص ٢٣٤ ، هامش رقم ١٠٧ .

(١) المرجع نفسه ، ص٢٤٣ .

(٢) ابن بسام، الذخيرة :ق٣ مج١ / ١٨١ – ١٨٢؛ عنان، دولة الإسلام (دول الطوائف)، ص٢٦٥.

(٣) الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ص٣٦٠ – ٣٦١ ؛ حتاملة ، موسوعة الديار : ١ / ٢١٨ – ٢١٩ .

(٤) المقري ، نفح الطيب : ٥/ ٣٤٠ .

(٥) البيان المغرب : ٣ / ٢٢٥ .

دفعت تلك الأحوال السيئة أهل المدينة للتسليم وطلب الأمان على أنفسهم فقط دون مال فأعطاهم العدو الأمان فلما خرجوا نكث بهم وغدر ، وفي رواية أخرى أن العدو رفض ذلك الطلب فدخل المدينة عنوة فقتل واسر وسبى أعداداً هائلة من أهل المدينة قدرت بما يقرب من أربعين ألف أو أكثر وحصل على الأموال العظيمة[1]، وبسبب شدة العطش خرج اهل المدينة مزدحمين على أبوابها فمات في ازدحامهم خلق كثير فلما خرجوا وانتشروا في بسيط الأرض رأى الطاغية كثرتهم فأمر ببذل السيف فيهم فقيل انه قتل منهم يومئذ ستة آلاف نفس[2].

ومما يذكر انه عند ما فسدت القناة وانقطعت المياه أن المرأة كانت تقف على السور وتنادي من يقرب من النصارى المحاصرين أن يعطيها جرعة ماء لنفسها أو لولدها فيقول لها أعطيني ما معك فتعطيه ما معها من كسوة وحلي وغيره [3] .

وهكذا حاقت بأهل بربشتر مأساة لم يشهد لها التاريخ مثيلا على الرغم مما في ارقام القتلى والسبايا من مبالغة لكنها تدل بالتأكيد على ما اقترن بذلك الحادث من الأعمال الوحشية وصف بانه أعظم من أن يوصف أو يتقصى [4] ، ودفع المقتدر احمد بن هود إلى العمل لاسترجاعها فتم له ذلك في العام التالي لتلك المأساة (٤٥٧هـ / ١٠٦٥م) [5] .

كان للسياسة التي اتبعها النصارى تجاه ملوك الطوائف عواقب وخيمة على البلاد فلم يكتفِ الفونسو السادس ملك قشتالة بفرض الجزية عليهم بل بدأ بشن حملات عسكرية للسيطرة على المدن الأندلسية وأصبح الاستيلاء على طليطلة شغله الشاغل فأخذ يعمل لتنفيذ ذلك بالاغارة على أراضي طليطلة والعيث فيها

---

(١) عنان ، دولة الإسلام (دول الطوائف) ، ٢٦٦ .

(٢) مؤنس ، موسوعة تاريخ الأندلس : ٢ / ٢٥

(٣) المقري ، نفح الطيب : ٥ / ٣٤٠ ؛ ينظر : ارسلان ، الحلل السندسية : ٢ / ١٨٨ .

(٤) عنان ، دولة الإسلام (دول الطوائف) ، ص٢٦٧ .

(٥) ابن الخطيب ، أعمال الإعلام ، ص ١٧١ ؛ الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ص ٣٦١ .

سفكا وتخريبا ونسفا لمزارعها واستمر على ذلك سنوات عدة حيث شرع في سياسته تلك منذ عام (٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م) [١] .

فكانت غايته هي إضعاف الوسائل الدفاعية للمدينة وإيقاعها بالضيق والشدة بتدمير مواردها ونسف ضياعها وحرق الدور ومما شجعه على الاستمرار على ذلك عدم وجود أية مقاومة من أمراء وملوك الطوائف ترده [٢] ، واستطالت الحرب أعواما والفونسو يعيث في بسائط طليطلة حتى اتعب المدينة وصيرها قفرا بلقعا ، وفي عام (٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م) زحف على طليطلة بجيش ضخم وضرب الحصار حولها وقطع كل اتصال لها مع الخارج [٣] .

ثم دخل الشتاء وشحت الأقوات واشتد الأمر بأهل المدينة [٤] ، ولاسيما أنهم لم يتمكنوا من حصد زرعهم قبل الحصار بسبب عيث النصارى به ووقوع الآفة بغلتهم [٥] .

ومضى على حصار القشتاليين لمدينة طليطلة زهاء تسعة اشهر وقد تفاقم الخطب وبلغت الشدة بالمحاصرين اقصاها فقد اضناهم الجوع والمرض فاضطروا بعدها الى فتح ابواب المدينة وتسليمها وذلك في محرم من سنة (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)[٦] .

ويبدو ان ايواء المامون بن ذي النون للفونسو السادس قبل ذلك عند لجوئه اليه فارا من وجه اخيه شانجة لنزاع قام بينهما حول العرش كان سبباً للتعجيل بسقوط المدينة فقد اطلع الفونسو على عورات المدينة وتعرف على دروبها

---

(١) الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ص٣٣١ .
(٢) الباشا ، الأندلس الذاهبة : ٢ / ٤٧ .
(٣) يوسف اشباخ ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة : محمد عبد الله عنان ، (ط٢ ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٨م) ، ص٥٧ – ٥٨ – ٥٩ .
(٤) عنان ، مواقف حاسمة ، ص٢٧٤ .
(٥) المقري ، نفح الطيب : ٥ / ٣٣٨ .
(٦) عنان ، مواقف حاسمة ، ص٢٧٥ ؛ الباشا ، الاندلس الذاهبة : ٢/ ٤٨ .

وخططها ويقال انه استمع الى المأمون يوماً وهو يتحدث مع وزرائه عن كيفية الدفاع عن طليطلة وعلم من استماعه الى الحديث وهو يتظاهر بالنوم ان يكفي لسقوط المدينة ان تحاصر سبع سنين بتدمير غلاتها واجتياح ضواحيها وقطع الميرة والمؤن فيضطر اهلها الى التسليم فان لم تؤخذ طليطلة بالسيف فيمكن اخذها بالجوع[1] .

ولحق اذى النصارى مدينة بلنسية ايضا فبعد دخول المرابطين وبدء عملياتهم بإسقاط ملوك الطوائف وضم المدن الى سلطانهم تعرضت بلنسية لحصار شديد من السيد الكمبيادور (ELcid campeador) [*] بعد ان تولى امر المدينة القاضي جعفر بن جحاف سنة (٤٨٥ هـ/ ١٠٩٢ م) الذي لم يشأ محالفة السيد الكمبيادور ولا الدخول في طاعة المرابطين بشكل مطلق[2] .

فضرب السيد حول المدينة حصارا صارماً وعاث في الانحاء المجاورة ولم يدخر وسعا في قطع الاقوات عن المدينة واستمر الحصار زهاء عشرين شهراً بلغ الضيق بالبلنسيين المنتهى وفتك بهم الجوع ايما فتك[3] .

وخلال الحصار عظم البلاء على الناس وتضاعف الغلاء وتساوى في عدم القوت الاغنياء والفقراء وترمق سائر الناس الجلود والاصماغ وعروق السوس وعدم الناس الطعام فاكلوا الفئران والقطط والكلاب وجيف بني آدم الى ان اكل الناس الناس فمن مات منهم اكلوه فهجم على نصراني وقع في الحفير فأخذ باليد ووزع لحمه فغدا اهل بلنسية كالاشباح هزالا[4] .

---

(١) الحجي ، التاريخ الاندلسي ، ص ٣٣٢ ؛ احمد عودات وآخرون ، تاريخ المغرب والاندلس من القرن السادس الى القرن العاشر الهجري ، (الاردن ، دار الامل ، ١٩٨٩م) ، ص ٤٨ ؛ حمودة ، تاريخ الاندلس ، ص ٢٦٦ .

(*) هو فارس قشتالي واسمه هو رودريجو ومعنى لقب الكمبيادور هو المحارب الباسل واطلق عليه المسلمون لقب السيد وسمي بالمصادر العربية بالقنبيطور ، عنان ، مواقف حاسمة ، ص٢٤٧ .

(٢) طقوش ، تاريخ المسلمين ، ص٥٠٥ .

(٣) عنان ، دولة الاسلام (دول الطوائف) ، ص٢٣٣ .

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣ / ٣٠٥ و ٤/ ٣٨- ٣٩- ٤٠؛ ارسلان ، الحلل السندسية: ٣ / ٥٩.

وقعد السيد لهم كل مرصد فكان يتفنن في تعذيب من يحاول الخروج من المدينة فيحرقه او يفقع عيناه او يدق ساقاه ويقطع يداه او يقتلهم ويعلق جثتهم على الاشجار [١] ، لئلا يخرج الضعفاء ويتوفر القوت للاقوياء حتى عدمت الاقوات بالجملة وهلك الناس واستحكم الوباء فبينما كان الرجل يمشي يسقط ميتا[٢] .

ولما بلغ الامر الى هذا القدر اجتمع اعيان المدينة وارغموا ابن جحاف على مفاوضة السيد وتسليم المدينة فتم ذلك سنة(٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)[٣] .

لقد كان لهذه الواقعة اثر سيء في نفوس المسلمين اذ ان الجوع الذي عاناه اهل بلنسية كان من اشد ما عرفه مسلمو الاندلس خلال تلك الحروب وقد سجل هذه المأساة وصورها اصدق تصوير المؤرخ ابن علقمة [*] الذي تحدث عن اخبار بلده بلنسية ووصف ما حاق بها من البلاء على يد السيد القنبيطور في كتاب له اسماه (البيان الواضح عن الملم الفادح) فكان وصفا يبكي القاريء ويذهل العاقل [٤] .

بينما رثى الشاعر ابن خفاجة حال مدينة بلنسية بابيات شعرية قال فيها :

عاثت بساحتك الظبا يا دار	ومحا محاسنك البلى والنار
فاذا تردد في جنابك ناظر	طال اعتبار فيك واستعبار

---

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٤ / ٣٣ ؛ الحجي ، التاريخ الاندلسي ، ص٣٧٤ .
(٢) مؤنس ، موسوعة تاريخ الاندلس : ٢ / ٧٢ .
(٣) عنان ، مواقف حاسمة ، ص ٢٥٨ ؛ عودات وآخرون ، تاريخ المغرب والاندلس ، ص٥٠ .
(*) ابن علقمة هو محمد بن خلف بن الحسن من اهل بلنسية كان شاعرا وناثرا ومؤرخا توفي عام (٥٠٩هـ/ ١١١٥م) ، انخل جنثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ترجمة : حسين مؤنس، (بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية ، د.ت) ، ص ١١٦.
(٤) مؤنس ، معالم تاريخ الاندلس ، ص٣٦٦ ؛ بالنثيا ، تاريخ الفكر ، ص١١٦ .

ارض تقاذفت الخطوب باهلها وتمحصت بخرابها الاقدار

كتب يد الحدثان في عرصاتها لاأنت انت ولا الديار ديار [1]

وطالت هجمات النصارى مدينة سرقسطة [*] أيضا ويبدو أن قرب سرقسطة من الأراضي النصرانية جعلها من أولى الأهداف لديهم .

وطبع النصارى حصار سرقسطة (٥١٢ هـ / ١١١٨ م) بطابع الحروب الصليبية إذ قام الفونسو المحارب ملك أرغون (Aragon) بالتماس المساعدة في حصار المدينة من الأوربيين فاجتمع له حشد قدر بخمسين ألف مقاتل من جميع انحاء أوربا [٢] ، حتى وصف كثرة الجيش المجتمع بانه ((أمم كالنمل والجراد)) [٣] .

بدأ الحصار في مستهل عام (٥١٢ هـ / ١١١٨ م) وطوقتها قوات كثيفة من النصارى وكانت سرقسطة تعتمد في الدفاع على حصانتها الطبيعية وأسوارها العالية وعلى قلعتها المنيعة [٤] .

إلا ان شدة الحصار واستمراره مدة طويلة جعل المجاعة تطل برأسها فانعدمت المؤن والأقوات بسرعة وهلك أكثر الناس جوعا داخل المدينة المحاصرة [٥] ، وفي الوقت نفسه كان المعسكر النصراني يعاني من نقص المؤن ويهدده الجوع المروع حتى فكر قادة الجيش برفع الحصار لولا مساعدات أسقف مدينة وشقة وزملائه الذين قدموا ذخائر كنائسهم من أجل شراء الأقوات للجيش فشجعهم على مواصلة الحصار [٦] ، أما أهل سرقسطة فبقوا على حالهم يعانون

---

(١) ديوان ابن خفاجة ، ص٣٥٤ ؛ ابن بسام ، الذخيرة : ق٣ مج١ / ١٠٠ .

(*) تقع سرقسطة في شمال شرق الاندلس وهي قاعدة الثغر الاعلى انذاك ، الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٩٦

(٢) الناصري ، الاستقصا : ٢ / ٦٧ ؛ عنان ، دولة الإسلام (عصر الرابطين) ، ص ٩٤ .

(٣) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ١٦٣ .

(٤) عنان ، دولة الاسلام (عصر المرابطين) ، ص ٩٤ .

(٥) ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، ص ١١٧ – ١١٨ ؛ أشباخ ، تاريخ الأندلس ، ص ١٤٤ .

(٦) عنان ، دولة الإسلام (عصر الرابطين) ، ص ٩٥ ؛ المرفي ، دولة المرابطين ، ص ١٥٤ .

الأمرين دون وصول أي مدد لاحكام الحصار حول المدينة فضلاً عن ان السكان لم يتمكنوا من جني محاصيلهم قبل الحصار لتبكير وجود النصارى في أحواز المدينة[1].

وفي رسالة مؤثرة بعث بها قاضي الجماعة وأهل المدينة إلى امير المرابطين في الاندلس الأمير تميم بن تاشفين يصف حال أهل المدينة أثناء الحصار ويسألونه الغوث يقول بها ((... من امة قد برح بهم الحصار ، وقعد عن نصرتهم الانصار، فترى الأطفال بل الرجال جوعا يجرون ، ويلوذون برحمة الله ويستغيثون . . .))[2]. وبعثت الرسالة إلى أمير المرابطين في الأندلس قبل ثمانية عشر يوماً من سقوطها بيد النصارى سنة (٥١٢ هـ / ١١١٨ م) بعد أن استمر الحصار قرابة سبعة أشهر [3].

ولم تقتصر هجمات النصارى على إضعاف المسلمين بالحصار فحسب بل اسهمت في تفاقم الوضع الإنساني في بعض المدن كما حدث بمدينة بطليوس سنة (٥٦٥هـ/ ١١٧٠م) حيث أعمال الغزو والتخريب التي يقوم بها النصارى على أحواز المدينة ونواحيها لم تتوقف مما أدى إلى تعطيل النشاط الزراعي وانعدام المرعى فضلاً عن قطع المغيرين من النصارى للطريق المؤدي إلى المدينة مما تسبب في توقف قوافل التجارة عن الوصول إليها وزاد الامر سوءاً تأخر هطول الأمطار في ذلك العام [4].

فزاد بذلك الضيق على المدينة واشتد الإرهاق على الناس فلما علم الموحدون في أشبيلية بذلك قرروا إرسال المدد لها فجهزوا قافلة من خمسة آلاف دابة تحمل الطعام والسلاح وأرسلوها إلى بطليوس[5]، فلما وصلت على مقربة من المدينة خرج إليهم جراندة الجليقي مع جمع من نصارى مدينة شنترين

---

(١) خليل إبراهيم السامرائي ، علاقة المرابطين بالممالك الأسبانية بالأندلس وبالدول الإسلامية ، (بغداد ، دار الحرية ، ١٩٨٥م) ، ص ٢٤٥ .

(٢) عنان ، دولة الإسلام (عصر المرابطين) ، ص ٥٣٩ .

(٣) الحجي ، التأريخ الأندلسي ، ص ٤٢٨ .

(٤) ابن عذاري ، البيان المغرب ، العصر الموحدي ، ٨٤ ؛ الغناي ، سقوط الموحدين ، ص ١٠٦ .

(٥) ابن عذاري، المصدر نفسه، العصر الموحدي، ٨٤؛ عنان، دولة الإسلام (عصر الموحدين)،ص ٤٣.

(Santarem)[*] فهاجموا القافلة وقتلوا حراسها واستولى النصارى على قافلة المؤن تلك[1] .

وفي سنة (٥٦٧ هـ/ ١١٧١ م) دخل الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن مدينة قونقة (أو كونكة) (Cuenca) بعد عودته من غزوة وبذة[2] واستقبله أهلها كبارا وصغارا وكانوا في حالة يرثى لها من الضعف والهزل اذ كان النصارى قد حاصروا مدينتهم قبل ذلك ببضعة أشهر وبرح بهم الضيق والحرمان[3] ، ويصف حالهم أبن صاحب الصلاة الذي كان مرافقا للخليفة بقوله ((كأنهم قد نشروا من كفن وخرجوا من جدث))[4].

ويبدو أن الحصار كان قاسيا عليهم ولم يتركهم النصارى إلا حينما علموا باقتراب الموحدين فأقلعوا عنهم وتركوهم فأوسع الخليفة عليهم بالعطاء[5].

ولم ينته استهداف قونقة عند هذا الحد فقد جدد النصارى حصار المدينة عام (٥٧٢هـ/ ١١٧٧م) بعد أن علم النصارى بعودة الخليفة إلى المغرب فضيقوا عليها الحصار الذي دام قرابة تسعة أشهر وفضلاً عن تلك المعاناة فقد انتشر الطاعون في المدينة فضعف الناس عن الدفاع عن مدينتهم مما أضطرهم إلى التسليم تحت ضغط الجوع والمرض فسقطت المدينة بيد النصارى عام (٥٧٣ هـ/ ١١٧٨م)[6].

(*) شنترين : مدينة تقع غربي الاندلس على نهر تاجة على مقربة من البحر لها سور عظيم و برج عال حصين وارضها ارض كريمة ، الرشاطي ، اقتباس الانوار ، ص ٥٨ ؛ ابن غالب ، فرحة الانفس ، ص ٢٩١ .

(١) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ٣٩٧-٣٩٨ ؛ أبو رميلة، الموحدين وعلاقتهم، ص ٣٩٢ .

(٢) حتاملة ، موسوعة الديار : ٢ / ٩١٠ .

(٣) عنان ، دولة الإسلام (عصر الموحدين) ، ص ٨٠ .

(٤) المن بالإمامة ، ص٥٠٥ .

(٥) ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، ص ٥٠٦ ؛ حتاملة ، موسوعة الديار : ٢ / ٩١٠ .

(٦) ابن عذاري ، البيان المغرب ، العصر الموحدي ، ١١٠ – ١١١ ؛ أبو رميلة ، الموحدين وعلاقتهم ، ص ٢٥٠ .

ويبدو أن سياسة الحصار ومنع الميرة وقطع الماء عن بعض المدن قد أفلحت عند النصارى ففي سنة (٥٨٥هـ/ ١١٨٩م) تقدم الجيش البرتغالي وبمساعدة من جيش صليبي إلى مدينة شلب (Silves) [*][١] ، وسار الجيش البرتغالي ليحاصر المدينة برا في حين أحكمت السفن الصليبية حصارها البحري من الجنوب وكعادتهم أقدم النصارى على مهاجمة ونهب ما حول المدينة من الأرياض مع محاولات عديدة لاقتحام المدينة إلا أن تلك المحاولات ذهبت عبثا [٢].

وكان من الممكن أن يطول الموقف وتصمد المدينة أكثر لولا أن عمد النصارى إلى قطع الماء عن المدينة وإرغامها على التسليم من جراء العطش إذ كانت شلب تستمد ماء شربها من النهر القريب بواسطة بئر كبير أقيمت قرب السور وأقيم فوقها برج قوي لحمايتها فعمد النصارى إلى هدم البرج وهاجموه بواسطة السلالم وخرج المسلمون لمنع ذلك فنشبت معركة بين الطرفين كانت الغلبة للنصارى الذين هدموا البرج وقطعوا الماء عن المدينة فكانت ضربة مؤلمة لأهلها لم تلبث ان آتت نتائجها وذلك أن العطش أخذ إلى جانب الجوع يفت من قوة تحمل أهل شلب إلى أن بعثوا يعرضون التسليم على النصارى بعد ان دام الحصار ثلاثة أشهر [٣].

وكان لسقوط شلب دافع للخليفة أبي يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠-٥٩٥هـ / ١١٨٤-١١٩٨م) للقيام بنشاط عسكري في بعض المناطق ونتج عنها أيضا استرداد شلب فوقع الفونسو الثامن ملك قشتالة هدنة أمدها خمس سنوات [٤].

(*) شلب الواقعة في أقصى جنوب شبه جزيرة الأندلس على مقربة من المحيط ، الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٠٦ ؛ عنان ، دولة الإسلام (عصر الموحدين) ، ص ١٧١ .

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، العصر الموحدي ، ١٧٥ ؛ الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ص ٤٦٢ .

(٢) عنان ، دولة الاسلام (عصر الموحدين) ، ص ١٧٢ ؛ حتاملة ، موسوعة الديار : ١ / ٥٦٩ .

(٣) عنان ، دولة الاسلام (عصر الموحدين) ، ص ١٧٢ ؛ أشباخ ، تاريخ الأندلس ، ٣٣٠ ؛ للمزيد ينظر : برزان ميسر حامد احمد العكيدي ، تاريخ مدينة شلب الاندلسية (٩٣-٦٤٠هـ/ ٧١٢-١٢٤٢م) ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ،(جامعة الموصل ، كلية التربية ، ٢٠٠٩م) ، ص١٢٥.

(٤) ابن خلكان ، وفيات الأعيان : ٧ / ٣-٤ .

وقبيل انتهاء المدة بدأ الفونسو بمهاجمة الأراضي الأندلسية والعيث بها يخرب كل شيء بالسيف والنار ويدمر المدن والقرى وينتسف الغلات والكروم وقطع اشجار الزيتون وخرب الضياع وسبى العزل من النساء والرجال وقتل المسلحين منهم [١] ، فاستغاث أهل الأندلس بالخليفة الموحدي الذي توجه إلى الاندلس ليخوض معركة الأرك (Alarcos) ضد النصارى ويذيقهم بها خسارة قاسية وذلك سنة (٥٩١هـ/ ١١٩٥م) [٢].

وفي سنة (٦٠٩ هـ/ ١٢١٢م) كانت هزيمة المسلمين الثقيلة بمعركة العقاب[*] (Los Novasde Toledo) ولم تكن بداية النهاية لدولة الموحدين في الاندلس [٣] فحسب بل أيضا سبب خراب الاندلس فقد زادت من عزيمة النصارى للإغارة على مناطق الاندلس فسقطت تباعا عدد من المدن الأندلسية المهمة كانت مدينة قرطبة ضمن أهداف ملك قشتالة فرناندو الثالث الذي شدد الحصار على المدينة وقطع كل علاقة لها من البر ومن جهة الوادي الكبير حتى لا تتمكن من تلقي أي مدد واستمر هذا الحصار المرهق حتى نضبت موارد المدينة وأقواتها [٤] ، فمات خلق كثير جوعا من قلة الزاد إلى ان أتفق الرأي على تسليم المدينة والخروج منها وذلك سنة (٦٣٣ هـ / ١٢٣٦ م) [٥] ، بعد أن حاول السكان

---

(١) أشباخ ، تاريخ الاندلس ، ص ٣٣٢ ؛ الصلابي ، دولة الموحدين ، ص ١٢٣ – ١٢٤ .

(٢) الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٢-١٣ ؛ حتاملة ، موسوعة الديار : ١ / ٤٣ .

(*) معركة العقاب تعتبر هذه المعركة من المعارك المهمة في التاريخ الاندلسي سميت بهذا الاسم نسبة الى حصن اموي قديم قرب فحص البلوط حيث جرت المعركة واستشهد في هذه المعركة عدد من اشياخ وعلماء الموحدين ومعظم افراد الجيش ، ابن ابي زرع ، الذخيرة السنية في اخبار الدولة المرينية ، (الرباط ، دار المنصور ، ١٩٧٢م) ، ص ٤٩ ؛طقوش ، تاريخ المسلمين ، ص ٥٥٥ .

(٣) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٧٠ .

(٤) ابن عذاري ، البيان المغرب ، العصر الموحدي ، ٣٣٣ ؛ عنان ، دولة الإسلام (عصر الموحدين) ، ص ٤٢٣ .

(٥) الذهبي ، سير أعلام النبلاء : ٢٣ / ٢٢ .

طلب المساعدة من المتوكل أبن هود الذي لم يحرك ساكنا لإنقاذ المدينة وتركها تلاقي مصيرها المؤلم[1].

ومرة أخرى عانت بلنسية الجوع فقد حاصرها ملك أراغوان سنة (٦٣٥ هـ / ١٢٣٨ م) بعد أن قاد حملات متوالية خلال السنوات السابقة للسيطرة على أهم حصونها ثم سار صوب بلنسية وكانت المدينة آنذاك تحت سلطة أبي جميل زيان[*] الذي صمم أن يدافع عن المدينة بكل عزم على الرغم من خسارته للمواقع الأمامية التي عزلت المدينة وجردتها من وسائل الدفاع [2]، وطوقت الجيوش الأراغونية المدينة وانضمت اليها قوات من انحاء مختلفة من أوربا [3]، مما دفع ابا جميل زيان إلى طلب المساعد من الأمير أبي زكريا يحيى الحفصي (٦٢٥-٦٤٧هـ/ ١٢٢٧-١٢٤٩م) وظهر الأسطول الحفصي المكون من اثنتي عشرة سفينة مشحونة بالأسلحة والاموال إلا أن هذه السفن لم تتمكن من الاقتراب من بلنسية لوجود الأسطول النصراني الارغواني وهكذا فشلت المحاولة الحفصية لمساعدة أهل بلنسية فعاد اسطولهم دون أن يحقق غايته التي أبحر من اجلها[4].

وهنا ضاعف النصارى جهودهم بالتضييق على المدينة وإرهاقها وفي حين كان أهل بلنسية يعانون الحرمان والجوع والغلاء ((وضعفت القوى وأكلت الجلود والزقوق)) [5]، كان النصارى في سعة تأتيهم المؤن من البحر بانتظام واستمر هذا

---

(١) الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ص ٥١٤ .

(*) أبو جميل زيان : من سلالة يوسف بن سعد بن مردنيش أمير شرق الأندلس في أواخر عصر المرابطين ، تولى الامير زيان أمر بلنسية سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م ودعى للعباسيين في بغداد حتى سقوط المدينة عام ٦٣٦هـ/١٢٣٨م ، أبن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٢٧٢ ؛ السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب ، ص ٢٨١ .

(٢) الحجي ، التاريخ الاندلسي ، ص٤٧٣ .

(٣) طقوش ، تاريخ المسلمين ، ص٥٦٨ .

(٤) ابن خلدون ، العبر : ٦ / ٢٨٥ ؛ الباشا ، الاندلس الذاهبة : ٣/ ٩٣ .

(٥) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص٢٧٣ .

الحال زهاء خمسة أشهر حتى فنيت الأقوات وعدمت الموارد واشتد البلاء بأهل المدينة وثلمت الأسوار والأبراج فرأى أعيان المدينة وعلى رأسهم الأمير زيان أن لا مناص من التسليم فتم ذلك سنة (٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م) (١) .

وفي سنة (٦٤٥ هـ/ ١٢٤٧ م) تطلع الملك القشتالي للسيطرة على حاضرة الموحدين والمعقل الكبير اشبيلية وبدأ تنفيذ خطته بعد ان جاس باراضيها المجاورة تخريبا و تدميرا فسيطر على اغلب الحصون الامامية للمدينة ثم ضرب الحصار حول اشبيلية (٢) ، الواقعة على الطرف الايسر من نهر الوادي الكبير وعلى الضفة المقابلة للمدينة توجد قلعة طريانة ويربط بينهما قنطرة وتعد طريانة الخط الدفاعي الاول لمدينة اشبيلية حيث شحنت بالاقوات والجند والذخائر استعدادا للحصار فاصبحت المنفذ الوحيد لورود المؤن الى المدينة ، لذا كانت المؤن ما تزال ترد على اشبيلية على الرغم من الحصار قادمة من العدوة المغربية وتدخل عن طريق نهر الوادي الكبير ثم الى طريانة ومنها الى اشبيلية فكان اهل المدينة يخرجون لقتال النصارى المحاصرين لاطمئنانهم من توفر التموين من ذاك الطريق (٣) .

اما النصارى فكانوا خلال الحصار يخرجون الى القرى والضياع المجاورة فيخربونها وينهبونها ويسوقون الماشية ويستولون على المتاع ويقتلون من بتلك المناطق من المسلمين ويحرقون دورهم (٤) .

وكانت اعداد النصارى في تزايد فكل يوم تفد على معسكرهم طوائف كثيرة من الجند قادمة من انحاء مختلفة من اوربا فضلاً عن وجود الزعيم المسلم محمد بن الاحمر (٦٣٥-٦٧١هـ/ ١٢٣٧-١٢٧٣م) مع فرقة من الفرسان والذي

(١) عنان ، دولة الاسلام (عصر الموحدين) ، ص٤٤٩ .
(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، العصر الموحدي ،٣٨١ ؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٥٧٣ – ٥٧٤ .
(٣) عنان ، دولة الاسلام (عصر الموحدين) ، ص٤٨٠ ؛ الباشا ، الاندلس الذاهبة : ٣/ ١٠٨ .
(٤) عنان ، دولة الاسلام (عصر الموحدين) ، ص ٤٨٠- ٤٨١ .

رافق الحملة بناءً على معاهدة معقودة بين الطرفين ، وهكذا عزز الحصار حول المدينة واحكم الطوق حولها وكان قد مضى على الحصار زهاء تسعة أشهر [1] .

صمدت المدينة كل تلك المدة الا ان الشعور بالضيق بدأ يدب إليها حثيثا بعد ان أصبح هم النصارى قطع الاتصال بين طريانة واشبيلية حتى تمكنوا من دفع مركبين محملين بالحجارة ومواد حارقة على القنطرة فتحطمت وقطع الاتصال بين الطرفين وتعذر بذلك ورود الاقوات والمؤن فكانت ضربة شديدة للمسلمين بقطع الملاذ الوحيد والأخير لتموين المدينة [2] .

حقق النصارى بذلك غايتهم فشددوا الحصار حول مدينة اشبيلية وطريانة وبدأ الاهالي يشعرون بوطأة الحصار عليهم والنصارى لا ينفكون يهاجمون المدينة حتى نفذت الاقوات واخذ الجوع من اهلها كل مأخذ [3] .

يقول ابن عذاري في وصف ذلك ((وعدموا المرافق كلها ، قليلها وجليلها ، الا ما كان في بعض ديار الاغنياء ... والناس مع ذلك حيارى ، يمشون سكارى وما هم بسكارى ، ومات بالجوع خلق كثير ، وعدمت الاطعمة من القمح والشعير ، وأكل الناس الجلود وفنيت المقاتلة من العامة واصناف الجنود ...)) [4] .

امتد الحصار قرابة ثمانية عشر شهرا اخذ الجوع والمرض يفتك بالاهالي ويذكر المراكشي في ترجمة ابي الحسن الدباج وكان من وجهاء وعلماء اشبيلية ان ((كان دعاؤه في حصار اشبيلية الا يخرجه الله منها ولا يمتحنه بما امتحن به اهلها)) فتوفي قبل سقوطها بتسعة ايام ولم يحضر الصلاة عليه الا ثلاثة اشخاص لما حل بالناس حينئذ من الموت وباءً وجوعاً ، ومن شدة الاضطراب وسوء الحال دفن الدباج في داره بعد ان حفر قبره بالسكاكين [5] .

---

(١) المرجع نفسه ، ص٤٨١ .

(٢) اشباخ ، تاريخ الاندلس ، ص٤٤٣ ؛ الباشا ، الاندلس الذاهبة : ٣/ ١٠٩ .

(٣) الحميري، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٢٢ ؛ عنان ، دولة الاسلام (عصر الموحدين) ، ص٤٨٤ .

(٤) البيان المغرب ، العصر الموحدي ،٣٨١ – ٣٨٢ .

(٥) الذيل والتكملة : س٥ ق١ / ٢٠١ .

بعد كل تلك المعاناة لم يجد اهل اشبيلية بدا من قطع كل امل بالنجاة ولم يعد امامهم سوى قبول مصير محتوم بتسليم المدينة والخروج منها فكان دخول النصارى سنة (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)[١] .

((... بعد ما جارعوا اهلها كأس الحمام من كثرة الجاعة وعدم الطعام ، فكل منهم في بحر المنايا غاص وعام ، مما حل بهم من الاوجال والالام ...))[٢] .

وهكذا فقدت الاندلس معظم ما تبقى من مدنها وحصونها في ظل ظروف مروعة من المحن وباتت البلاد تشغل رقعة متواضعة هي مملكة غرناطة ، والتي تشمل ثلاث ولايات كبيرة غرناطة في الوسط والمرية في الشرق ومالقة في الجنوب وعلى الرغم من قدرة هذه المملكة البقاء مدة قرنين ونصف فهي محصورة في الزاوية الجنوبية لشبة جزيرة الاندلس[٣]، الا ان قواعدها لم تسلم من مصير سابقاتها ، واخذ النصارى بعد اشتداد شوكتهم بتوحد مملكتي قشتالة واراغون تحت زعامة الملك فرديناند الخامس وزوجته ايزابيلا ، يعملون على اسقاط ما تبقى من تلك المدن وما يتبعها من قواعد وحصون ، وفي سنة (٨٩٢ هـ/ ١٤٨٧م) اشرف النصارى على مالقة بعد سيطرتهم على المناطق المجاورة لها وكانت مالقة ما تزال امنع الثغور الاندلسية[٤] ، واضحت بعد سقوط الجزيرة الخضراء وطريف (Tarifa)سنة (٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م)[٥] ، ومضيق جبل طارق (٨٦٦هـ/ ١٤٦٢م) صلة الوصل الاخيرة مع المغرب[٦].

وكان فرديناند يحرص على ان يقطع كل وسيلة ناجعة لقدوم الامداد من العدوة المغربية وكان استيلاؤه على مالقه يحقق له تلك الغاية، لذلك طوقت جيوشه مالقه من البر والبحر وتحصن الناس داخل مدينتهم بنتظار وصول المساعدة

(١) عنان ، دول الاسلام (نهاية الاندلس) ، ص٣٨ ؛ الحجي ، التاريخ الاندلسي ، ص٤٨٢ .
(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ، العصر الموحدي ، ٣٨٥ .
(٣) السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب ، ص٢٩٢ – ٢٩٣ .
(٤) طقوش ، تاريخ المسلمين ، ص٦٠٧ .
(٥) حول سقوطهما ينظر : ابن الخطيب ، كناسة الدكان ، ص٣٥ .
(٦) طقوش ، تاريخ المسلمين ، ص٦٠٦ – ٦٠٩ .

من الامير ابي عبد الله الزغل الذي تدين لـه بالطاعـة والـذي لم يستطع ان يسير بقواته لإنجادها خوفاً من المشاكل الداخلية التي قـد يتعـرض لهـا اذا تـرك مقـره في وادي اش [1] .

حاول المسلمون المحاصـرون في مالقـه تحطيم الحصـار لكـن دون جـدوى فازداد الضغط النصراني عليهم وقطع الامدادات واستمر الحصار قرابة ثلاثة اشهر نفد ما عند اهل المدينة من الطعام فاكلوا الخيل والحمير والجلود واوراق الشجر وفتك بهم الجوع والإعياء والمرض ومات جراء ذلك الكثير من الناس [2] .

فلم يجدوا في النهاية لهـم مـلاذا سـوى تسـليم المدينـة علـى ان يؤمنـوا في انفسهم واموالهم فرفع الحصـار واخـذ الـناس يتـدافعون لشـراء الطـعام مـن النصارى لشدة ما لاقوه من الجوع والحرمان[3] .

وبسقوط مالقه اصبحت مملكة غرناطة قسـمين الشـرقي منهـا يضـم وادي اش والمرية ومدينة بسطة والقسم الغربي يضم غرناطة واعمالها [4] .

وفي سنة (٨٩٤ هـ/ ١٤٨٩ م) حوصـرت مدينـة بسـطة وخـلال الاشـهر الثلاثة الاولى من الحصار استطاع المسلمون الخروج والاغارة على العدو غـير مـرة فلم يستطع النصارى احكام حصار المدينة الا بعد ذلـك[5] ، ممـا اضـطر المسـلمون للامتناع داخل المدينة واخذ النصارى يضيقون الخناق على المحاصرين وخلال اشهر ثلاثة ضاق اهل المدينة ذرعا فقلت الاقوات واشتد الكرب وفتك الجـوع والمـرض بالعامة [6] ، فكان لابد من الرضوخ الى قرار التسليم والخـروج عـن المدينـة وكـان ذلك عام (٨٩٥ هـ/ ١٤٨٩ م) بعد ان دام الحصار ستة اشهر ، واستسلمت مدينة

---

(١) عنان ، دولة الاسلام (نهاية الاندلس) ، ص ٢٠٢ .
(٢) المقري ، نفح الطيب : ٥/ ٤٠٣ ؛ حتاملة ، موسوعة الديار : ٢/ ١٠٠ .
(٣) ستانلي لين بول ، قصة العرب في اسبانيا ، ترجمة : علي الجارم ، (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٤م) ، ص ١٩٨-١٩٩ ؛ عنان ، دولة الاسلام (نهاية الاندلس) ، ص٢٠٣ .
(٤) طقوش ، تاريخ المسلمين ، ص ٦١٠ .
(٥) حتاملة ، موسوعة الديار : ١/ ٢٥٣ .
(٦) المقري ، نفح الطيب : ٥/ ٤٠٣ ؛ عنان ، دولة الاسلام (نهاية الاندلس) ، ص٢١١ .

المرية بعد ذلك بقليل ودخلت منطقة وادي آش تحت طاعة النصارى ليسقط الجانب الشرقي من مملكة غرناطة [1] .

فلم يبق امام النصارى سوى السيطرة على غرناطة التي تمثل الجانب الغربي من المملكة وبعد رفض ابي عبد الله الصغير طلب ملك قشتالة بتسليم المدينة والدخول تحت طاعته اخذ النصارى يرسلون الجند لإتلاف الزروع والحقول القريبة واستياق الماشية وتخريب القرى حتى وصلوا الى اسوار غرناطة فترك حقول المدينة قفرا بعد ان كانت تزخر بالخصب والغلة حيث كان موعد الحصاد انذاك ففقدت غرناطة موردا مهما يساعدها في الصمود امام هجمات العدو[2].

وظن الناس ان فرناندو عازم على الانصراف فاذا به يتقدم لحصار المدينة وذلك سنة (٨٩٦ هـ/ ١٤٩١م) ويبني مدينة صغيرة مسورة اسماها سانتافيه (santafe) (الايمان المقدس) رمزاً للحرب الدينية و لتكون قاعدة عسكرية له فلم يعد امام غرناطة سوى طريق واحد يربطها مع منطقة البشرات ماراً عبر جبل شلير (جبل الثلج) لجلب الاقوات والمؤن مع كل ما يرافق ذلك الطريق من صعوبة ومشقة [3] .

لبثت المدينة تعاني مصائب الحصار صابرة جلدة حتى دخل الشتاء وغصت الطرق والشعاب بين غرناطة والبشرات بالثلوج [4] ففقد السبيل الوحيد للمؤن وانقطع الجالب وقل الطعام واشتد الغلاء وعم الجوع والبلاء بالمحصورين واستولى العدو على اكثر المناطق خارج البلد فمنع الناس الحرث والعمل [5] .

فضاق الحال ودب اليأس في قلوب الناس بعد ان فتك بهم الجوع والحرمان والمرض ، دفعت تلك الاحوال اعيان المدينة وفقهاءها وكبار الجند

---

(١) المقري ، المصدر نفسه : ٥/ ٤٠٤ ؛ طقوش ، تاريخ المسلمين ، ص٦١٠ــ ٦١١ .

(٢) بول ، قصة العرب ، ص٢٠٣ ؛ عنان ، دولة الاسلام (نهاية الاندلس) ، ص٢٢٢ .

(٣) الناصري ، الاستقصا : ٤/ ١٠٣ ؛ الغنيمي ، كيف ضاع الاسلام ، ص٣٧١ .

(٤) عودات وآخرون ، تاريخ المغرب والاندلس ، ص١٧٣ .

(٥) المقري ، نفح الطيب : ٥/ ٤٠٦ ؛ حمودة ، تاريخ الاندلس ، ص٢٩٩ .

للاجتماع بالامير عبد الله وشرحوا له الحال وانه لم يبق لهم سوى الموت او التسليم[1] .

فاتفق الجميع على وجوب التسليم بعد ان اعياهم الحصار سبعة اشهر ففتحت المدينة ابوابها سنة(٨٩٧ هـ/ ١٤٩٢ م) فسقطت غرناطة جوعا وغلاء دون الحرب والقتال [2] .

من كل ما سبق نجد ان الاخطار الخارجية منها والاضطرانات الداخلية كان في بعض منها ان لم يكن باغلبها اشد قسوة وتاثيرا من العوامل الطبيعية فما احاط الاندلس من ممالك نصرانية كانت تتحين الفرصة لاي ضعف قد يدب في جسد البلاد للانقضاض عليها ، جعل الاندلس في خطر دائم لذا نجد فترة ملوك الطوائف و فترة ضعف الموحدين ولاسيما بعد معركة العقاب (٦٠٩ هـ/ ١٢١٢ م) والفترة التي سبقت سقوط غرناطة هي من اكثر الفترات التي عانت بها البلاد من ضياع مدنها وتخريب اقتصادها هذا على صعيد الاخطار الخارجية اما الاضطرابات الداخلية فلا تكاد تخلو منها أي فترة من الفترات وان كنا وضحنا تلك الاحداث فحسبنا ان تكون انموذجا لما عاناه الناس في المدن والمناطق من ازمات اقتصادية من جرائها وغيرها كثير لذا اقتصر الحديث على اهمها وابرزها .

٢- الحرائق الناتجة عن الفتن والاهمال:

لم تقتصر المسببات البشرية للازمات الاقتصادية على ما دار من حوادث واضطرابات سياسية وعسكرية بل كان لحوادث الحرائق اثر كبير في اقتصاد البلاد وقد تحدث تلك الحرائق اما بشكل مقصود للوصول الى هدف معين فتستخدم النار وسيلة ناجعة لبلوغ الغاية المطلوبة او تحدث نتيجة الاهمال والتقصير فتنشب بشكل مبهم دون معرفة اسباب حدوثها الا انها في كلتا الحالتين تخلف أضرارا بالغة على الاقتصاد ولاسيما اذا ما حدثت في الاسواق والتي هي ابرز ميدان لها.

---

(١) عنان ، مواقف حاسمة ، ص٢٩٨ .

(٢) الناصري ، الاستقصا : ٤/ ١٠٣ ؛ عنان ، دولة الاسلام (نهاية الاندلس) ، ص٢٢٦ .

وعلى الرغم من ان المعلومات الواردة حول حوادث الحرائق قليلة وتكاد تقتصر على ذكر سنة الحادث وعلى الموضع الذي اتت عليه واحرقته دون ذكر تفصيلي لحجم الخسائر المادية التي نتجت عنها .

وعبر تاريخ الاندلس واعتبارا من عصر الامارة وما بعدة وجدت ظاهرة ارتبطت بالاقتصاد الاندلسي وهي احراق المزارع سواء من الاسبان الذي يغيرون على الاراضي الاسلامية او من المتمردين على حكومة المركز او حتى من جيوش الدولة الذين يحرقون زروع المتمردين او دورهم كوسيلة من وسائل اضعافهم واجبارهم على الطاعة [1] .

وكم سيكون تاثير هذه الحوادث فادحا اذا ما وضعنا في حسباننا عدم وجود الوسائل الفعالة لاخماد النيران وانقاذ ما يمكن انقاذه [2] .

ان فكرة النار وسيلة لتحقيق غاية ما نجدها واضحة في الاجراء الذي اتبعه الامير الحكم ابن هشام بن عبد الرحمن الداخل لمواجهة التمرد الذي اندلع في ربض قرطبة المسماة شقندة والمعروفة (بهيجة الربض) سنة (٢٠٢ هـ/ ٨١٧ م)، وكان هذا الربض مسكن العمال واهل السوق من التجار واهل الحرف فضلاً عن الطلبة والفقهاء حيث يقع الحي بالقرب من جامع قرطبة وقصر الامارة والسوق[3] .

حدث العصيان نتيجة لسخط هؤلاء على الامير الحكم واستيائهم من سياسته فزحفت جموع المتمردين من كل ناحية الى قصر الامارة وطوقته فاوعز الامير الى حرسه ان يجتهدوا في ايجاد منفذ لهم ينفذون منه الى ضاحية المتمردين (الربض) ويقتحمونها [4]، فيضرمون النار فيها ونجحت هذه الوسيلة في تفريق

---

(١) السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب ، ص٤٦١ .

(٢) الزيات ، مظاهر اقتصادية ، ص١١٧ .

(٣) احمد مختار العبادي ، في تاريخ المغرب والاندلس ، (الاسكندرية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، د. ت) ، ص١٣٠.

(٤) الصوفي ، تاريخ العرب (نهاية الخلافة الاموية) ، ص١٠٢ .

شمل الساخطين اذ ما كادت السنة اللهب تبدو حتى هرع الكثير منهم إلى دورهم يحاولون إطفاء النار وإنقاذ الأهل والولد والمال ، فتتبعهم جند الامير فأوقعوهم بين نارين واعملوا فيهم السيف حتى قتلوا منهم خلقاً كثيراً [١]، وهدم الربض بعد ذلك وهجر اعداد كبيرة من اهله البلاد بعد تلك الحادثة بأمر من الامير الحكم [٢] .

وحسبما جاء في رواية ابن حيان فان ناراً عظيمة وقعت بسوق قرطبة سنة (٣٠٥ هـ/ ٩١٧ م) فاحترقت حوانيت المشاطين والخراطين [٣] ، ويذكر ابن ابي زرع ان حريقاً وقع في ارباض مدينة بياسة [*] وامتد ليحرق اسوار قرطبة ، وقد تزامن ذلك الحريق مع مثيل له وقع في اسواق مدينة تاهرت وفي اسوار مدينة فاس من بلاد العدوة المغربية فسميت تلك السنة بسنة النار [٤] ، وقد يكون الحادثان منفصلين عن بعضهما لكنهما وقعا في السنة المذكورة نفسها .

وتعرض الاقتصاد الاندلسي ولاسيما التجاري منه الى اذى جسيم جراء ما وقع من حريق كبير في عدة مناطق من السوق العظمى بقرطبة سنة (٣٢٤هـ/ ٩٣٥م) فقد اتت النار على مجالس الخط * واتصل الحريق بحي الصوافين وشمل الحريق مسجد ابي هارون فاحترق وتداعى واتصل الحريق بسوق العطارين وما جاوره من منازل ودور واسواق كحوانيت الحرارين وحوانيت الشقاقين

---

(١) ابن سعيد ، المغرب : ١/ ٤٢ ؛ عنان ، دولة الاسلام (عصر الامارة) ، ص٢٤١ .

(٢) العبادي ، في تاريخ المغرب ، ص١٣١ ؛ الشيخ ، دولة الفرنجة ، ص٨٨ .

(٣) المقتبس ، تحقيق : شالميتا ، ص١٤٢ ؛ ينظر: النقيب ، الازمات الاقتصادية ، ص١٨ .

(*) بياسة : مدينة من مدن كورة جيان تطل على نهر الوادي الكبير وهي ذات اسوار واسواق ومتاجر كثيرة الزرع والأشجار والكرم والزعفران الذي فيها لا مثيل له ، ابن غالب ، فرحة الانفس ، ص ٢٨٤ ؛ الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٥٧ .

(٤) الانيس المطرب ، ص٩٨ .

(*) وان اختلف في ذكرها بين محابس الخط او مجالس الحصا او مجالس الحصاد ، راجع : ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : شالميتا ، ص٣٨٣ ، وهامش المحقق ؛ عنان ، دولة الاسلام (عصر الخلافة) ، ص٤٢٥ ؛ النقيب ، الازمات الاقتصادية ، ص ١٨ .

واعتدت النار على دار البرد فاذهبت به فكان مشهدا مروعا وحريقا شنيعا بالغ الضرر [1] .

كما تضرر المسجد الجامع بمدينة قرطبة سنة (٣٦٢هـ/ ٩٧٢م) على اثر نار سقطت في دار القومة الواقعة بجوف المسجد وامتدت لتشمل غرفها واسقف بيوتها فكان اثره سيئا في الجامع [2] .

وتعرضت اسواق طليطلة الى حريق الا اننا لا نعلم بالتحديد سنة وقوعه فالمعلومة ترد عند ابن بشكوال ضمن ترجمته لاحمد بن محمد الاموي المعروف بابن ميمونة (ت ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م) وكان هذا من اهل العلم والرواية حافظا لرأي مالك ، وقعت النار في اسواق طليطلة فاحرقتها وكان دار ابن ميمونة في ناحية الفرائين فاحترقت الدار الا البيت الذي كان يحوي كتبه فلم يلحقه اذى ذلك الحريق [3] .

وفي السنوات الشداد التي مرت على قرطبة خلال الفتنة بين اهلها والبربر وعلى حين كانت غارات البربر يزداد حصارها ويشتد يوما بعد يوم خاف واضح الصقلبي حاجب الخليفة هشام المؤيد انذاك من دخول البربر من جهة منية الرصافة (Ruzafa) [*] فأمر بحرقها وهدمها وانتساف زرعها [4]، فغدت خرابا بعد حسنها وجمالها وفقدت قرطبة مصدرا لقوتها وحصناً لها بذلك العمل[5] .

ومما زاد الامر سوءا الظروف السيئة التي لحقت باهل قرطبة من فيضان النهر والغلاء والمجاعة التي اجتاحت المدينة ومن ثم وقوع الحريق في سوق الخشابين

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق: شالميتا ، ص٣٨٣ ؛ الفلاحي ، التاريخ الاندلسي ، ص١٠٣ .
(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص١٠٤ .
(٣) الصلة : ١/ ٢٠ – ٢٢ .
(*) منية الرصافة: مدينة بالاندلس أنشأها عبد الرحمن الداخل، الحموي، معجم البلدان : ٣/ ٤٨.
(٤) الصوفي ، تاريخ العرب (نهاية الخلافة الاموية) ، ص٢٠٨ ؛ عبد الوهاب الدباغ ، اثر الفتنة على الحياة الفكرية والعمرانية في الاندلس ، مجلة التربية والعلم ، مج ٩ ،ع ١ ، (جامعة الموصل ، كلية التربية، ٢٠٠٢م) ، ص٨٦ .
(٥) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٣/ ١٠٢ ؛ سالم ، قرطبة ، ص١١٣ .

وامتدت النار منه الى اسواق اخرى فكان حريقا عظيما نشب سنة (٤٠٢ هـ/ ١٠١١ م) وانتهز الناس تلك الفرصة فاعملوا النهب فيما لم تات عليه النار وتوجه عدد منهم الى جامع الزهراء فاحرقوه ايضا ليتسنى لهم نهبه واخذ ما بقي من قناديله وصفائح الابواب والحصر والمنبر [١] .

واستخدم النصارى النار وسيلة من وسائلهم الاستردادية للسيطرة على المدن ، فخلال حصارهم لجزيرة ميورقة (Mallorca) [*] سنة (٥٠٨ هـ/ ١١١٤م) وبعد ان طال الحصار زهاء عام عانى خلاله المسلمون المحاصرون اهوال الجوع والحرمان الا انهم صمموا على مواصلة الصمود فشدد النصارى هجماتهم [٢] والقوا النار على المدينة في محاولة لإضعاف المحاصرين فانتشرت فيها النار حتى وصلت الى الات الحصار والمجانيق التي كانت بحوزة النصارى انفسهم وعلى الرغم من ذلك تمكنوا من فتح ثغرات في سور المدينة فدخلوها [٣] ، وعاثوا في انحائها تخريبا وقتلا حتى سمعوا بخروج الاسطول المرابطي لاستنقاذ المدينة فغادروها مثقلين بالغنائم تاركيها خرابا [٤]، فلما وصل الاسطول المرابطي اليها ((وجد المدينة خاوية على عروشها محرقة سوداء مظلمة منطبقة)) [٥] ، وكان انسحاب النصارى منها سنة (٥٠٩ هـ/ ١١١٥م) بعد ان تركوا ميورقة قاعا صفصفا.

---

(١) ابن عذاري، المصدر نفسه : ٣/ ١٠٧ ؛ الصوفي ، تاريخ العرب (نهاية الخلافة الاموية) ، ص٢١٨.

(*) ميورقة : احدى الجزر الثلاث الواقعة شرق الاندلس في البحر الابيض المتوسط و المعروفة بالجزائر الشرقية اضافة الى جزيرة منورقة ويابسة فتحها المسلمون عام ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م ، سقطت بيد الاسبان عام ٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م ، البكري ، جغرافية الاندلس ، ص ٦٦، هامش رقم ٣ ؛ الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٨٨-١٨٩ .

(٢) الحميري ، المصدر نفسه ، ص١٨٨ ؛ عنان ، دولة الاسلام (دول الطوائف) ، ص٢٠٣ .

(٣) حتاملة ، موسوعة الديار : ١/ ٣٨٠ .

(٤) ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، ص١٢٣-١٢٤ ؛ عنان ، دولة الاسلام (عصر المرابطين) ، ص٧٧ ؛ الهرفي ، دولة المرابطين ، ص٣٤٤ .

(٥) ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، ص١٢٤ .

ولم يكن حادث ميورقة الوحيد فقد تكرر في مناطق اخرى وان اختلف في الكيفية والنتائج الناجمة عنه [1] .

وبالعودة الى حوادث الحرائق العرضية فقد شبت النار بسوق الكتانين بقرطبة سنة (٥٢٥هـ/ ١١٣٠م) واتصل الحريق بسوق البز فاتت عليه وسرقت اموال الناس اثناء الحادث فاسفر عن خسائر مادية فادحة مما دفع الناس الى رجم ابن المناصف * لتقصيره في توزيع المعونة على المتضررين من الحادث [2] .

وخلاصة القول ان لحوادث الحرائق الاثر الضار في السكان ولاسيما التجار منهم وارباب المهن لما تخلفه من تلف واذى في بضائعهم واموالهم الا ان ضرره عادة يكون جزئيا حيث يقتصر على منطقة محددة ومدة قصيرة وقد يؤثر في مستوى الاسعار وكمية السلعة المعروضة في السوق تبعا لدرجة الضرر الذي لحق بالسلع من جراء الحريق .

ثانيا : العوامل الاقتصادية :

١-الغلاء في الاسعـــار :

عرف الغلاء لغة بانه نقيض للرخص فيقال غلا الشيء او السعر غلـواً اذا جاوز حده الطبيعي [3] .

وقد اولى ابن خلدون عناية بمسألة الغلاء وتحدث عن الاسباب الكامنة وراء حدوثه من وجهة نظره فذكر ان الضرائب والمغارم وزيادة نسبتها من الدولة

---

(١) راجع : ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : شالميتا ، ١٤٣ ؛ وينظر : عنان ، دولة الاسلام (عصر الموحدين) ، ص٨٧.

(*) ابن المناصف هو محمد ابن اصبغ الازدي القرطبي تولى خطة المظالم بقرطبة ثم ولي قضاء الجماعة مدة طويلة والصلاة بالمسجد الجامع توفي عام ٥٣٦ هـ/١١٤١م ، ابن القطان ، نظم الجمان ، ص١٠٦ ، هامش رقم ٣ ؛ ابن سعيد ، المغرب : ١/ ١٠٥ .

(٢) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص١٩٠-١٩١ ؛ عنان ، دولة الاسلام (عصر المرابطين) ، ص١٣٤ ؛ ابو مصطفى، تاريخ الاندلس الاقتصادي ، ص٣٠١ .

(٣) ابن منظور ، لسان العرب : ١٥ / ١٣١ – ١٣٢ ، مادة غلا .

تؤثر في سعر السلعة عموما فترتفع كلما زادت الضرائب اذ تدخل المبالغ المدفوعة ضمن سعر السلعة فيرتفع السعر تبعا لزيادة المغارم لذا نجد ان السلع والبضائع في البادية ارخص مما هي عليه في المدينة اذ تزيد الضرائب المفروضة في المدينة عن البادية ، كما ان تكاليف انتاج السلعة او ما تحتاج اليه المواد المزروعة من فلاحة وعناية وحصاد ونقل وغير ذلك تدخل ضمن سعر المنتج النهائي فيرتفع السعر كلما زادت التكاليف الواجب اداءها [1] ، فضلا عن ما قد تواجهه البلاد من حالات الغلاء والتي تؤثر في اسعار البذار فتغلو تبعا للغلاء العام والذي يعجز معه الكثير من ارباب الاراضي على ازدراعها نتيجة لذلك فتقل الاقوات في البلاد ويغلو بذلك ما هو متوافر منها[2].

فضلاً عما سبق فقد رأى ابن خلدون ان تهافت الناس على شراء المؤن من المواد الغذائية في فترات الازمات وما يقع من آفات سماوية على حد قوله كان مدعاة لزيادة السعر وغلائه ليس لقلته انما لزيادة الطلب عليه فيعز على صاحبه الذي يعمد الاستفادة قدر الامكان وهو يعلم ان رغبة الناس في اتقاء شر الجوع والحرمان يدفعهم الى شراء القوت مهما بلغ ثمنه في تلك الاوقات [3] .

اما في الاندلس فقد تعددت الاسباب والاحوال التي ادت الى غلاء الاسعار وفضلاً عما ذكرناه فان للاندلس وضعها الخاص وذلك لمجاورتها الممالك الاسبانية التي تتربص بها وشكلت ابرز خطر عليها فهي بذلك تختلف عن سائر البلاد الاسلامية لذا يمكن القول ان حوادث الغلاء الواقعة في الاندلس اختلفت باختلاف المسبب ويمكن تصنيف تلك الاسباب على النحو الاتي:

---

(١) المقدمة : ٢ / ٣٦٤ ؛ ينظر : ابن الازرق ، طبائع السلك : ٢/ ٢٨٥ .

(٢) تقي الدين احمد بن علي المقريزي ، اغاثة الامة بكشف الغمة ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال، (ط٢ ، القاهرة ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، ١٩٧٥م) ، ص ٤٦ – ٤٧ .

(٣) المقدمة : ٢ / ٣٦٣ ؛ ينظر : اوليفيا ريمي كونستبل ، التجارة والتجار في الاندلس ، تعريب : فيصل عبد الله ، (الرياض ، مكتبة العبيكان ، ٢٠٠٢م) ، ص ٢٠٩ – ٢١٠ .

١. أزمات غلاء نتجت عن غارات النصارى او حصارهم للمدن فكانوا يعمدون الى منع وصول أي مدد لتلك المدينة مما يوقع اهلها في المجاعة نظراً لقلة القوت وسرعة نفاذه لكثرة الطلب عليه، وفي حالات اخرى ادت غارات النصارى على مناطق من البلاد دون حصارها الى ارتفاع الاسعار لخوف الناس مما هو ادهى وأمر من تلك الغارات .

٢. وقد يحدث الغلاء متزامناً مع حالات قحط وجدب وانتشار المجاعة والذي قد يرافقه وقوع الوباء فيقل المعروض من القوت ويعز على طالبه فيزيد سعر المتوفر منه لذا نجد ان كثيرا من حالات الغلاء يرتفع السعر الى درجة يعجز عنه اواسط الناس فما بالنا بالمعدمين والفقراء وقد تفقد الاقوات كليا فيتساوى الغني والفقير في تلك المعاناة .

٣. وفي حالات اخرى قد يقع الغلاء في معسكر الجيوش المحاصرين لمدينة ما او الخارجين في قصد القتال فقد تقل الاقوات وترتفع الاسعار الى حد يجعل استمرار الحصار او القتال امرا في غاية الصعوبة فيكون الانسحاب والعودة خيرا من البقاء .

٤. وهناك من الاخبار التي وردت حول وقوع الغلاء من غير ان توضح اسباب حدوثه ولا عن تفاصيله ولا حتى عما اسفر عنه من نتائج فيكتفي ذاكره بالخبر وسنة وقوعه فقط وبتعدد اسباب واحوال الغلاء عبر تاريخ الاندلس سنعمد فيما ياتي الى تقديم تلك الاحداث حسب تسلسله الزمني.

فيشير ابن عذاري منفردا الى حدوث غلاء في الاندلس عام (١٢٩هـ/ ٧٤٨م) ولاشك ان ذلك كان بسبب الفتن القبلية التي كانت قائمة حينئذ بالاندلس ولعل هذا ما يلمح اليه في قوله ((وفيها كانت حروب ووقائع وغلاء في السعر))[1] .

---

(١) البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، تحقيق : كولان و ليفي بروفنسال ، (بيروت ، دار الثقافة ، د. ت) : ١ / ٦٢ .

ويذكر ابن الاثير في حوادث عام (١٩٧ هـ/ ٨١٢ م) وعلى عهد الامير الحكم بن هشام حدث غلاء شديد في الاندلس [١] ، ويبدو انه تزامن مع مجاعة وذلك حسب ما اورده المقري في حوادث ذلك العام [٢] ، فضلاً عن وصف ابن الاثير فيقول ((وكان الناس يطوون الايام ويتعللون بما يضبط النفس)) [٣] .

وتكرر الحديث عن الغلاء الحاصل في سنة (٢٠٧ هـ/ ٨٢٢ م) على عهد الامير عبد الرحمن الاوسط وتزامنه مع مجاعة شديدة حتى بلغ سعر المد * من القوت في بعض انحاء البلاد الى ثلاثين دينارا وهذا يعني غلاءاً فاحشا لايقدر عليه جميع الناس لذا ذهب ضحيته اعداد من الخلق [٤] .

وفي عهد الامير نفسه وتحديدا في سنة (٢٣٢ هـ/ ٨٤٦ م) وقع الغلاء وضيق الحال والمعيشة في البلاد بسبب القحط وكثرة الجراد [٥] ، وان لم يكن بين أيدينا ما يعزز هذا القول من حيث اسعار المواد الغذائية وما وصلت اليه اثناء الازمة الا ان قصة الامير عبد الرحمن مع الشاعر يحيى بن حكم الغزال (*) قد تعطينا دليلاً على غلاء الاسعار في تلك السنة فقد ولى الامير عبد الرحمن الشاعر الغزال قبض الاعشار (نصيب الدولة من المواسم) وخزنها في الاهراء (*) وفي ذلك العام وعند ارتفاع الاسعار بسبب القحط الحاصل قام الغزال ببيع ما كان في

---

(١) الكامل : ٥/ ٣٩٨ .

(٢) نفح الطيب : ١ / ٢٦٨ .

(٣) الكامل : ٥/ ٣٩٨ .

(*) المد يساوي تقريبا ٥٠٨ غرام ، سيد عبد الغفار بخاري ، مقارنة بين الموازين والمكاييل المقاييس الشرعية مع المقادير المعاصرة ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، ع ٥٨ ، السنة ١٥ ، (دبي ، مركز جمعه الماجد ، ٢٠٠٧م) ، ص٢٨ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل : ٥/ ٤٧٠ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢/ ٨١ .

(٥) ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص٩٦ .

(*) يحيى بن حكم الغزال اديبا وشاعرا ارسله الامير عبد الرحمن الاوسط سفيرا الى بلاد النورمان سنة ٢٠٥ هـ / ٨٢٠ م توفي في حدود سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م ، عمر فروخ ، تاريخ الادب العربي ، (بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٢م) : ٤/ ١١٦ .

(*) الاهراء : بيت كبير يجمع فيه الطعام العائد للدولة ، الشرباصي ، المعجم الاقتصادي ، ص٤١ .

الاهراء من طعام ونظراً لقلة القوت فقد نفق ما عنده بسرعة وبالسعر السائد اثناء الازمة فلما علم الامير بذلك غضب من الغزال وأمره ان يعيد ثمن ما باعه مالا بعد انتهاء الازمة ورخص الاسعار فعجز الشاعر عن اداء ذلك لان الفرق بين السعرين (وقت الازمة وما بعدها) كان ثلاثين الف درهم لذا اراد الغزال رد مقدار الطعام الذي باعه كيلا واعادته الى مخازن السلطان والاحتفاظ بالفرق الحاصل بين سعر البيع والشراء فرفض الامير طلبه وأمر بعقابه وسجنه فكتب الغزال من سجنه قصيدة يستعطف الامير بها ويطلب عفوه فنال رضاه بها واطلق سراحه جاء في قصيدته :

ان تـرد المـال فـإني امـرؤ	لم اجمـع المـال ولم اكسـب
اذ اخـذت الحـق مـني فـلا	تلـتمس الـربح ولا ترغـب
قـد احسـن الله الينـا معـا	ان كـان رأس المـال لم يـذهب[1]

وفي سنة (٢٦٠هـ/ ٨٧٣م) وعلى عهد الامير محمد بن عبد الرحمن عدمت الاقوات فعم الغلاء البلاد ولم يقتصر على الاندلس فحسب بل شمل مناطق عديدة من البلاد الاسلامية وكان حدوثه نتيجة للقحط الحاصل وضعف المحصول الزراعي وتوالي ذلك الحال عدة سنين[2] فضلا عن الاضطرابات الامنية التي كانت سائدة في البلاد انذاك ، وتأخر سقوط الغيث في سنة (٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) مما ادى الى حدوث المجاعة فغلت الاسعار كثيرا حتى اعجز الناس واجحف بهم[3] .

وحل القحط من جديد سنة (٣٠٢ هـ/ ٩١٤م) فنقصت الاقوات وارتفعت الاسعار وقل ظهور القمح والميرة في الاسواق[4] ، واستمرت المعاناة الى السنة التالية (٣٠٣هـ/ ٩١٥م) لتشمل سائر القواعد والثغور واشتد الغلاء اكثر

---

(١) ابن دحية ، المطرب في اشعار اهل المغرب ، تحقيق : صلاح الدين الهواري ، (بيروت ، المكتبة العصرية ، ٢٠٠٨م) ، ص١٢١ - ١٢٢ ؛ وينظر: فروخ ، تاريخ الادب : ٤/ ١١٧ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل : ٦/ ٢٤٩ ؛ ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص٩٦ .

(٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : انطونيا ، ص١٢٧ .

(٤) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢/ ١٦٦ .

وزادت الحاجة والفاقة بالناس حتى ((بلغ قفيز * القمح بكيل سوق قرطبة ثلاثة دنانير)) [١] ، ويذكر ابن حيان ان في منطقة الثغر الاعلى ((انتهى قفيز القمح اثني عشر دينار)) [٢].

فما كان لتلك الشدة ان يخف وطئها على الناس لولا تدخل الامير عبد الرحمن الثالث ورجال دولته [٣] .

وفي سنة (٣١٤هـ/ ٩٢٦م) انحبس الغيث فغلت الاسعار وضاقت معايش الناس الى ان نزل الغيث وكشف الله عن عباده الضر [٤] .

واستمرت موجة القحط تظهر في ربوع الاندلس في سنة (٣١٧هـ/ ٩٢٩م) نتيجة لذلك اضمحل الزرع ونال اليبس من كل ما نبت منه لذا عزت الاقوات وغلت الاسعار وكلح الزمان فما كان من الناس الا التوجه الى الله ضارعين اليه طالبين الرحمة منه بنزول الغيث المغيث [٥] .

وفي اشارة مقتضبة وردت عند ابن حيان عن حوادث سنة (٣٦٣هـ/ ٩٧٣م) وفي حديثه عن بداية موسم الزراعة وسقوط الغيث في تلك المدة وكيف ان الناس شرعوا بالحراثة عند نزول الغيث وكأنهم كانوا بانتظاره والذي ساعد على توقف صعود الاسعار حيث كان السعر عاليا مرهقا للناس [٦] .

(*) القفيز كان يساوي في الاندلس ٤٢ مداً أي انه كان يكيل ٢١ كغم ، هنتس ، المكاييل والاوزان الاسلامية ، ص٦٣ .

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : شالميتا ، ص١٠٩ ؛ السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب ، ص٤٦٤ .

(٢) المقتبس ، تحقيق : شالميتا ، ص١٢٤ .

(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢/ ١٦٧ .

(٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : شالميتا ، ص٢٠٨ .

(٥) مجهول ، قطعة من تاريخ عبد الرحمن الناصر ، ص٨٠ ؛ عنان ، دولة الاسلام (عصر الخلافة) ، ص٤٢٣ .

(٦) المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص١٤٥ ؛ وينظر: النقيب ، الازمات الاقتصادية ، ص١٦ .

و ذكر ابن ابي زرع ان القحط الذي اصاب البلاد سنة (٣٨١ هـ/ ٩٩١م) ومن ثم سقوط الغيث بعد ذلك ساعد على ارواء الارض فحطت الاسعار واحيا الناس والبهائم به بعد ان اشتد الحال بهم خلال تلك المدة [١] .

وفي فترة الفتنة وعلى حين كان البربر محاصرين لقرطبة قاطعين الميرة عنها اخذين بالاغارة على اطرافها يحرقون وينهبون البوادي اندفعت اعداد كبيرة من اهل البادية الى قرطبة اتقاءً من شر البربر حتى صار عدد اللاجئين اليها اكثر من سكانها الاصليين [٢] ولما لم يكن بالمدينة من الميرة ما يكفي كل تلك الاعداد فضلا عن حصار البربر تفاقم الامر على الناس وازداد شدة واخذت الاسعار في كل يوم تزداد وتغلو اكثر فاكثر حتى فني كثير من الخلق [٣] .

ويروي ابن بشكول خبراً يصور فيه مدى تاثير الغلاء وسوء الحال الذي وصلت اليه الاوضاع في قرطبة انذاك فعند وفاة عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس قاضي الجماعة سنة (٤٠٢هـ/ ١٠١١م) اجتمع اهله وذووه لبيع مكتبته واستمر بيعها مدة عام كامل في فترة الغلاء مما يدل على انشغال الناس بما هو اعظم واهم من اقتناء الكتب حتى لو كانت بنفاسة ما كان يجمعه القاضي ابن فطيس فقد كان لا يعير كتابا اصليا ذا قيمة كبيرة بل يعمد ان طلب منه احد استعارة كتاب ما الى نسخه واعارة النسخة للطالب [٤] .

لذا فقد كانت مكتبته تضم اثمن الكتب وانفسها ومكتبة كهذه ما كانت لتبقى مدة عام لا تجد من يقبل عليها لولا ظروف الفتنة والغلاء والعوز عند الناس.

---

(١) الانيس المطرب ، ص١١٥ .
(٢) الصوفي ، تاريخ العرب (نهاية الخلافة الاموية) ، ص٢٠٩ .
(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٣/ ١٠٦-١٠٩ ؛ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص١١٧ .
(٤) الصلة : ١/ ٣٠٩ - ٣١٠ .

وفي خضم الصراع المستمر الذي كان دائراً بين ملوك الطوائف حتى بين الاخوة منهم وتآمرهم ضد بعضهم البعض كان ذلك الحال في بعض الاوقات يزيد من سوء الاوضاع ويفاقم أي ظرف سيء استثنائي قد تمر به بعض المناطق ، كما حدث في مدينة تطيلة فيما بعد وفاة ابن هود سنة (٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م) وتقسيم مملكته بين ابنائه فحدث ان وقع في تطيلة التي انحازت الى يوسف المظفر ابن هود وخلعت طاعة اخيه احمد المقتدر غلاء شديداً وتحديدا في سنة (٤٤١ هـ/ ١٠٥٠م) عانى الناس منه فبعثوا يستغيثون بيوسف المظفر لانقاذهم من ذلك الوضع السيء فما كان منه الا جمع الاطعمة والمؤن فاجتمع منها قدر عظيم ، وكان عليه ان يرسلها اما عن طريق سرقسطة التي تحت نفوذ اخيه احمد المقتدر او عن طريق مملكة ارغون وخوفا من غدر اخيه اختار السبيل الثاني الا ان احمد المقتدر فاوض ملك ارغون وارضاه بالمال ليتسنى لجنده مهاجمة القافلة فتم له ذلك وكانت تلك القافلة قد توسطت بلاد النصارى فهاجمها احمد المقتدر واستولى النصارى على اسلاب القافلة وما كانت تحمله من مؤن وميرة [1] .

وفي اشبيلية في عام (٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م) عم القحط الشديد الذي رافقه غلاء وارتفاع الاسعار، ويطالعنا خبر ورد عند ابن بشكوال ضمن الترجمة الشخصية للفقيه محمد بن احمد بن عيسى بن منظور الاشبيلي (ت٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م) من مدينة اشبيلية والذي كان معاصرا للقحط الذي حصل في ذلك العام وكان شاهدا على معاناة الناس انذاك حيث ورد في ترجمته ان الغلاء الشديد ترافق مع القحط حتى وصل سعر القفيز عندهم احد عشر مثقالا والقسط[*] من الزيت ثمانية مثاقيل[2]، ويبدو ان القحط شمل مدينة قرطبة ايضا حتى ذكر ان القفيز من الحنطة عندهم وصل الى ثلاثة دنانير [3] .

---

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٣/ ٢٢٣ ؛ عنان ، دولة الاسلام (دول الطوائف) ، ص٢٦٢ – ٢٦٣؛ مؤنس، موسوعة تاريخ الاندلس : ٢/ ٢٣ .

(*) القسط هو نصف صاع ويساوي ١٠٨٧ غرامات ، بخاري ، مقارنة بين الموازين ، ص٢٦ .

(٢) الصلة : ٢/ ٥٤٨ – ٥٤٩ ؛ وينظر : حسين ، دور العلماء ، ص١٧٠ .

(٣) السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب ، ص٤٦٨ .

وتعد ازمة الغلاء والجوع التي تعرض لها اهل بلنسية على اثر حصار السيد القمبيطور سنة (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) ودامت قرابة عشرين شهرا من اكثر الازمات ضرراً واذى [١] .

فارتفعت الاسعار واشتد الغلاء لقلة القوت حتى وصلت اسعار بعض المواد اثناء الحصار كما ياتي :

- رطل [*] القمح بمثقال ونصف .
- رطل الشعير بمثقال .
- رطل زريعة الكتان بستة اثمان المثقال .
- اوقية [*] الجبن بثلاثة دراهم .
- اوقية البصل بدرهم .
- رطل البقل بخمسة دراهم .
- بيضة الدجاجة بثلاثة دراهم .
- رطل اللحم البغلي بستة دنانير .
- رطل الجلد البقري بخمسة دراهم [٢] .

غير ان الحال تدهور اكثر فاكثر بعد ذلك فعظم البلاء وازداد الغلاء والحاجة حتى تساوى في عدم القوت الفقراء والاغنياء مما دفع ابن حجاف حاكم المدينة آنذاك لاقتحام الدور بحثا عن القوت والطعام فما غير ذلك من سوء الامر من شيء بل وصل رطل القمح الى ثلاثة مثاقيل الاربع وما كان ليتسنى الحصول عليه الا لأهل الجاه لقلته في حين اكل العامة الجلود والاصماغ بل وحتى اكلوا

---

(١) حسين ، دور العلماء ، ص١٧٠ .

(*) الرطل : يساوي ٤٠٧١ غرام تقريبا ، بخاري ، مقارنة بين الموازين ، ص٢٣ .

(*) الاوقية : يساوي ١٢٦,٨ غرام ، بخاري ، مقارنة بين الموازين ، ص٢١ .

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٣/ ٣٨ – ٤٠ ؛ مؤنس ، موسوعة تاريخ الاندلس : ٢/ ٧١ .

الفئران القطط والكلاب [١]، وهكذا عدمت الاقوات بالجملة فهلك الناس وكان لاحد الاشخاص فرس فباعه بمائتي مثقال فبيع الرطل منه بعشرة دنانير وباثني عشر ديناراً وقبيل دخول القمبيطور الى بلنسية وصل رطل القمح الى ثلاثة مثاقيل ورطل الشعير مثقالان ونصف المثقال واوقية الجبن بعشرة دراهم وبيضة الدجاجة بثمانية دراهم [٢] ، ولم يقتصر الغلاء والحرمان على تلك المواد فحسب بل بلغ بهم الحال ان بيع الفأر بدينار[٣].

وهكذا اسهم الجوع والغلاء المفرط الذي تجرعه اهل بلنسية في اثناء الحصار الى تسليم المدينة وسقوطها .

وفي سنة (٥٢٦هـ/ ١١٣١م) كانت الجاعة الشديدة في قرطبة فوصل مد القمح اثناءها الى خمسة عشر دينار فضلاً عن هجوم اسراب الجراد على زرع قرطبة في هذا العام والاعوام التي تلته [٤] .

وعانت بلنسية مرة اخرى من شدة الغلاء في سنة (٥٤٠ هـ/ ١١٤٥م) وعلى الرغم من اننا لا نملك اية معلومات عن مستوى اسعار المواد الاساسية وما وصلت اليه اثمانها خلال الأزمة فالمعلومة ترد خلال ترجمة الفقيه ابي بكر احمد بن محمد المخزومي (ت٥٨٠هـ/ ١١٨٤م) وهو من اهل شقر والذي بذل الغالي والرخيص لمساعدة الناس في هذه الازمة والتي من المرجح ان تكون حدثت في اعقاب اختلال امر المرابطين في اواخر دولتهم ومقتل الامير تاشفين بن علي (٥٣٣-٥٣٩هـ/ ١١٣٨-١١٤٥م) وما رافقها من تدهور سياسي في المغرب والاندلس [٥] .

---

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٣/ ٣٨-٤٠ .
(٢)ابن عذاري ، البيان المغرب: ٣/ ٤٠ .
(٣) ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، ص١٠٣ .
(٤) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص١٩٧ .
(٥) احمد بن يحيى بن احمد الضبي ، بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس ، (مدريد ، مطبعة روخس ، ١٨٨٤م) ، ص٢١٢ – ٢١٣ ؛ حسين ، دور العلماء ، ص١٧٢ .

وفي سنة (٥٤٥ هـ/ ١١٥٠م) سار الفونسو (الاذفونش) ملك طليطلة الى قرطبة مع اربعين الف فارس وضرب الحصار حول المدينة فوقع الغلاء الشديد ودب الضعف في الناس لاستمرار الحصار مدة ثلاثة اشهر الى ان بلغ الخبر الخليفة عبد المؤمن الموحدي (٥٤١-٥٥٨هـ/ ١١٤٦-١١٦٣م) الذي ارسل جيشاً لانقاذها من السقوط فرحل النصارى عنها عند وصول الموحدين اليها [١] .

وفي محاولة من الموحدين في سنة(٥٤٦هـ/ ١١٥١م) لاسترداد مدينة المرية من النصارى التي كانت قد سقطت بايديهم سنة (٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) فقد حاصر جيش الموحدين المدينة عدة شهور الا ان الغلاء الشديد ونقص الاقوات الذي حصل في عسكر الموحدين دفع قائد الجيش الى ترك الحصار و العودة الى اشبيلية[٢] .

غير ان ما واجهه الجيش الموحدي في عام (٥٦٧هـ/ ١١٧١م) فيما سميت بغزوة وبذة وما عاناه الجيش من ظروف قاسية ابتداءً من فشل الهجوم على المدينة بعد حصارها للاحوال المناخية السيئة التي تعرض لها المحاصرون ومن ثم مسيرة العودة والانسحاب وما رافقها من اهوال وخطوب عصفت بالجند كانت من اشد ما واجهته الجيوش [٣] .

اما موضوعنا وما عاناه الجيش من غلاء شديد فان اخفاق الموحدين في اكثر من هجوم على المدينة دفعهم الى قرار الانسحاب وقبل الشروع بذلك وفي اليوم السادس والعشرين من ذي القعدة (٥٦٧هـ/ ١١٧١م) أمر الجيش كله بأن يتنازل كل فرد عن ثلث مؤنته لغرض تخزينها وبطبيعة الحال اظهر هذا للجند قلة الزاد لدى القيادة مما جعلهم يحجمون عن التنازل عن الاقوات ثم تكرر الطلب مرة اخرى فكانت النتيجة اسوأ من ذي قبل حيث ادى الى غلاء الاسعار في سوق الجيش واختفاء الزاد والعلف [٤] .

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ٩ / ٣٦٦ ؛ المقري ، نفح الطيب : ٥/ ٢٨١ .
(٢) ابن الاثير ، الكامل : ٩/ ٣٧٠ ؛ المقري ، نفح الطيب : ٥/ ٢٨٢ .
(٣) حول تفاصيل هذه الحملة ينظر: عنان ، دولة الاسلام (عصر الموحدين) ، ص٧٦ وما بعدها .
(٤) ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، ص٥٠٠ ؛ الغناي ، سقوط الموحدين ، ص١١٧ .

ولم تنجح محاولة مجاميع من الجند والتي خرجت لغرض البحث عن الاقوات فزاد الامر سوءاً [1].

والجدير بالذكر ان وصول القوات الموحدية الى مدينة وبذة كان في السابع عشر من ذي القعدة أي ان الجيش لم يكن قد مكث كثيرا على الحصار حتى تبدأ هكذا معاناة وعلى أي حال اتخذ قرار الانسحاب فبدأت محنة العودة وفي اليوم الثامن من ذي الحجة ظهر الإعياء على الناس وقلت الاقوات وارتفعت الاسعار وعانى الجيش من الجوع والحرمان وينوه ابن صاحب الصلاة الى ذلك الحال ونقص المؤن والغلاء الشديد في اسعار القمح والشعير والدقيق [2].

وفي الرابع والعشرين من ذي الحجة وصل الجيش الى مدينة مرسية ولم تمض ايام قلائل على وجودهم حتى ضاقت المدينة بهم فارتفعت الاسعار وعم الغلاء فغادر عدد من العسكر والموحدين المدينة ليتبعهم الخليفة الموحدي بعد ذلك عائداً الى اشبيلية [3].

وبعد عام قاد الخليفة ابو يعقوب يوسف حملة لمهاجمة بلاد الفرنج سنة (٥٦٨هـ/ ١١٧٢م) وحاصر مدينة طليطلة وما حولها الا ان الغلاء اشتد على المسلمين وعدمت الاقوات في عسكرهم فاضطروا الى مفارقة المدينة وفك الحصار [4].

وفي سنة (٥٧٣هـ/ ١١٧٧م) وفي اشارة مقتضبة جدا ذكر ابن عذاري حدوث الغلاء في مراكش والاندلس دون ان يقدم أي تفاصيل اخرى حول الامر [5].

---

(١) عنان ، دولة الاسلام (عصر الموحدين) ، ص٧٩ .
(٢) المن بالامامة ، ص٥٠٢ – ٥٠٣ .
(٣) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة ، ص٥١٣؛ عنان ، دولة الاسلام (عصر الموحدين)، ص٥١٣ .
(٤) ابن الاثير ، الكامل :١٠ / ٤٧ ؛ المقري ، نفح الطيب : ٥/ ٢٨٢ .
(٥) البيان المغرب، العصر الموحدي ، ١٢٥ .

ولم تكن غارات النصارى ببعيدة عن التسبب في حدوث الغلاء وضيق العيش في المدن لما تخلفه من هلع وخوف لدى الناس مما قد تسفر عنه تلك الاعمال من وضع سيء كما حدث في عام (٥٧٨هـ/ ١١٨٢م) عندما خرج الفونسو الثامن ملك قشتالة في جموعه فاغار على نواحي قرطبة وعسكر في تلك المناطق ثم بعث بطوائف من قواته صوب مالقه ورندة وغرناطة فعم الاضطراب تلك النواحي وتحصن الناس خلف اسوارهم وبدأوا بتخزين المؤن خوفا من الحصار مما ادى بالحال الى ارتفاع الاسعار واضطراب الاحوال الاقتصادية فاشتد الضيق على الناس [١].

وفي عام (٥٨٦هـ/ ١١٩٠م) تحرك الخليفة الموحدي المنصور ابو يوسف يعقوب بن يوسف في محاولة منه للاغارة على بلاد النصارى واسترداد ما امكن من المناطق الا ان المرض عاجله والغلاء دب في جيشه واستمر ارتفاع الاسعار وانقطاع المؤن عن الجيش فأمر الخليفة بالاقلاع عن الحصار [٢].

وفي سنة (٦١٧هـ/ ١٢٢٠م) اشتد الحال على الناس لتناهي غلاء الاسعار في المغرب والاندلس فقد عانى الناس في السنوات التي سبقت ذلك من قحط شديد ويبدو انه كان المسبب لهذا الغلاء في البلدين كليهما [٣].

وتكرر الحال في سنة (٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م) من وقوع الغلاء الشديد في المغرب والاندلس حتى ((بيع قفيز القمح بخمسة عشر دينار)) [٤]، فقد كانت دولة الموحدين تعيش ايامها الاخيرة لذا فقد تكون الاضطرابات السياسية الحاصلة في البلدين قد اثرت بشكل كبير في الحالة الاقتصادية العامة .

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، العصر الموحدي ، ١١٨؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٣٩٧

(٢) ابن عذاري ، المصدر نفسه ، العصر الموحدي ، ١٨٠ .

(٣) المصدر نفسه ، العصر الموحدي ، ٢٤٤-٢٤٥ .

(٤) ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص٢٧٤ ؛ الناصري ، الاستقصا : ٢/ ٢٦٤ .

وبعد قيام مملكة غرناطة واجهت الاندلس ومالقه خاصة غلاء مفرطاً فكان فيها المأكول غالي الثمن صعب المنال فلم يعد قيمة لما هو كمالي فكانت الحاجات المثمنة تباع بالثمن الرخيص و ذلك في سنة (٦٦٣هـ/ ١٢٦٤م) [١] .

وامتازت اسعار المواد الغذائية في مملكة غرناطة عموما بالغلاء وكانت اسعارها مرتفعة عما هي عليه في سائر المناطق الاخرى وسبب ذلك يختلف عن مسببات الغلاء السابقة فبعد سقوط المدن والثغور الاندلسية بيد الاسبان تزايد عدد السكان النازحين اليها من تلك المناطق فاكتظت المدينة بهم مما أدى بطبيعة الحال الى ان ترتفع الاسعار وتغلو [٢] .

اما الغلاء ومسبباته فان حصار النصارى للمدن الاندلسية وحتى سقوط مدينة غرناطة آخر المعاقل مدعاة لغلاء الاسعار في تلك المناطق الى ان تضطر المدينة الى التسليم للخلاص من سوء الاوضاع كما حصل مثلا في حصار بلنسية سنة (٦٣٥-٦٣٦هـ / ١٢٣٧-١٢٣٨ م) [٣] ، وحصار اشبيلية سنة (٦٤٥هـ / ١٢٤٧م) [٤] وأخيرا حصار غرناطة (٨٩٧هـ / ١٤٩٢م) [٥] .

بعد كل ما تقدم ذكره من سوء الاوضاع التي عج بها تاريخ الاندلس والتي ادت الى ضيق المعيشة على الناس لاي سبب كان ومن ثم قلة الاقوات او فقدانها فقد تسببت حتما تلك الحالة بغلاء الاسعار وارتفاع اثمان ما وجد من القوت حتى وان لم تفصح المصادر صراحة عن حدوثة واكتفت بالتلميح اليه من خلال ذكرها لنقص المواد الغذائية وحالة الحرمان التي عاشها الناس ولاسيما في ما ترافق مع الاضطرابات الامنية التي حصلت في البلاد [*] .

---

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، العصر الموحدي ، ٤٤٢ .

(٢) ابن خلدون ، المقدمة : ٢/ ٣٦٤ ؛ ينظر : شبانة ، يوسف الاول ، ص٢٠٣ ؛ السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب ، ص٤٧٥ .

(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ، العصر الموحدي ، ٣٤٥ .

(٤) المصدر نفسه ، العصر الموحدي ، ٣٨١ – ٣٨٢ .

(٥) المقري ، نفح الطيب : ٥/ ٤٠٦ .

(*) يمكن الاطلاع على ما سبق ذكره في فقرة الاضطرابات الامنية والسياسية من هذا الفصل .

٢- سوء الادارة الماليـــة:

ان بحث مسألة الادارة المالية ومساوئها يقودنا للحديث عن امور تعد جوهر تلك السياسة المالية الا وهي الضرائب غير الشرعية التي كان يفرضها الحكام والسلاطين على الشعوب وما كان يرافق ذلك من جور الجباة وتسلطهم على رقاب الناس فضلاً عن مسألة سياسة الدولة المالية العامة فقد تتخذ الدول نظاما معينا لها يوقع الضرر بالاقتصاد ويخلق اثراً سيئا في المجتمع .

وقبل الخوض في تقديم نماذج عن تلك السياسات عبر تاريخ الاندلس يستوقفنا ما ذكره ابن خلدون حول الضرائب والمغارم حيث يذكر ان قلة احتياجات الدول لما هو كمالي او ماهو صورة من صور الترف في بداية عهدها يجعل ما يؤدي اليها من الجباية كافيا لسد نفقاتها ومع تقادم الايام واتساع الدولة وازدياد نفقاتها العامة تصبح تلك الجباية لا تفي بالحاجة فيعمد السلطان الى استحداث انواع جديدة من الجبايات والتي تؤثر بشكل او بآخر في الناس ومعايشهم [١] ، فتختل احوالهم ولاسيما اهل الريف فتدفعهم الى ترك مناطقهم والرحيل عنها هربا من ثقل الضرائب فتترك اراضي شاسعة دون ان تلقى من يزرعها ويستثمرها [٢].

وعليه يمكن تعريف المغارم او المكس على انها ((ضرائب اضافية غير مشروعة نشأت عن حاجات وظروف جديدة اضطرت الدولة الى فرضها)) وقد نظر فقهاء الاسلام اليها نظرة عدم الرضا لانها خارجة عن الشرع [٣] .

حتى عدوا تعدي السلطان على سلع الناس واموالهم واخذه اياهم بغير حق من الجوائح التي تصيب الشخص [٤] .

---

(١) المقدمة : ١/ ٢٧٩-٢٨٠ .

(٢) المقريزي ، إغاثة الأمة ، ص ٤٤ .

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون ، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية ، (ط٢ ، الكويت ، ذات السلاسل، ١٩٨٦م) ، ص٣١٣.

(٤) الونشريسي ، المعيار المعرب : ٥/ ٢٥٤ – ٢٥٥ .

كما وضعوا شروطاً وضوابط محددة لتلك الضرائب ان كان لابد من فرضها كأن يكون بيت المال خاليا وان يصرف المال بوجه حق ولضرورة ومصلحة عامة وان تفرض على القادرين على دفع المال وغير ذلك [1] .

وفي الاندلس عانت البلاد من تلك الضرائب وكذلك من سوء السياسة المالية في بعض الفترات التاريخية وابرز ما جمع بين الامرين [أي سوء الادارة المالية والضرائب غير الشرعية] هو نظام الالتزام الذي اتبع في البلاد حتى سقوط الخلافة الاموية ، وفكرة نظام الالتزام هي ان يقوم محصلي الضرائب والملتزمين جبايتها من منطقة معينة من البلاد بدفع مبلغ من المال سلفا للدولة ثم يعمدون بعد ذلك الى جمع ذلك المال من الناس وطبعا كانوا لا يتوانون عن ارهاق الناس بالجباية اكثر مما دفعوا للدولة ويستعملون مختلف انواع القسوة لتحقيق ذلك ، وطالما ان الدولة قد تسلمت من الجابي المبلغ مسبقا فلا فرق عندها في مقدار المبلغ الذي سيحصله الملتزم من الرعية فكان ينتج عن ذلك تاخر في احوال الشعب المادية ويؤثر حتما في الوضع الاقتصادي للبلاد [2] .

ووجدت ابتداءً من عصر الامارة ظاهرة فرض هذه الضرائب المرهقة فقد سخطت العامة على الامير الحكم بن هشام بسبب ما فرضه من عشور مرهقة على المواد الغذائية في كل سنة [3]، وعهد بجمعها الى رجل غير مسلم هو القومس ربيع الذي ((افترض المعاون والمغارم على المسلمين)) [4] ، فاستنكر المسلمون ان يتولى

---

(١) ينظر : الونشريسي ، المصدر نفسه : ١٢٨/١١ ؛ عبد الله بن ابراهيم الطريقي ، الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الاسلامي ، (ط٢ ، الرياض ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٤م) ، ص٣٦٠ – ٣٦٢ .

(٢) الصوفي ، تاريخ العرب (نهاية الخلافة الاموية) ، ص ٩٧-٩٩ ؛ عاشور وآخرون ، دراسات ، ص٣١٤ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل : ٥/ ٤٦١ ؛ السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب ، ص٤٦١ .

(٤) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص١٥ ؛ سعد زغلول عبد الحميد ، محاضرات في تاريخ المغرب والاندلس ، (بيروت ، مكتب كريديه اخوان ، ١٩٧٥م) ، ص٢٢٨ .

جباية الضرائب منهم رجل نصراني فكانت تلك السياسة من اهم الاسباب التي اضرمت نار ثورة الربض على الامير الحكم في سنة (٢٠٢هـ/ ٨١٨م)[١] .

وقد تكون تلك الضرائب متزامنة مع ظروف اقتصادية عامة سيئة كترافقها مع القحط او المجاعة فتكون اكثر ثقلاً على الرعية ففي سنة (٢٦٠هـ/ ٨٧٣م) طلب الامير محمد بن عبد الرحمن جمع العشور من الناس ومن المعلوم ان تلك السنة كان فيها القحط الشديد والجفاف فلم يزرع الناس شيئاً لذا نصحه الوزير الوليد بن عبد الرحمن بن غانم [*] والي المدينة ان يقبل عذر الرعية لانهم لم يزرعوا شيئاً ولان العشور تفرض على الغلات اذ وهبها الله لذا وجب اسقاطها ذلك العام ، الا ان الامير لم يقنع بذلك الرأي واصر على جمعها فعزل الوزير ابن غانم عن منصبه ، فساد التذمر بين الناس من جراء سياسة الوالي الجديد في جمع العشور[٢] .

اما في عصر الخلافة فقد تمتعت البلاد بالازدهار والاستقرار فزادت تبعا لذلك مبالغ الجباية وكانت مصادرها متنوعة سواء جباية السوق ام صدقات البلد وخراجه واعشاره وضماناته ومراصده وغير ذلك [٣] .

الا ان ابرز ضريبة كانت مفروضة هي ضريبة الحشود التي فرضت على اصحاب الضياع في الريف وعلى الناس في المدن معونة للخليفة على شؤون

---

(١) مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، ص ١٣٢ .

(*) الوليد بن عبد الرحمن بن غانم من بيت ادب وكتابة وجلالة تولى في عهد الامير محمد بن عبد الرحمن خطتي الوزارة والمدينة وقاد جيش صائفة لإبنه عبد الرحمن بن محمد توفي سنة (٢٧٢ هـ/ ٨٨٥ م) ، ابن الابار ، الحلة السيراء : ٢/ ٣٧٤ .

(٢) ابو بكر محمد بن عمر ابن القوطيه ، تاريخ افتتاح الاندلس ، تحقيق : عبد الله انيس الطباع ، (بيروت ، دار النشر للجامعيين ، ١٩٥٨م) ، ص١٠٦ .

(٣) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص١٠٤ ؛ احلام حسن النقيب ، تاريخ الأندلس على عصر الخلافة الاموية ، (الموصل ، مطابع ابن الاثير ، ٢٠٠٦م) ، ص١٦٣ .

الحرب فكان الناس أولاً مكلفين بالخروج للحرب ثم استبدلت بضريبة مالية او عينية لمن لا يريد الخروج تؤدى للحاشد في كل منطقة [1] .

غير ان ما قام به الحاجب المنصور محمد بن ابي عامر من تغيير سياسته تجاه اعطيات الجند يعد خطوة غير مسبوقة ، فقد بدل المنصور سياسة اقطاع الجند مساحات من الارض يزرعونها مقابل خدمتهم في الجيش وجعل لهم رواتب يتقاضونها شهريا بدل تلك الاقطاعات ويقول الطرطوشي (ت ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م) في ذلك ((... كانت الارض عامرة والاموال وافرة والاجناد متوافرين، والكراع والسلاح فوق ما يحتاج اليه ، الى ان كان الامر في آخر ايام ابن ابي عامر ، فرد عطايا الجند مشاهرة بقبض الاموال وقدم على الارض جباة يجبونها فأكلوا الرعايا واجتاحوا اموالهم واستضعفوهم فتهاربت الرعايا وضعفوا عن العمارة فقلت الجبايات المرتفعة الى السلطان وضعفت الاجناد ، ...)) [2] .

وعليه فقد كانت النتائج اسوأ بكثير مما اراد المنصور تحقيقه في أن يتفرغ الجنود للقتال وان لا ينشغلوا بالزراعة ولاسيما اذا ما توافقت الصائفة او الحملة العسكرية مع موسم الزراعة او الحصاد [3] .

وسرعان ما هجرت الارض وهرب القائمون على رعايتها لسوء الجباة فقلت الاموال بيد الدولة وساءت الاحوال الاقتصادية في البلاد وامعنت في السوء في عهد ملوك الطوائف بسبب الحروب والضرائب الباهضة التي كانت تقصم ظهور الناس [4] .

---

(١) ابن الابار ، الحلة السيراء : ٢/ ١٠ هامش رقم ٢ ؛ بدرو شلميطا ، صورة تقريبية للاقتصاد الاندلسي (دراسة شاملة) ، كتاب الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس ، تحرير : سلمى خضراء الجيوسي ، (ط٢ ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٩م) : ٢/ ١٠٤٨ .

(٢) ابو بكر محمد بن الوليد، سراج الملوك، (ط٢، القاهرة، دار الكتاب الاسلامي، ١٩٩٢م)، ص١٠٧

(٣) هاشم عبد الرؤوف ابو ملوح ، الدولة العامرية في الاندلس (٣٦٦-٣٩٩هـ) ، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (الجامعة الاردنية ، كلية الدراسات العليا ، ١٩٩٤م) ، ص١٥٢ ؛ راجع :
Provencal , Histore , p.198-203

(٤) حسن احمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، (ط٢، مصر ، دار الفكر العربي ، ١٩٩٦م) ، ص٣٥٤.

الى ان آل الامر الى المرابطين الذين عادوا الى السياسة القديمة فاقطعوا الجند الاراضي ليفلحوها ويستثمرونها [1] .

وبالعودة الى السياق الزمني للاحداث وفي مدة الفتنة القرطبية فقد كان فرض الغرامات المالية على الاهالي والتعسف في جباية الاموال هي السياسة الغالبة على خلفاء قرطبة وحكامها في هذه المدة ، ففي اثناء حصار البربر لقرطبة (٤٠١-٤٠٣هـ/ ١٠١٠-١٠١٢م) استدعى الخليفة هشام المؤيد اهل السوق وشكا اليهم قلة الاموال وبطبيعة الحال كان امل الخليفة الحصول على الاموال من أي مصدر كان وبأي طريقة حتى لو كانت من مال الاحباس التي عرض تسليمها قاضي الجماعة [2] وهكذا وصل الحال اشده على الناس في نهاية الحصار ولم يعد بمقدور القرطبيين امداد الخليفة هشام المؤيد بالمال وهذا ما يفهم مما ورد على لسان وجوه القوم الذين دخلوا على الخليفة لاقناعه بالتسليم ((...وليس عندنا مال وقد اجحفنا برعيتنا في المغارم ... والجند فقراء)) [3] .

الا ان دخول البربر وسليمان المستعين زاد من سوء ما يتعرض له اهل قرطبة فقد فرض عليهم أموالاً طائلة مقابل منحهم الامان فكلف كل واحد منهم فوق طاقته [4] .

وبعد قيام علي بن حمود في قرطبة سنة (٤٠٧-٤٠٨هـ/ ١٠١٧-١٠١٨م) ظهر في شرق الاندلس عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الملقب بالمرتضى من الامويين وبدأ اهل قرطبة يظهرون الميل اليه فاستاء علي بن حمود لذلك فانقلب على اهل قرطبة وصب عليهم غضبه فزاد الضرائب واغرمهم

(١) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص١٠٧ .
(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٣/ ١٠٤ .
(٣) المصدر نفسه : ٣/ ١٠٨-١٠٩ .
(٤) المصدر نفسه : ٣/ ١١٢ ؛ عبد الوهاب خليل الدباغ ، الاندلس بين (٣٩٩-٤٢٤هـ/ ١٠٠٩-١٠٣١م) ، دراسة سياسية حضارية ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، (جامعة الموصل ، كلية الآداب ، ١٩٩٦م) ، ص١٣٨ ؛ النقيب ، اثر الفتنة ، ص ١٤٥ .

ضروبا مختلفة من المغارم واشاع بينهم الخوف حتى لزموا بيوتهم فشلت الحياة العامة وتعطلت الاسواق [1] .

وفي عهد ملوك الطوائف تسلط اولئك الحكام على رعاياهم والحوا عليهم بالمظالم والمغارم مما سبب فقر البلاد ونزوح الناس عن مزارعهم وتفننوا بفرض انواع من الضرائب غير الشرعية ابرزها ضريبة القطيع او القطيعة وهي ضريبة على رؤوس حيوانات المسلمين تؤدى شهريا وتفرض على اموالهم من الغنم والبقر والدواب وغير ذلك [2] .

وهناك ضريبة اخرى تسمى القبالات وتفرض على كل ما يباع في الاسواق وقد تكون هي الضريبة نفسها التي سميت بمغارم الاقطاع [3] والتي فرضت على الناس ارضاء لاطماع اولئك الملوك وهي شر انواع الضرائب وكان جابيها يسمى المتقبل والذي وصفه ابن عبدون بـ ((شر خلق الله وهو بمنزلة الزنبور الذي خلق للضرر لا للنفع فهو يجري ويسعى لضرر المسلمين...)) [4] .

ويستوي مع المتقبل في هذا الامر الخراص* وقد اتهمهم ابن عبدون بالرشوة لذا وجب على القاضي ان يحدد ما يطلبه منهم ولا يتركه يأخذ باختياره اذ لم تكن الدولة تحدد راتباً معلوماً للمتقبل والخراص انما تجعل اجرتهما على اهل المزروعات والاموال لذا كان مجال التجاوز والشطط مفتوحا في تحصيل الاعشار او اخذ الرشاوي [5] .

---

(١) ابن بسام ، الذخيرة : ق١ مج١ / ٩٩ ؛ الدباغ ، الاندلس بين٣٩٩-٤٢٢ ، ص١٣٨ .
(٢) بدر ، المجتمع الاندلسي ، ص٤٧ ؛ الدليمي ، تاريخ مدينة جيان ، ص١٤٨ .
(٣) ابن بلقين ، التبيان ، ص١٠٩ .
(٤) رسالة في القضاء والحسبة ، ص٣٠ .
(*) الخراص (الخراصون) وهم اشبه بالجباة يخرجون الى الجنان والبساتين لتقدير غلات الزيتون وغيره وتقويم خراجها ، ابن عبدون ، المصدر نفسه ، ص ٣٠ ؛ حسين ، دور العلماء ، ص ١٧٨ .
(٥) المصدر نفسه ، ص٣٠ ؛ وينظر : حسين ، المرجع نفسه ، ص١٧٨-١٧٩ ؛ عباسي ، الملكيات الزراعية ، ص ٤٠٩ – ٤١٠ .

وهناك ضريبة المعونة وهي وقتية يفرضها الحاكم متى شاء فضلاً عما كان يفرض على التجارة المارة من مدينة الى مدينة ومن اقليم لاخر [١] .

وليس هذا فحسب فهناك الاموال التي كانت تجبى لتذهب الى ملوك النصارى الاسبان ارضاءً لهم من اجل ان يحافظ حكام الطوائف على عروشهم وكانت تسمى بالجزية او الاتاوة وهي قابلة للزيادة في أي وقت شاء الاسبان فعن ذلك يحدثنا ابن الخطيب ((وضرب الجزية [المقصود به فرناندو ملك قشتالة] عليهم بما شاءه ، فلما هلك فرذلند [فرناندو] وولي ابنه شانجه، ذهب الناس في اجراء عادته من المال ، فقال: ((انما كان ذلك المال لفرذلند ، وهو ثابت ... انما نصالحكم على ما يختص بي)) فاضعف العدد ثم هلك شانجه وولي بعده اذفونش [الفونسو] اخوه هذا فسار بسيرة اخيه واضعف العددين)) [٢] .

ومما لاشك فيه ان الرعية هي التي تحملت كل تلك الزيادات وتكلفت في دفع تلك الاموال والغرامات فساءت احوالهم وعن ذلك يقول ابن الخطيب ((فكانت الرعايا تتحمل هذه الاموال زيادة الى اموال الجباية المستقصاة بالعنف ، التي يقيم منها ملوكهم ما يختص بهم فضعف الاعتمار وخلت الديار)) [٣] .

وعليه فقد استغل الاسبان الاوضاع السياسية المتدهورة في الاندلس ففرضوا شروطهم المالية واستحوذوا على ثمار البلاد واقتصادها لاضعافهم ثم السيطرة عليها لذا كانت الغرامات المفروضة باهضة جدا [٤] ، وبالمقابل كان تاثيرها بعامة الناس فادحاً كما ذكرنا فضلاً عن جعل دافعها في حرج امام عقيدته الدينية التي تقضي بحرمة دفع الاتاوة للاعداء [٥] .

---

(١) محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص٣٥٦ .

(٢) اعمال الاعلام ، ص٢٤٣.

(٣) اعمال الاعلام ، ص٢٤٤

(٤) السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب ، ص٤٦٩ ؛ كونستيل ، التجارة والتجار ، ص ١٤٢ ، ١٩٩ .

(٥) عبد الوهاب الدباغ ، التاريخ السياسي والحضاري لسرقسطة في عهد بني هود (٤٣٠-٥٠٣هـ/١٠٣٨-١١٠٩م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة الموصل ، كلية الآداب ،١٩٩٠م) ، ص١٢٢ .

ومن ناحية اخرى كانت تلك الاموال تساعد النصارى على تكوين الجيوش وتسليحها وتعمير الاراضي وتقوية الاقتصاد في حين اقفرت بلاد المسلمين من جراء السياسات الطائشة للحكام [(١)] ، وعمالهم الذين كان لا يتم اختيارهم على كفاءتهم بالعمل بل الى تعهدهم بتحصيل اكبر قدر ممكن من المكوس والضرائب وباي طريقة كانت فلا يراعون ظرف الفلاحين او العامة من الشعب ويلجأون الى اساليب ظالمة متعسفة ارضاءً للحاكم [(٢)] .

لذلك نجد ان معظم الاراضي الزراعية خاصة اخليت من اهلها الهاربين من جور حكامهم ومطالبهم ولنا في الحاكمان مظفر ومبارك العامريان (٤٠٢-٤٠٩هـ/ ١٠١١-١٠١٨م) مثالا حيا فقد فرضا جباية ضخمة على اهالي مدينة بلنسية وشاطبة (Jativa) بلغت مائة وعشرين الف دينار في الشهر (سبعون بلنسية وخمسون شاطبة) [(٣)] حتى غدا كثيراً من الرعية ((يلبسون الجلود والحصر ويأكلون البقل والحشيش)) [(٤)] .

ومما زاد الامر سوءاً على الرعية سياستهما في جمع الضرائب فقد كانا ((يستخرجانها باشد العنف من كل صنف حتى تساقطت الرعية)) [(٥)] .

وعلى الرغم من كل ذلك الاستياء الذي شاع في دول الطوائف بسبب الضرائب المرهقة لم يبذل حكام الطوائف اية محاولة لتبرير سياستهم المالية والجبائية بل كانوا يحاولون دائما التقليل من العلاقة بين الجزية والزيادة المستمرة في الضرائب [(٦)] .

---

(١) الغنيمي ، كيف ضاع الاسلام ، ص٢٧٧ .

(٢) محمد رضوان الداية ومهجة الباشا ، اسباب سقوط الاندلس الاجتماعية والاقتصادية ، مجلة بحوث جامعة حلب ، ع ١٠ ، (حلب ، د.مط ، ١٩٨٧م) ، ص٩٣-٩٤ .

(٣) ابن سعيد ، المغرب : ٢/ ٢٩٩ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب :٣/ ١٦٠ .

(٤) ابن بسام ، الذخيرة : ق٣ مج١ / ١٩ .

(٥) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٣/ ١٦٠ .

(٦) ابن عبود ، التاريخ السياسي ، ص٢٦٢ .

وعند مجيء المرابطين اعلنوا بطلان هذه الجبايات الجائرة وكان لعملهم هذا وقع عظيم فلم يفرض المرابطون على الناس الا ما امر الله تعالى واوجبه حكم الكتاب والسنة [1] .

ويمكن القول ان الغاء تلك الضرائب الجائرة اصبح مسوغا سياسيا اعتمد عليه المرابطون في قيامهم على ملوك الطوائف ، غير ان هذا الحال لم يدم فمع تقادم الدولة واتساعها بدأت تلك الجبايات لا تفي بحاجة الدولة ومسؤوليتها ، فضلاً عن حالة الزهد والتقشف التي كان عليها امراء المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين على الاقل فقد قلل ذلك من نفقات الدولة في بداية امرها[2] ، الا ان الحال تبدل وبدأ البذخ والترف وقلت واردات الدولة من غنائم وخراج وجزية فلم تجد وسيلة سوى فرض الضرائب والمغارم على الناس [3] .

فنجد ان يوسف بن تاشفين اضطر الى فرض الاموال على اليهود الذين تركزوا في بعض المناطق من البلاد [4] .

كما ارسل الى عماله في الكور يطلب منهم تحصيل جباية المعونة لمواجهة نفقات الجهاد غير ان قاضي مدينة المرية عارضه في ذلك وابلغه بأنها غير جائزة ما دام في بيت مال المسلمين ما يكفي من المال للانفاق على الحملات الجهادية [5] .

ومن المرجح ان حدة الازمة المالية بدأت في عهد الامير علي بن يوسف بن تاشفين لذا فرض الضرائب والمكوس التي لم تكن موجودة زمن والده يوسف

---

(١) ابن بلقين ، التبيان ، ص١٢٠ ؛ عنان ، دولة الاسلام (عصر المرابطين) ، ص ٥١-٥٢ ؛ محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص٣٥٧ .

(٢) ابو مصطفى ، تاريخ الاندلس الاقتصادي ، ص٣٦٤-٣٦٥ .

(٣) بوتشيش ، مباحث ، ص٢٠٦ .

(٤) ابن السماك ، الحلل الموشية ، ص٨٠-٨١ ؛ عنان ، دولة الاسلام (عصر المرابطين) ، ص ٥٢

(٥) ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ٧/ ١١٩ ؛ سالم ، المغرب الكبير : ٢/ ٧٤٠ .

ففرض الاتاوات على مختلف الصنائع والسلع وبخاصة على الصابون والعطور والنحاس والمغازل وعلى كل شيء يباع جل او صغر كل على قدر قيمته [1] .

كما فرضت ضريبة التعتيب على العامة لاقامة الاسوار واصلاح القديمة منها خاصة بعد غزوات النصارى ففي مدينة غرناطة جمعت الاموال لذلك الغرض غير ان تلاعب القائم على جمعها واختلاس قدرا كبيرا منها دفع والي المدينة عمر ينالة اللمتوني الى فرض ضريبة تعتيب جديدة على العامة بدل عقاب المختلس فسخط الناس على الوالي الذي عزل بعد ذلك [2] .

كما فرضت على مدينة قرطبة ضريبة التعتيب ايضا الا ان اهلها امتنعوا عن ادائها بسبب تدهور احوالهم المعاشية بل ثاروا على قاضي الجماعة المدعو ابن المناصف ورجموه بالحجارة [3] .

وكذا الحال في مدينة اشبيلية فعندما اراد القاضي ابو بكر بن العربي * جمع المال عجز الاهالي عن ذلك وكان ذلك في عيد الاضحى لذا طلب منهم تقديم جلود اضحياتهم لترميم السور فاحضروها كارهين ثم اجتمعت العامة عليه ونهبت داره ففر القاضي ابن العربي الى قرطبة [4] .

---

(١) عنان ، دولة الاسلام (عصر المرابطين) ، ص ٤٢١ ؛ المرفي ، دولة المرابطين ، ص٢٩٤ ؛ ينظر : عبد الواحد ذنون طه ، اهمية الكتب الفقهية في دراسة تاريخ الاندلس نموذج تطبيقي عن كتاب المعيار المعرب للونشريسي ، مجلة التربية والعلم ، ع ١٣ ، (جامعة الموصل ، كلية التربية ، ١٩٩٣م)، ص١٧٢ .

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٤/ ٧٥.

(٣) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص١٩١ ؛ بوتشيش ، مباحث ، ص٢٠٨ .

(*) ابو بكر العربي هو محمد بن عبد الله العربي المعافري من اهل اشبيلية له رحله الى بلاد المشرق تولى القضاء في مدينته اشبيلية وعرف بصرامة احكامه فصرف عن القضاء توفي بالمغرب ودفن بفاس سنة (٥٤٣هـ/ ١١٤٨م) ، النباهي، المرقبة العليا ، ص١١٩-١٢٠ .

(٤) النباهي ، المصدر نفسه ، ص١٢٠ ؛ حازم غانم حسين ، الاوضاع الاقتصادية لعلماء الدين في الاندلس (٣٩٩-٥٤١هـ/ ١٠٠٨-١١٤٦م) ، مجلة التربية والعلم ، ع ٢٤ ، (جامعة الموصل ، كلية التربية ، ١٩٩٩م) ، ص ٧٨-٧٩ .

وعليه فلم تكن تلك الضرائب مقبولة عند العامة حتى لو كانت لتحقيق مصلحة عامة وحماية المدن وقد يكون للجباة دور في تأجيج ذلك السخط خاصة اذا ما علمنا ان المرابطين قد اعتمدوا على عمال نصارى ويهود لجمع الجبايات واستخلاصها من الرعية وطبيعي ان لا يكونوا افضل من غيرهم فاستخدموا ايضا القوّة والتعسف في جمع الاموال بل زاد سخط العامة اكثر لتسلط اهل الذمة عليهم[1] ، حتى قالوا في امثالهم ((عرب البطائح : يغرم الجزي لليهود)) وتردد صدى ذلك السخط في اشعارهم ايضا فقالوا

كنا نطالب لليهود بجزية وارى اليهود بجزية طلبونا [2]

اما في عصر الموحدين فقد التزمت الدولة في بداية امرها باحكام الشرع فيما يخص الجباية والاقتصار على ما أجازه الاسلام ونددوا بسياسة المرابطين في هذا المجال فاستخدم الموحدون المسوغ الشرعي نفسه الذي ارتكز عليه المرابطون عند قيامهم على ملوك الطوائف[3].

وكانت تلك السياسة واضحة من خلال الرسالة التي بعث بها الخليفة عبد المؤمن الى الطلبة والمشيخة والاعيان في الاندلس يتحدث فيها عن المغارم والمكوس والقبالات وتحجير المراسي وغيرها من المظالم ووجوب القضاء عليها واجراء العدل في شأنها [4] .

الا ان ذلك لم يعد ان يكون دعاية قام بها الموحدون ضد المرابطين وشعارات مؤقتة استظلت بها الدولة الموحدية في بداية عهدها فما ان استقرت الدولة وتوسع نطاق مسؤولياتها حتى بدت تلك الجبايات لا تفي بمتطلباتها [5] ، وبدأت تبحث عن وجوه جديدة لجمع المال ففرضت ضرائب على انواع المعاملات

---

(١) بوتشيش ، مباحث ، ص٩٠ ؛ الزيات ، مظاهر اقتصادية ، ص١٠٨ .

(٢) الزجالي ، امثال العوام : ق٢ / ٣٨٧ .

(٣) ابو مصطفى ، تاريخ الاندلس الاقتصادي ، ص ٣٦٦ .

(٤) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ١٥٦ – ١٥٧ ؛ عنان ، دولة الاسلام (عصر الموحدين) ، ص٦٢٤-٦٢٥ .

(٥) عنان ، دولة الاسلام (عصر الموحدين) ، ص٦٢٥ .

من البيع والشراء والصادر والوارد فضلاً عما كانت تستولي عليه من اموال اليهود والنصارى الذين بقوا في اراضي الدولة [1] .

وقد عانى سكان شرق الاندلس من ويلات الضرائب التي فرضها عليهم محمد بن سعيد بن مردنيش الذي ناؤا الموحدين مدة طويلة ففرض على رعيته مغارم كثيرة كي يدفع نفقات جنده من المرتزقة النصارى مما ادى الى سوء احوال الناس [2] ، يقول ابن الخطيب في ذلك: ((فصالح صاحب برشلونة لاول امره على ضريبة وصالح ملك قشتالة على اخرى فكان يبذل لهم في السنة خمسين الف مثقال... واجحف برعيته لارزاق من استعان به منهم فعظمت في بلاده المغارم وثقلت ... وجعل على الاغنام وعروض البقر مؤنا غريبة واما رسوم الاعراس والملاهي فكانت قبالاتها غريبة)) [3] .

ويذكر ابن الخطيب في موضع اخر ((فتحيف الرعية بكل وجه من وجوه الجور واستكثر من القبالات ورسم بدائع من المكوس وقرر في المواشي عددا تلزم المئن وفرض على الادم والبقول والحبوب معاون ثقيلة تقارب اصول الاثمان))[4] .

ويضيف ابن سعيد على ذلك القول ان ابن مردنيش اخذ ((يعذب على الاموال ويرتكب في شأن تحصيلها القبائح)) [5] .

اما في مملكة غرناطة فقد ابعد سلاطين غرناطة اليهود والنصارى عن وظيفة الجباية عكس دولة المرابطين التي اعتمدت عليهم ، غير ان سلاطين غرناطة كانوا يدفعون الاموال لملوك اسبانيا فقد كان السلطان محمد الاول ابن الاحمر يدفع ربع ما في بيت ماله وقيل نصف ما موجود في بيت المال ، كما فرض الفونسو

(١) السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب ، ص٤٧٢ .
(٢) ابو رميلة ، الموحدين وعلاقتهم ، ص٣٧٦ .
(٣) الاحاطة : ٢/ ٧١-٧٢ .
(٤) اعمال الاعلام ، ص٢٦١ .
(٥) المغرب : ١ / ٢٥٠-٢٥١ .

العاشر على ابن الاحمر مبلغ خمسين الف قطعة ذهبية أي ما يعادل سدس ماحوته خزينة الدولة النصرية [١] .

اما السلطان ابو الحسن علي الملقب بالغالب بالله فقد انشغل بملذاته الشخصية عن العناية بأمور الرعية لا بل ((ثقل المغارم وكثر الضرائب في البلدان ومكس الاسواق ونهب الاموال)) [٢]، وعهد بجمعها الى من يظهر العفاف والصلاح وهو على العكس من ذلك من رجال دولته [٣].

وعلى ذلك نجد ان عبء تلك الضرائب كان ثقيلٌ على سكان مملكة غرناطة سواء ذهبت تلك الاموال الى الممالك الاسبانية ام كانت لاشباع جشع السلاطين وحاشيتهم .

وان كان من الصعوبة بمكان تقديم فكرة واضحة عن مستوى الضرائب غير الشرعية وانواعها التي كان يفرضها سلاطين غرناطة الا ان اهم واردات بيت المال فضلاً عن الجزية التي تؤخذ من اهل الذمة والزكاة والعشور من المسلمين كانت ضرائب التجارة والتجارة البحرية والصيد في ميناء مالقه ومربلة (Marbella) وضريبة المواريث وغنائم الحروب [٤] .

وعليه فلا بد ان تلك المصادر الضريبية كانت تسد بقدر معين ما كان على مملكة غرناطة تحمله من نفقة المواجهات الدائمة مع الاسبان .

---

(١) ابو عبد الله محمد السلماني الشهير بلسان الدين ابن الخطيب ، اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، (ط٢ ، بيروت ، دار الافاق الجديدة ، ١٩٧٨م) ، ص٧٤ ؛ السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب ، ص٤٧٣ – ٤٧٤ ؛ الحجي ، التاريخ الاندلسي ، ص٥٦٢ .

(٢) مجهول ، نبذة العصر ، ص٤٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٤٩ .

(٤) السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب ، ص٤٧٤ .

٣- تزييف النقد (العملة) :

لا يخفى على احد اهمية دراسة العملة واصنافها لاي عصر من العصور فهي دعامة اساسية من دعائم الدولة واستكمالا لهيبتها وسلطتها لا تقل شأناً عن تعبئة الجيوش لذا نجد الكثير من الخلفاء و الحكام يتشددون في مراقبة العملة ومحاسبة كل من يحاول التلاعب بها فلم يولوها الى من ثبتت امانته وصفت سيرته .

وان كنا في صدد تقديم عرض لحالات الزيف والغش في العملة عبر تاريخ الاندلس نظرا لأهمية الموضوع فنحن نجابه بقلة تلك الحالات واقتصار المعلومات الواردة بخصوصها التي لا تعيننا على دراسة حيثيات هذه الحالات فليس ما يعنينا هنا مراحل سك النقود في الاندلس ودور السكة [*] وفي زمن أي حاكم او امير اصدرت العملة انما مبتغانا هو رصد ما امكن من حالات الغش في العملة او بعض ما قد يشير الى ذلك .

ومما لا شك فيه ان سلطة الدولة ورقابتها يجعلها تضرب بيد من حديد على كل من يحاول التلاعب بقيمة العملة او تزييفها وبعكس ذلك يكون الباب مشرعا امام المزيفين او اصدار النقد الخاص به بالنسبة للثوار والمتمردين هذا ان لم يكن التزييف في العملة بأمر من الحاكم .

وعليه نجد ابن عبدون يوصي بتوحيد النقد في البلد وترك التعامل باكثر من نوع لان في تنوعها اختلافاً في قيمة ما تصرف به عند الصرافين [١] .

كما اوجب الفقهاء الوالي انزال عقوبة شديدة لمزور النقد اذا عرف وشُخِص بأن يطاف به في الاسواق ويضرب امام الجمهور ويحبس ليكون عبرة لغيره [٢] .

(*) السكة: هي الحديدة التي يطبع عليها الدينار والدرهم، ابو الحسن علي بن يوسف الحكيم ، الدوحة المشتبكة في ضوابط السكة ، تحقيق: حسين مؤنس ، (مدريد ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية، ١٩٥٨م) ، ص١٠٩؛ وينظر النقيب ، تاريخ الاندلس ، ص١٤٧.

(١) رسالة في القضاء والحسبة ، ص٥٨ .

(٢) الونشريسي ، المعيار المعرب : ٦/ ٤٠٧ .

وفي ذلك تكون العملة ذات اهمية للدولة والمجتمع فهي تدخل في جميع التعاملات الاقتصادية للافراد فلا تصلح المعيشة الا بها [(١)] ، اما الدولة فقد تعد مكملة لهيبتها وسلطانها كما ذكرنا وكما يحدثنا ابن حيان عن اتخاذ دار السكة سنة (٣١٦ هـ/ ٩٢٩م) بأمر من الخليفة عبد الرحمن الناصر والذي قلد الاشراف عليها وادارتها اكفأ رجاله [(*)] فكانت تلك خطوة لمنع الغش والتلاعب في العملة [(٢)] .

ويبدو ان توقف سك النقد منذ مدة طويلة قبل عهد الناصر جعل العملة عرضة للتزييف والغش فجاء اجراء الناصر للحد من ذلك والقضاء عليه .

وفي فترة ملوك الطوائف كان النقد عرضة للتلاعب والتزييف فمن المعروف ان الاوضاع الاقتصادية في تلك المدة لم تحافظ على قوتها بسبب ما كان يجري من احداث سياسية لذا اصبحت النقود كثيرا ما تخلط بمعادن اخرى دون الذهب والفضة مما ادى الى تخفيض قيمتها وانقاص عيارها [(٣)] ، فانتشرت في البلاد النقود القرمونية (ربما تعود التسمية الى مدينة ضربها قرمونة (Carmona)) والنقود العبادية (نسبة الى دويلة بني عباد في اشبيلية) والنقود الشرقية (التي ضربت في شرق الاندلس) وكانت هذه النقود ناقصة العيار ومغشوشة لا تضاهي العملة التي كانت متداولة في البلاد قبل ابتداء ضرب هذه الاصناف من العملة في ذلك العصر [(٤)] .

فضلاً عن ذلك تسرب العملة الجيدة الى الممالك النصرانية بسبب الجزية والاتاوات المدفوعة من اولئك الحكام حتى اصبحت الضرائب والمغارم التي تجبى

---

(١) المقريزي ، اغاثة الامة ، ص ٤٧ .

(*) حول من تولى الاشراف على دار السكة في زمن الناصر ينظر : ابن حيان، المقتبس ، تحقيق : شالميتا ، ص٢٤٣-٢٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٤٣ ؛ ينظر: الحبيب الجنحاني، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الاندلس في عصر عبد الرحمن الناصر من خلال المقتبس لابن حيان ، مجلة المناهل ، ع ٢٩ ، (الرباط ، د.مط ، ١٩٨٤م)، ص٤٥١ .

(٣) الطيبي ، دراسات ، ص٣٣١ ؛ حسين ، دور العلماء ص١٧٤ – ١٧٥ .

(٤) الونشريسي، المعيار المعرب : ٦/ ٧٩ ، ١٩٢ و ١٠/ ٣٠٨ ؛ طه ، اهمية الكتب الفقهية ، ص١٧٣.

من الناس غير كافية لسداد قيمة الجزية لذا قام حكام الطوائف بتخفيض قيمة العملة وبهذا كثرت اعمال الغش والتزييف فيها [1] .

لذا نجد ان بعض الفقهاء واصحاب الخير عملوا جهدهم على منع تداول العملة الرديئة فيحدثنا ابن بشكوال عن الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن الصدفي (ت٤٢٤هـ/ ١٠٣٢م) الذي كان لا يتعامل الا بدراهم وعملة طيبة ويشترط على الناس مثل ذلك اذا تبايع معهم وان حدث ان وصلت اليه نقود مزيفة فكان يجعلها في صرة ويلقي بها في النهر ليقطع التعامل بها بين الناس[2] .

الا ان الوضع سرعان ما تبدل بعد مجيء المرابطين الذين حققوا للاندلس وحدة نقدية واحتفظت السكة المرابطية بقيمة مرتفعة حتى تغير الحال في اواخر عهد علي بن يوسف بن تاشفين فبدأت العملة المرابطية تفقد قيمتها الشرائية بالتدريج لانتشار الغش فيها واصبحت قضية التعامل بالنقد المغشوش بالنحاس تشغل بال الناس وجاء ذلك بعد سلسلة المشاكل الداخلية والثورات التي بدأت تواجهها الدولة المرابطية والذي ترتب عليه انعدام الامن وتضرر الحركة التجارية للدولة والرعية مما دفع بعض الافراد لاستغلال الفرصة فأخذوا يتلاعبون بالعملة عن طريق غشها بالنحاس حتى وصل الحال ان تقوم الدولة نفسها بسك عملة نحاسية لتسديد نفقات الجيوش ودفع مرتبات الجند بعد ان قل احتياطيها من الذهب الخالص[3] .

اما في العصر الموحدي فلم يردنا من الاخبار ما يدل على حالات الضعف النقدي او الغش في العملة بل على العكس فقد ضاعف الموحدون وزن الدينار مما ساعد على تحسين الاحوال الاقتصادية العامة [4] .

(١) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص١٠٨ ؛ حسين ، دور العلماء ، ص١٧٥ .
(٢) الصلة : ١/ ٢٦٤-٢٦٦ .
(٣) المرفي ، دولة المرابطين ، ٢٨٩ – ٢٩١ .
(٤) السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب ، ص٤٧٢ .

وبالانتقال الى مملكة غرناطة فقد ظهرت اصناف من العملة الرديئة منها الدراهم البالية والدراهم الزرقاء والدراهم الجديدة وكان سبب رداتها هو قيام البعض بقرضها حتى صار الدرهم في الوزن نصف درهم وكان الناس يستكرهون التعامل بها حتى صار من بيده شيء منها يسعى للتخلص منها في أي عوض كان غلا سعره ام رخص خشية الغائها من السلطة لقلة وزنها[1].

كما عمد فريق من مسيحي مملكة ارغون الى ضرب عملة مزيفة شبيهة بنقود المسلمين وتاجروا بها مدة مع الغرناطيين الى ان اكتشف امرها[2]، فكانت تلك محاولة للاضرار باقتصاد المسلمين من خلال التلاعب بقيمة عملتهم وتزييفها.

٤- البذخ والاسراف في الانفاق :

اتسمت ظاهرة البذخ عند الحكام والسلاطين بترافقها مع تقدم الدولة واستقرارها وازدهار النشاط الاقتصادي فيها مما ساعد على زيادة الواردات الخاصة بخزينة الدولة وهذا ما شجع الحكام على بذل تلك الاموال في اوجه تعد من قبيل البذخ وصورة من صور حياة الرفاهية التي يعيشها الحكام وحاشيتهم .

وظهر على امراء الاندلس وحكامها مظاهر ذلك الترف متمثلا في بناء القصور واقتناء الجواري والعبيد وفي الهدايا والهبات التي تعطى للشعراء والمغنيين .

فقد اكثر الامير الحكم بن هشام من شراء العبيد السود والبيض وزاد عليه الامير عبد الرحمن الاوسط حتى وصل عددهم في حرسه الخاص الى خمسة الاف شخص[3] .

وان كنا سنتحدث عن عهد الامير عبد الرحمن الاوسط فان ما تميز به ذلك العهد من الامن والرخاء مقارنة مع الولاة والامراء الذين سبقوه وانشغالهم بتثبيت اركان الدولة ثم ما جاء بعده من الامراء الذين واجهوا العديد من الثورات

(١) الونشريسي، المعيار المعرب: ٦/ ٤٤١-٤٤٢ و٧ / ١٠٣ ، ١٠٧؛ طه، اهمية الكتب الفقهية، ١٧٣.
(٢) السامرائي واخرون ، تاريخ العرب ، ٤٧٤ .
(٣) السامرائي واخرون ، تاريخ العرب ، ص٤٦١ .

الداخلية حتى ضعف امر الامويين ودولتهم في الاندلس وباتوا في خطر دائم يهدد بقاءهم .

فمن ذلك نجد ان مظاهر الترف والبذخ الذي ظهر على الامير عبد الرحمن الاوسط لم يتمثل باقتناء العبيد والجواري فحسب ، فعن بذخ الامير احاديث عديدة منهاانه كان للامير جارية تدعى طروب كان محبا لها شغوفا بها [1] ، وحدث ان صدت عنه وامتنعت عن لقائه فأمر بتعليق اكياس مملوءة بالدراهم على بابها استرضاء لها فلما فتحت الباب تساقطت تلك الاكياس وكانت تحوي نحو عشرين الف درهم [2] ، كما اشترى من احد التجار عقدا كان للسيدة زبيدة زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٩م) بمبلغ عشرة الاف دينار واهداه لها [3] .

ومما روي من اخبار حول قدوم زرياب [*] الى الاندلس وما احيط به من عناية وما اجزل له من هبات وعطايا من الامير عبد الرحمن الاوسط لقاء ما كان يقدمه بين يديه من اغاني ومعزوفات تطرب الامير وتسليه ، فقد خصص له عطاء قدره مائتي دينار في الشهر وقرر له ثلاثة الاف دينار في كل من العيدين وفرض له كذلك مائتي مد من الشعير ومثلها من القمح هذا الى جانب الحدائق والقصور وهبه اياها تقدر قيمتها باربعين الف دينار [4] .

ولم يقتصر الامر على ذلك العطاء فحسب فعندما غنى زرياب في احدى مجالسه اغنية اطربت الامير واعجبته امر ان يدفع له ثلاثين الف دينار من بيت مال

---

(١) ابن حزم ، طوق الحمامة ، ص٤٦ .

(٢) المقري ، نفح الطيب : ١/ ٢٧٣ – ٢٧٤ .

(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢/ ٩١ ؛ مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، ص ١٤٤ .

(*) زرياب المغني الذي ادخل الى الاندلس الموسيقى والغناء العربيين المشرقيين كان تلميذ لاسحاق الموصلي في بغداد خرج زرياب من العراق الى الاندلس فوصلها عام (٢٠٦هـ/ ٨٢١ م) وسكن= =قرطبة وتوفي بها عام (٢٣٨هـ/ ٨٥٢م)، المقري، نفح الطيب: ١/ ٢٧٠؛ بالنثيا، تاريخ الفكر الاندلسي ، ص٥٣ .

(٤) المقري ، نفح الطيب : ٣/ ٣٩٠ ؛ بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ص٥٣ .

المسلمين الا ان القائمين على بيت المال رفضوا صرف تلك الاموال لأمر لا ينفع المسلمين فدفع الامير ذلك المبلغ من ماله الخاص [1] .

كما شغف امراء وخلفاء بني امية في الاندلس ببناء القصور فقد كان في قرطبة العديد من قصور الملك فابتنى الامير عبد الرحمن الاوسط قصر البهو والكامل والمنيف كما ابتنى الخليفة عبد الرحمن الناصر قصراً عظيماً اسماه دار الروضة استغرق العمل فيه خمس سنوات [2] .

فضلاً عما تقدم ذكره كان الامير محمد يحرص على اقتناء الاثواب الفاخرة والسلع الكمالية الثمينة بما فيها انواع الحيوانات غير المألوفة في الاندلس اذ كان شديد الولع بها ، كما استجلب انواع الغرس النادرة لزرعها في القصور والمنيات[3] .

الا ان ما وصلت اليه الاندلس في عصر الخلافة من رقي وازدهار فاق كل العصور التي مرت بها البلاد فقد امتلكت تلك المدة كل المقومات والمؤهلات للازدهار والرخاء .

تمثل الاسراف في الانفاق عند الخلفاء في بناء المدن الملوكية وصرف الملايين في بنائها واشهرها مدينة الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله (الزهراء) والتي صرف الاموال الطائلة لاجل انشائها اذ قدرت النفقة السنوية عليها بـ (٣٠٠) الف دينار ، واستمر العمل في بناء المدينة مدة ٤٠ سنة (٢٥ سنة من عهد الخليفة الناصر و١٥ سنة من عهد ابنه الخليفة الحكم المستنصر) [4] .

---

(١) ابن القوطية ، افتتاح الاندلس ، ص٨٩-٩٠ ؛ ابن سعيد ، المغرب : ١/ ٤٧ – ٥١ .
(٢) مثنى فليفل سلمان ، الحياة الاجتماعية في الاندلس خلال القرن الثالث والرابع الهجريين ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة بغداد ، كلية الاداب ، ١٩٩٠م) ، ٩٥ – ٩٦ .
(٣) ابراهيم القادري بوتشيش ، ازمة التجارة في الاندلس في اواخر عصر الامارة ، مجلة المناهل ، ع ٣٢ ، (الرباط ، وزارة الشؤون الثقافية ، ١٩٨٥م) ، ص٢٤٢ .
(٤) المقري ، نفح الطيب :٢/ ٨٨ ؛ الحجي ، التاريخ الاندلسي ، ص٣٠٤ .

لذا نجد ان القاضي المنذر بن سعيد البلوطي كان لاينفك ينتقد الخليفة الناصر لهذا التبذير ويتحين الفرص دائما لنصحه وارشاده [1] ، ومما يدل على الرفاهية انذاك والمبالغة في البذخ والاسراف سواء كان لدى الحكام ام حاشيتهم ورجال دولتهم تلك الهدايا الثمينة التي كان يقدمها الوزراء وكبار رجال الدولة الى الخلفاء او الى زوجات الخليفة [2] ، كما كان يفعل الحاجب المنصور محمد بن ابي عامر مع الاميرة صبح زوجة الحكم المستنصر في بداية ظهوره حتى اتهم بالتبذير مما دفع الحاجب المنصور للاستدانة من صديق له لسد عجز حصل في الخزينة العامة المشرف عليها [3] .

وعند سيطرته على مقاليد الحكم بعد ذلك عمد الحاجب المنصور محمد بن ابي عامر الى بناء مدينته التي اسماها (الزاهرة) مقتفي اثر الخليفة الناصر في ترك ما يمجد عصورهم بمنشآت مميزة دالة على العزة والسلطان الواسع [4] .

وان كان عظم ما وصلت اليه الاندلس خلال عصر الخليفة الناصر وحكم الحاجب المنصور بن ابي عامر قد دفعهم الى بذل الاموال والاسراف في انفاقها على بناء المدن والقصور والمنيات فان عصر ملوك الطوائف كان على العكس من ذلك فقد كانت اسوأ الفترات التي مرت على البلاد فلم يكن لحكامها سوى الاسم والبذخ فنجدهم يخضعون للممالك الاسبانية ويدفعون الجزية لهم ويتلقبون بأسمى الالقاب السلطانية وينفقون الاموال وكأنهم سادة البلاد حتى قال عنهم الشاعر ابن رشيق [*] .

مما يزهدني في ارض اندلس　　　القاب معتمد فيها ومعتضد

---

(١) ابن سعيد ، المغرب : ١/ ١٧٩ – ١٨٠ ؛ النباهي ، المرقبة العليا ، ص٧٤ – ٨٦ .

(٢) النقيب ، تاريخ الاندلس ، ٢٦٩ – ٢٧٠ .

(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢/ ٢٥١ – ٢٥٢ ؛ السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب ، ص٤٦٥ .

(٤) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢/ ٢٧٥ ؛ السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب ، ص٢٠٧ .

(*) ابن رشيق ابو العباس احمد كاتب واديب نشأ في مرسية وانتقل الى قرطبة له مجموعة رسائل توفي عام (٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م)،شهاب الدين ياقوت الحموي ، معجم الادباء ،(ط٣ ،بيروت، دار الفكر،١٩٨٠م) :٢/ ٣٣-٣٤.

القـــاب مملكـــة في غـــير موضـــعها   كـالهر يحكـي انتفاخـا صـورة الاسـد[1]

وكان هؤلاء الامراء والحكام يضطرون الى فرض الضرائب والمغارم الثقيلة على رعيتهم لدفع الاتاوة السنوية للنصارى فضلاً عـن رغبـتهم في الشـراء والحيـاة المرفهة والحاجة الى الاموال الطائلة لبناء القصور الفخمة وفرشها بالاثـاث النفـيس وجلب الجواري وتوزيع الجوائز والهبات على مـن يريـدون [2] ، وكـل ذلـك كـان يجري على حساب قوت الشعب ومصلحته .

وكذا الحـال في دولـة المـرابطين فبتقـدم الدولـة واتسـاعها اصبـح الامـراء وحاشيتهم يغدقون الأموال والهبات على الشعراء واقامة القصور والمنيات وملئهـا بالجواري والحشم كما تفننوا بالأطعمة والملابس وأصناف الترف الأخرى [3] .

ولم يختلف الامر في دولـة الموحـدين ولاسـيما في مـدة خلفائهـا المتـأخرين الذين انهمكوا في الملذات واسباب البذخ والـترف غـير مكترثـين بشـؤون الدولـة والحكم ولا ما يكون عليه حال الناس فهمهم اصبح جمـع المـال لتحقيـق رغبـاتهم وانفاق تلك الاموال على هذا الشاعر او ذاك [4].

وفي مملكة غرناطة كان الترف وما وصل اليه السلاطين في اخر سنواتها من بذخ من اهم الاسباب وراء ضعف المسلمين ومن ثم سـقوط الـبلاد بيـد الاسـبان فضلا عن اسباب مهمة اخرى فتركوا اعداد الجيوش ومواجهة الاخطار وانشـغلوا بنعيم العيش وتنافسوا في الحصول على الجواري واصبح الاقتران بالنصرانيات سنة متبعة بينهم [5] .

---

(١) فروخ ، تاريخ الادب : ٣٨٦/٤ .
(٢) للمزيد ينظر: بدر، المجتمع الاندلسي، ص٤٥-٤٦؛ الداية، اسباب سقوط الاندلس، ص٩٥ – ٩٦
(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب :٢٣/٤ ، ٤٧ ؛ ينظر : بوتشيش ، مباحث ، ص١٣٢ ؛ الزيات ، مظاهر اقتصادية ، ص١١١ .
(٤) ابو عبد الله محمد الرعيني المعروف بابن أبي دينار ، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس ، تحقيق : محمد شمام ، (ط٣ ، تونس ، المكتبة العتيقة ، ١٩٦٧م) ، ص ١١٧ ؛ الصلابي ، دولة الموحدين ، ص١٦٢ ؛ الزيات ، مظاهر اقتصادية ، ص١١١ .
(٥) الصلابي ، دولة الموحدين ، ص٢٠٤ – ٢٠٥ .

فالسلطان ابو الحسن علي الغالب بالله هجر زوجته من اجل جارية قشتالية تدعى ثريا التي اصبحت سيدة غرناطة الاولى و ((اشتغل باللذات والانهماك في الشهوات واللهو بالنساء المطربات وركن الى الراحة والغفلات وضيع الجند واسقط كثيراً من نجدة الفرسان)) [1] .

ومن خلال هذا الاستعراض نجد مما لا شك فيه ان الاسراف والبذخ في الانفاق سواء على بناء القصور والمنيات ام المدن ام الهبات التي تعطى للشعراء وغيرهم تؤثر سلبا في اقتصاد البلاد وماليتها وان كانت فترات الرخاء التي قد تمر بها الدول خاصة في بداية عهدها تسد جزءاً من تلك النفقات فان ما تصل اليه بعد ذلك من ضعف وعجز يدفعها الى ان تثقل كاهل الرعية بالضرائب لجمع المال والاستمرار على ما اعتادت عليه من بذخ واسراف فضلاً عن ان أي طاريء قد يعترضها يجعلها عاجزة عن معالجته والتصدي له لضعف امكاناتها المالية فتكون غير قادرة على مواجهة الظروف الاستثنائية .

٥- الاحتكـــــار :

الاحتكار من السياسات الاقتصادية التي يتبعها التجار في بعض اوقات الازمات الاقتصادية ابتغاء الكسب والربح ، والمقصود به هو حبس الطعام لحين غلاء سعره ، وشرعا يعرف بانه شراء قوت الناس او البهائم وحبسه الى غلائه ومدة الحبس قد تصل الى اربعين يوما او شهرا وقيل اكثر من سنة وفي ذلك حق المعاقبة في الدنيا وان قل عن تلك المدة فانه مكروه شرعا [2] ، وبكلتا الحالتين يكون آثماً على ما فعل .

وطبيعي ان يختلف تاثير ما قد يحتكره التجار تبعا لاهمية المادة والسلعة من حيث ضرورتها وتاثير احتكارها في معايش الناس .

---

(١) مجهول ، نبذة العصر ، ص٤٥ ؛ طقوش ، تاريخ المسلمين ، ص٦٠٧ .
(٢) الشرباصي ، المعجم الاقتصادي الاسلامي ، ص١٩ .

لذا كانت مسالة تخصص الاسواق من المزايا الحسنة في منع التاجر الجشع ان يرفع الاسعار كيف يشاء خشية من جيرانه المنافسين له وفي هذه الحالة يقل احتمال حدوث الاحتكار او ارتفاع غير طبيعي في الاسعار [١] .

وقد تناولت كتب الحسبة مسألة الاحتكار فنجد ان ابن عبدون يوصي بان لا تباع الحنطة لمن عرف عنه انه محتكر اكثر من قفيز واحد في محاولة لمواجهة حالة التلاعب في السعر بين التجار والدلالين[٢] .

كما نجدهم ينهون عن بيع السلع في الدور والفنادق في حالة غلاء الاسعار وقلة السلعة فان ذلك يهيء للمحتكر الحصول على تلك السلعة والتصرف كيف يشاء في سعرها[٣].

ونتيجة للضرر الذي يصيب الناس عامة من جراء الاحتكار وخاصة في اوقات الازمات والشدة كان لابد من معاقبة المحتكر امام الناس بان تباع سلعته ويرد له راس ماله ويتصدق بالربح ذلك من قبيل التاديب فان عاد ضرب وطيف به في السوق ثم سجن [٤] .

اما حوادث الاحتكار عبر تاريخ الاندلس فلا نكاد نجد من تلك الحوادث ما يعزز قولنا فحتى كتب الحسبة [٥] تناولت الاحتكار بشكل عام دون ان تورد نماذج وحالات لمثل ذلك وقد يعود السبب الى ان الاحتكار من التصرفات الفردية فضلاً عن وجود نظام الرقابة الدائم على الاسواق وتجارها الا وهو نظام الحسبة الذي يكون رادعا لهم .

---

(١) عواد مجيد الاعظمي وحمدان عبد المجيد الكبيسي ، دراسات في تاريخ الاقتصاد العربي الاسلامي ، (بغداد ، مطبعة التعليم العالي بجامعة بغداد ، ١٩٨٨م) ، ص١١٥ .

(٢) رسالة في القضاء والحسبة ، ص٤٢ ؛ وينظر :
Pedro chalmeta , Elsenor del zoco en espana , (Madrid , 1953) , p.135 .

(٣) الونشريسي ، المعيار المعرب : ٦/ ٤٢٦ .

(٤) المصدر نفسه : ٦/ ٤٢٥ .

(٥) ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة ، ص٤٢ ؛ ابن عبد الروؤف ، رسالة في الحسبة ، ص ١٠٩

ثالثا : سوء الادارة المركزية واضطرابها :

مثلت الادارة وحسن قيادتها الدعامة الاساسية لازدهار الاقتصاد واستقرار البلاد فقوة اميرها او حاكمها يجعلها تنعم بالامن والامان والذي ينتج عنه نشاط الحركة الاقتصادية والعمرانية وغيرهما .

وبالعكس من ذلك فان أي خلل قد يصاب به الجهاز الاداري ولاسيما راس السلطة وحاكمها فان البلاد تصبح عرضة للانهيار واختلال الاوضاع فتضعف سلطة الدولة على المناطق وتضعف معها قدرتها على حفظ الامن والامساك بزمام الامور .

وذكر حسين مؤنس ان الازمات التي قد تتعرض لها البلاد انما ناتجة عن سوء الادارة وسوءها يأتي من استئثار الامراء بالسلطة وجعلها في ايديهم فلا شيء يجري الا بامرهم فما كان الامير ليترك سلطة بيد احد موظفيه حتى يسيء استغلالها فكان يقوم بكل شيء بنفسه حتى يطمئن على عرشه [(١)] .

غير ان ارتباط سوء الادارة مع تدهور واضح في الاقتصاد ومعايش الناس قد لا يحدث دائما لذا فاننا لن نقوم فيما يأتي بدراسة سوء الادارة واستعراض مواطن ضعفها بكل تفاصيله الا بقدر ارتباط تلك الحالة مع سوء الاوضاع الاقتصادية .

وخير مثال على ذلك ما عانته البلاد في مدة الامير عبد الله والتي وصفت بانها ((تتواتر في ولايته الاحزان ويسبى فيها العيال والاموال وتكسد فيها الاسواق وتغلو فيها الاسعار)) [(٢)] .

فقد سادت الفوضى ربوع الاندلس وجعلتها فريسة للكوارث والطامعين فانتشرت عصابات اللصوص وقطاع الطرق فكثيرا ما فزع سكان قرطبة من نومهم

---

(١) موسوعة تاريخ الاندلس : ١/ ٢٢٠ .

(٢) عبد الملك بن حبيب ، باب استفتاح الاندلس ، تحقيق : محمود علي مكي ، (مدريد ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، ١٩٥٧م) ، العدد ٥ ، ص٨١ .

في جوف الليل لصياح الزراع على شاطيء النهر وقد وثب عليهم لصوص الطرق[1].

ويهذا انعدم الامن وقل الانتاج الزراعي والحيواني واشتد الغلاء فارتفع ثمن الخبز وغيره من المواد الغذائية لا بل خلت الاسواق من القوت فاصيب التجار بالضرر الفادح واتلفت الزروع والكروم وتركت الاراضي قفراً [2].

فعمت الشكايا من تهاون الامير فضلاً عن تذمر الجند لمنع اعطياتهم الامر الذي جعلهم ينفضون من حوله [3]، وحدث ذلك لقلة الخراج بتمرد معظم مدن الاندلس على حكومة قرطبة فخلت خزائن الدولة من المال [4].

اما في عصر الخلافة فلم نعثر على ما يدل على سوء الادارة فالخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله وابنه الحكم المستنصر كانا على درجة كبيرة من الحكمة والقوة استطاعا من خلال ذلك ضبط البلاد وادارتها على افضل وجه فضلاً عن حسن اختيارهما لموظفيهم في مجال الادارة والمال والاشراف على عمالهم بانفسهم فمن يثبت تقصيره يتعرض للعزل [5].

اما عصر ملوك الطوائف فكان سوء ادارتهم واضطراب الامن سبباً في تفاقم الاوضاع الاقتصادية سوءاً فقد عانت البلاد من التمزق الاقتصادي الى جانب التمزق السياسي[6].

ولم يقتصر سوء الادارة بشكلها العام انما شمل ايضا سوء الادارة العسكرية في بعض الحملات والمعارك التي قد تؤدي الى اخفاق الحملة فضلاً عما قد يترتب عليه من قلة المؤن وتدهور اوضاع الجند كما حدث في غزوة وبذة (٥٦٧هـ/

(١) بول، قصة العرب، ص٩٢.
(٢) المرجع نفسه، ص٩٣-٩٤؛ حمودة، تاريخ الاندلس، ص١٩٦؛ بوتشيش، ازمة التجارة، ص ٢٣٥.
(٣) مجهول، اخبار مجموعة، ص١٥٠-١٥١؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٢٧٠.
(٤) المقري، نفح الطيب: ١/٢٧٦؛ بول، قصة العرب، ص٩٢؛ بوتشيش، ازمة التجارة، ص ٢٤١.
(٥) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٢٣٩ – ٢٤٠؛ ينظر: النقيب، تاريخ الاندلس، ص٧٤ – ٧٦.
(٦) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص٤٦٩.

١١٧١م) وما اصاب الموحدين في هذه الحملة من اخفاق نتيجة لسوء تنظيم الحملة والتخطيط غير السليم للقيادة وعلى راسها الخليفة ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن[*].

وفي عهد الخليفة الموحدي ابي عبد الله محمد الناصر (٥٩٥-٦١٠هـ/ ١١٩٩ -١٢١٣م) الذي توجه في عام (٦٠٧هـ/ ١٢١٠م) الى الاندلس لوقف اعتداءات النصارى المتكررة على الاراضي الاسلامية وبدلاً من التوجه مباشرة للقاء العدو ونتيجة لقلة خبرته واستبداده بالراي وسوء ادارته للحملة توجه الى حصن شلبيطرة (Salvatierra) وضرب الحصار حوله فانهك بذلك قوى جنده حيث لبث الجيش محاصرا للحصن ثمانية اشهر نفد فيها زاد الناس ومؤنهم وقلت علوفات خيلهم وكلت عزائمهم وغلت الاسعار لقسوة الطقس بدخول الشتاء واشتداد البرد حتى مات العديد من الجند جراء المرض [1]، لينتهي امر هذه الحملة الموحدية بهزيمة قاسية في معركة العقاب (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م) والتي عدت بداية النهاية للموحدين في الاندلس [2].

وبهذا يكون سوء ادارة الدولة او ادارة حملة عسكرية سبب تفاقم الوضع الاقتصادي وتدهوره والمحصلة ستكون الشدة والجوع والحرمان الذي سيعاني منه الناس .

(*) حول تفاصيل الحملة ونتائجها راجع : عنان ، دولة الاسلام (عصر الموحدين) ، ص٧٦ ؛ طقوش ، تاريخ المسلمين ، ص٥٣٨ – ٥٣٩ .

(١) سالم ، المغرب الكبير : ٢/ ٨٢٠ ؛ الصلابي ، دولة الموحدين ، ص١٤٥ – ١٤٦ .

(٢) المراكشي ، المعجب ، ص ٤٠١-٤٠٢ ؛ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص٢٦٩ – ٢٧٠ .



الفصل الثالث

المظاهر الاقتصادية والاجتماعية للازمات الاقتصادية

المظاهر الاقتصادية والاجتماعية للازمات الاقتصادية

أولا : المظاهر الاقتصاديـــة:

١ -ظهور المجاعـــة وتكررهـــا :

تعد المجاعات ابرز الظواهر المرافقة للازمات الاقتصادية سواء ذات المسبب الطبيعي أم البشري ، والمجاعة اسم للمخمصة والشدة وهي نقيض الشبع فهي حالة شح الغذاء أو عدمه وما قد ينتج عنه من معاناة الناس وانتشار الأمراض وقد يتدهور الأمر ليصل إلى موت أعداد من الناس ولاسيما الفقراء منهم [١] .

وأسباب حدوث المجاعات عديدة فمنها الطبيعي كما ذكرنا مثل حالات الجفاف وانحباس الأمطار وما ينتج عن ذلك من قلة الإنتاج الزراعي ومن ارتفاع أسعار المتوافر من القوت فيعجز عن شرائه غالبية الناس ، كذلك هجوم أسراب الجراد وتدميره للمحاصيل الزراعية أو انتشار الأمراض الفتاكة بين الناس فيقعدهم المرض عن أداء أعمالهم مما يتسبب في تعطيل الأسواق وإغلاق المحال فضلاً عن عجز الفلاحين عن العناية بالإنتاج الزراعي وبذلك تشل الحياة العامة.

أما الأسباب البشرية للمجاعات فاننا نلحظ أن هذه الظاهرة قد ترافقت مع اغلب حوادث الحروب والثورات والفتن وحصار المدن فتصبح سلاحا يفتك بالناس يجعلهم في عجز عن المقاومة والثبات ليدفعهم في النهاية إلى الاستسلام .

فضلاً عن تأثير الضرائب والجبايات التي تفرضها الدول على الرعية والتي ترهق كاهلهم فيضعف بذلك اعمار الأراضي وتقل الاقوات وتغلو فتقع المجاعة[٢] .

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب : ٨/ ٦١ ، مادة جوع ؛ الشرباصي ، المعجم الاقتصادي ، ص٤٠٧ .
(٢) ابن خلدون ، المقدمة : ١/ ٣٠٢ ؛ ابن الأزرق ، بدائع السلك : ٢/ ٢٧٠ .

أن موجات المجاعات كانت تعصف بالعديد من أرواح العامة ، صحيح أن المجاعات كانت تطال كل الطبقات غير أن طبقة الخاصة كان لها من الوسائل ما تقاوم به مثل هذه الشدائد كتخزين الأقوات وامتلاكهم الأموال التي تسهل لهم الحصول على القوت وقت الحاجة أما العامة فلم يملكوا إلا قوتهم اليومي ولم تكن لهم القدرة على الاختزان لمواجهة هذه الكوارث إذا ما حصلت (١) .

وفي الأندلس لم يختلف الحال عن بقية البقاع فقد عانت مثل غيرها من البلدان الإسلامية من ويلات المجاعات حتى تردد صدى ذلك في أمثالهم فقالوا (الجوع مالوا عينين) (٢) ، وقالوا أيضا (أشط من عام الجوع) (٣) .

وعلى ذلك استعانت بعض المدن بطرق خاصة لحفظ وتأمين مصادر الغذاء في سنوات المجاعة فكان أهالي مدينة لورقة يخزنون الحبوب تحت الأرض في سنوات الرخاء حيث امتازت تربة المدينة بخاصية حفظ الحبوب لبضع سنوات دون أن يتلف فكان معيناً لهم في السنوات العجاف (٤) .

كما عمد أهل حصن بطروش (pedroche) (*) على العناية بشجر البلوط الذي يحيط بجبالهم وسهولهم ويحرصون على حفظ إنتاجه من البلوط حيث يكون لهم قوت وغياث وغلة في سنوات المجاعة ولاسيما أن البلوط عندهم كان يتميز بجودة الثمرة وحسن المذاق حتى سمي ذلك الفحص بفحص البلوط (٥) .

---

(١) بوتشيش ، مباحث ، ص٢٠٠ .

(٢) الزجالي ، أمثال العوام : ق ٢ / ٨٦ .

(٣) بوتشيش ، مباحث ، ص٢٠٠ ، هامش ٨ .

(٤) الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص١٧٢ .

(*) بطروش يقع إلى الشمال من قرطبة باتجاه بطليوس وهو حصن كثير العمارة شامخ الحصانة لأهله جلادة وحزم على مكافحة أعدائهم ، الإدريسي ، نزهة المشتاق : ٢ / ٥٨٠ ؛ الرشاطي ، اقتباس الأنوار ، ص٢٠ .

(٥) الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٥ ؛ ارسلان ، الحلل السندسية : ١/ ١٤٥ ؛ حتاملة ، موسوعة الديار : ١/ ٢٥٨.

ومما يذكر في هذا المقام أن بلاد الأندلس وقبيل الفتح الإسلامي قد شهدت وقوع مجاعة شديدة فيما بين عام (٨٨-٩١هـ / ٧٠٧-٧٠٩م) على عهد الملك القوطي غيطشة (Witiza) (٨٣-٩١هـ/ ٧٠٢-٧١٠م) وانضم إليها تفشي الوباء فمات عدد هائل من السكان [١] ، فأثرت هذه المجاعة في قوة الدولة القوطية وعلى اقتصادها فضلا عن النقص السكاني في المناطق التي عانت من المجاعة .

أما بعد الفتح الإسلامي للأندلس فان أول مجاعة عامة شملت البلاد تلك التي وقعت سنة (١٣١هـ/ ٧٤٨م) واستمرت حتى سنة (١٣٦هـ/ ٧٥٣م) وعرفت بسني برباط [٢] ، نسبة إلى وادي بكورة شذونة لجاء إليه أهل الأندلس في تلك السنوات [٣] ، أما عن سبب المجاعة فيعود إلى توافق انحباس الأمطار و حدوث القحط مع حروب العرب مع بعضهم وبين العرب والبربر خلال تلك الفترة فانشغل الجميع بتلك النزاعات عن العناية بالأرض وعمارتها فتفاقم الوضع إلى أن وصل أسوأ حاله بانتشار المجاعة في عموم البلاد [٤] .

ولم تكن تلك المجاعات حدثا عابرا فقد خلفت وراءها اثاراً سيئة على المسلمين في الأندلس فاستغل النصارى الأسبان هذه الظروف واخذوا ينحدرون إلى الجنوب واحتلوا مناطق واسعة واقعة بين نهري دويرة (Doura) وتاجه واخذوا يغيرون على المسلمين واستولوا على جليقية (Galicla) واخرجوا المسلمين من مدينة استرقة (Astorga) فكان للعدو الغلبة على المسلمين لولا أن شملهم الجوع فأضعفهم أيضا[٥].

---

(١) مجهول ، اخبار مجموعة ، ص١٨ .

(٢) ابن الشباط ، وصف الاندلس وصقلية ، ص١٣٦ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢/ ٣٨ .

(٣) الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٠٠ .

(٤) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص٦١ – ٦٢ ؛ مؤنس ، معالم تاريخ الأندلس ، ص٢٤٨ ؛ أبو ضيف ، القبائل العربية ، ص١٠٧ .

(٥) أخبار مجموعة ، ص٦٢ ؛ مؤنس ، فجر الأندلس ، ص٣٤٨ ؛ حتاملة ، موسوعة الديار : ١/ ٣٠ .

ويلغ من سوء الوضع أن قطعت الصلات بين نواحي البلاد فيذكر صاحب أخبار مجموعة أن يوسف الفهري احتاج مرة إلى رسول يبعثه إلى الصميل فلم يجد إذ كان الرسل القادرون جميعا قد هلكوا وانقطعت المواصلات أو كادت بين قرطبة وسرقسطة [1] .

وليس هذا فحسب فعندما ثار الحباب بن رواحه من بني زهرة بن كلاب عام (١٣٧هـ/ ٧٥٥م) على الصميل بسرقسطة وحاصره قرابة سبعة أشهر بعث الصميل يستنجد بيوسف الفهري[2]، الذي اعتذر بشدة الأندلس بسبب المجاعة وامتنع عن إغاثته لضعف الحال فلم يكن لدى يوسف الفهري من الجند القادرة على القتال ليمد بهم الصميل [3] .

وبعد قيام الإمارة الأموية في الأندلس وعلى عهد أميرها الحكم بن هشام وقعت مجاعة شديدة في البلاد وذلك في عام (١٨٩ هـ/ ٨٠٤ م) ترافق مع هذه المجاعة انتشار الوباء فأذهب بأعداد كبيرة من الناس ولم يقتصر على الأندلس بل شمل المغرب وأفريقيا أيضاً [4] .

وفي سنة (١٩٧هـ/ ٨١٢ م) عمت ارض الأندلس مجاعة شديدة نتيجة لانحباس المطر طوال موسم الزراعة فمات فيها أكثر الخلق لما عانوه من ضروب الحرمان والبؤس حتى اضطر البعض منهم إلى عبور البحر نحو العدوة المغربية [5] ، على الرغم من ان ابن عذاري يجعل سنة وقوع المجاعة عام (١٩٩ هـ/ ٨١٤ م) إلا انه من الثابت حدوث مجاعة شديدة في عهد الأمير الحكم بن هشام [6] .

---

(١) مجهول ، ص٧٨ ؛ ينظر أبو ضيف ، القبائل العربية ، ص١٠٨ .
(٢) مجهول ، فتح الأندلس ، ص٤٦-٤٧ ؛ سالم ، تاريخ المسلمين ، ص١٦٦ .
(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢/ ٣٧ ، ٤٢ ؛ عبد الحميد ، محاضرات ، ص١٣٨ .
(٤) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص١٣١ .
(٥) المقري ، نفح الطيب : ١/ ٢٦٨ ؛ عنان ، دولة الإسلام (عصر الإمارة) ، ص٢٣٩ .
(٦) البيان المغرب : ٢/ ٧٣ ؛ ينظر: حمود ، تاريخ الأندلس ، ص١٤٥ .

وتكررت المجاعة في سنة (٢٠٧ هـ/ ٨٢٢ م) على عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط وكحال سابقاتها أودت هذه الأزمة بإعداد كبيرة من الضعفاء والمساكين الذين لم يجدوا ما يقتاتون به في هذه المجاعة نظرا لقلة الطعام وغلاء الأسعار [١] ، وسبب هذه الأزمة حسب ما أورده ابن حيان هو انتشار الجراد بالأرض وإتيانه على الغلات وهجومه على الجهات فضلاً عن توقف المطر وانحباسه فخرج أهل قرطبة إلى صلاة الاستسقاء[٢] .

واتفق القحط والجراد مرة ثانية ليودي بأهل الأندلس إلى مجاعة عظيمة عمت بلادهم في عام (٢٣٢ هـ/ ٨٤٦ م) وعلى عهد الأمير نفسه فلم يقتصر اثر هذه المجاعة في البشر فحسب بل لحقت المواشي أيضا التي لم تجد ما تقتات عليه فهلكت فضلاً عن احتراق الكروم والزروع لقلة المطر وتأثير الجراد فأصاب الناس في ذلك ضيق العيش والحرمان حتى اضطروا إلى جلب المؤن من العدوة المغربية[٣].

وفي عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن عانت البلاد من قحط شديد رافقه وقوع المجاعة وذلك في عام (٢٥٣ هـ/ ٨٦٧ م) ، وحسب نص ابن عذاري فقد كانت تلك المجاعة متوالية استمرت إلى عام (٢٦٠هـ/ ٨٧٣ م) فمات من جرائها أعداد كبيرة من الناس[٤]، وكانت السنة الأخيرة (٢٦٠هـ/ ٨٧٣ م) أشدها ضراوة على الناس حتى جرى المثل بها على ألسنتهم بسنة ستين[٥]، فقد رافقها غلاء الأسعار وقلة الأقوات وانتشار الوباء في البلاد [٦] .

ويبدو أن تأثير هذه الأزمة خلال تلك السنوات كان شديدا فانتشر في مدينة قرطبة السراق وأهل الشر وازدادت بذلك معاناة الأهالي في المدينة فرفعوا

---

(١) ابن الأثير ، الكامل : ٥/ ٤٧٠ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢/ ٨١ .

(٢) المقتبس ، تحقيق : مكي ، ص٢٢٥ .

(٣) المصدر نفسه، ص١٤٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/ ٨٩؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ٩٦ .

(٤) البيان المغرب : ٢/ ١٠٠ ، ١٠٢ .

(٥) ابن القوطية ، افتتاح الأندلس ، ص١٠٦ .

(٦) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص٩٦ .

شكواهم إلى الأمير محمد الذي ولى إبراهيم بن الحسين بن عاصم [*] أحكام السوق والشرطة للتصدي لأهل الفساد وأعطاه الإذن بصلب وقتل المفسدين دون الرجوع إلى رأي فقيه أو أمير وقد عرف عن ابن عاصم الشدة والصرامة فبدأ بمحاسبة الناس وقتل من يؤتى به على انه من أهل الفساد حتى تجاوز الحد فكان بين يديه من المصلوبين عدد عظيم [1] .

وفي عام (٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م) وعلى عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ألمت بالبلاد مجاعة شديدة اجتاحت الأندلس وبلاد العدوة فغلى السعر كثيرا حتى اعجز الناس [2]، إلى أن وصل بهم الحال أن أكل الناس بعضهم البعض حسب رواية ابن أبي زرع وطبيعي أن ينتشر جراء ذلك الوباء بينهم فاذهب بأعداد لا تحصى من البشر [3]، فكانت محنة شديدة ثقيلة الوطأة على الناس حتى اشتهرت تلك السنة بسنة لَمْ أَظُنْ [4]، ويبدو ان السبب في ذلك انحباس المطر وان لم تشر المصادر التاريخية الى ذلك .

ولم ينته عهد الأمير عبد الله بن محمد حتى وقعت مجاعة أخرى وذلك سنة (٢٩٧هـ/ ٩٠٩م) عرفت تلك السنة بسنة جوع جيان عانى الناس خلالها الكثير فمات بها كثيرون ورحل عن الأندلس نحو العدوة المغربية قسم آخر هربا من قسوتها [5]، أما سبب تسميتها فقد يعود إلى أن باكورة المجاعة بدأت من مدينة جيان حتى نسبت إليها .

(*) إبراهيم بن الحسين بن عاصم من أهل العلم والفضل رحل طلبا للعلم والفقه ولى أحكام السوق والشرطة أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن توفي سنة (٢٥٦ هـ/ ٨٦٩ م) ، عياض ، ترتيب المدارك : ١/ ١٥٦ .

(١) أبو عبد الله محمد بن الحارث الخشني ، قضاة قرطبة ، (القاهرة ، الدار المصرية ، ١٩٦٦م) ، ص١٠٣ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : انطونيا ، ص١٢٧ .

(٣) الأنيس المطرب ، ص٩٧ .

(٤) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢/ ١٣٩ ؛ حكمة علي الأوسي ، فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة ،(ط٥ ، بغداد ، مطبعة بابل ، ١٩٨٧م) ، ص٥٤ .

(٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونيا ، ص١٤٦ .

وعند اعتلاء الأمير عبد الرحمن بن محمد عرش السلطة وبعد ثلاث سنوات من حكمه خيم على البلاد شبح المجاعة من جديد وذلك سنة (٣٠٣هـ / ٩١٥م) بعد أن أمحل الناس طوال عام (٣٠٢ هـ / ٩١٤م) فقل ظهور الحنطة والقوت وغلت الأسعار بسوقهم وانتشر الوباء بأرضهم فكثر الموت بين أهل الحاجة والفاقة من العامة [١]، حتى قيل أنها كمجاعة سنة ستين أي عام (٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م) لشدتها وضراوتها [٢] .

ويذكر ابن حيان أن من شدة غلاء الأسعار وشحة الأقوات أن بدأ الناس يتساقطون موتى من قسوة الجوع والحرمان ((وفشا فيهم التباغض والتقاطع بين ذوي الأرحام فضلا عن الأباعد وعم الجوع الأندلس كلها ودام نحو سنة فأهلك خلقا من أهله)) [٣] .

ولم يقتصر الأمر على ذلك فحسب بل أن هول المجاعة اضطرت الأمير عبد الرحمن الثالث إلى وقف عملياته العسكرية فلم يسير أي صائفة في تلك الأزمة لما كان في الناس من ضيق وضعف واكتفى بضبط اطراف البلاد والمدن خوفا من اعتداءات خارجية والتصدي لقطاع الطرق الذين كانوا لا يفترون عن التعرض للمسلمين وجالبي الميرة والمؤن من التجار خاصة [٤] .

كما لم يكن من الغريب أن تدفع تلك الظروف القاسية بالثائر عمر ابن حفصون لطلب الصلح بعد أن ضاق من حوله ذرعا بسوء الحال جراء القحط والمجاعة فضلاً عن اعتبارات أخرى اسهمت بتقديم الطاعة لسلطة الأمير عبد الرحمن الثالث [٥] .

---

(١) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٩٨؛ مجهول ، قطعة من تاريخ عبد الرحمن الناصر، ص٤٩-٥٠

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢/ ١٦٧ .

(٣) المقتبس ، تحقيق : شالميتا ، ص١٢٤ .

(٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : شالميتا ، ص١١٠ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢ / ١٦٧ .

(٥) ابن حيان ، المصدر نفسه ، ص١١٣- ١١٤ ؛ ابن خلدون ، العبر : ٤ / ١٣٩ ؛ الطيبي ، دراسات وبحوث ، ص١٣٨ .

وفي عام (٣١٧ هـ/ ٩٢٩ م) وبعد إعلان الخلافة الأموية في الأندلس حلت مجاعة جديدة في البلاد نتيجة انحباس المطر فغلت الأسعار على نحو ما حدث في عام (٣٠٣ هـ / ٩١٥م)[١].

ووقعت أول مجاعة في البلاد بعد تولي الخليفة الحكم المستنصر بالله في عام (٣٥٣ هـ/ ٩٦٤ م) ويبدو أن سبب حدوث المجاعة كان انحباس المطر في موسم الزراعة إذ ما لبث المطر أن هطل في العام التالي والذي روى الزرع والأرض فتلاشت بنزوله هذه الأزمة[٢].

كما شهدت سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م حدوث مجاعة عظيمة في البلاد عانى الناس منها كثيرا [٣] ، وبعد سيطرة الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر على مقاليد السلطة تجرعت البلاد ويلات المجاعة من جديد فقد استمرت المجاعة ثلاث سنوات من عام (٣٧٩هـ/ ٩٨٩ م) إلى عام (٣٨١ هـ/ ٩٩١ م) حسب رواية ابن أبي زرع [٤] .

أما ابن الخطيب فيرجع حدوثها إلى عام (٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م) استنادا إلى ما نقله عن ابن حيان دون أن يذكر كم عاماً استمرت فيقول ((واعتورته السنون الشدائد المتوالية)) [٥] .

والظاهر ان هذه المجاعة كانت شديدة التأثير حتى قاربت مخزونات السلطة من المؤن والأقوات على النفاذ لكثرة الإنفاق منها دون أن يكون بالإمكان تعويضه حتى وصل الحال بالمنصور العامري للتفكير بالجواز إلى العدوة المغربية لخصبها [٦]

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : شالميتا ، ص٢٥٠ — ٢٥١ ؛ عنان ، دولة الإسلام (عصر الخلافة) ، ص٤٢٣ ؛ السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب ، ص٤٦٤ .

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢ / ٢٣٦ ؛ سلمان ، الحياة الاجتماعية ، ص١٠٩ .

(٣) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص١٧٣ .

(٤) الأنيس المطرب ، ص١١٥ ؛ ينظر : مجهول ، تاريخ الاندلس ، ص ٢٢٢ .

(٥) أعمال الأعلام ، ص٩٩ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٩٩ .

، غير أن نزول الغيث أغاث البلاد ((وأكلات الأرض وحطت الأسعار وحيي الناس وانتعشت البهائم والدواب))[1] .

وبعد انفراط عقد وحدة الأندلس باستئثار كل حاكم بمنطقة معينة وقيام ما عرف بعهد ملوك الطوائف حلت بمدينة اشبيلية مجاعة قاسية على عهد حاكمها المعتضد بالله ابن عباد وتحديدا في عام (٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م) فقد كان من شدتها أن سميت بعام الجوع الكبير وقال عنها من شهد أيامها أن الناس كانوا ((يدفنون الثلاثة والأربعة في قبر واحد ، والمساجد مربوطة أبوابها بالحزم [الحبال] ، لا يوجد لها من يؤم بها ، ولا من يصلي فيها))[2] .

أما عهد المرابطين وتحديدا على عهد أميرها علي بن يوسف بن تاشفين اشتدت المجاعة في قرطبة وذلك في عام (٥٢٦هـ/ ١١٣٢م) رافقها بطبيعة الحال غلاء الأسعار وعانى الناس من انتشار الوباء بينهم فكثر الموت ومما زاد الطين بلة هجوم أسراب الجراد في ذلك العام على زرع قرطبة ولسنوات متتالية بعد ذلك[3]

وفي سنة (٦١٤ هـ/ ١٢١٧م) و (٦١٥ هـ/ ١٢١٨ م) و (٦١٦ هـ/ ١٢١٩ م) وقع المحل الشديد في بلاد المغرب والأندلس الذي أدى إلى مجاعة عظيمة حسب ما يذكر ابن عذاري وعلى عهد الخليفة ألموحدي المستنصر بالله يوسف (٦١٠ – ٦٢٠هـ/ ١٢١٣ – ١٢٢٣ م) واستمرت تلك المجاعة تجهد الناس إلى سنة (٦١٧هـ/ ١٢٢٠م) حتى فرج الله عنهم البلاء بأن عم الرخاء والعافية بنزول المطر بعد أن تناهت الأسعار في الغلاء خلال سنين المجاعة[4] .

---

(١) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص١١٥ .
(٢) المراكشي ، الذيل والتكملة : س٥ ق١ / ٣٢ – ٣٣ ؛ حسين ، دور العلماء ، ص١٦٩ .
(٣) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص١٩٧ وما بعدها ؛ عنان ، دولة الإسلام (عصر المرابطين) ، ص١٣٥ ؛ بوتشيش ، مباحث ، ص٢٠١ .
(٤) ابن عذاري ، البيان المغرب ، العصر الموحدي ، ٢٤٤ – ٢٤٥ .

وفي سنة (٦٢٤هـ/١٢٢٧م) عصفت بالاندلس والمغرب مجاعة شديدة عانى منها انسان المغرب والاندلس واستمر اثرها الى السنة التالية [١] .

إن ما مر ذكره قد اختص بتاريخ الأندلس ، غير أن هناك من الحوادث الحاصلة خارج البلاد أثرت بشكل مباشر في سكان الأندلس فالخبر الذي أورده لنا المقري يذكر فيه تلك المجاعة الواقعة في مدينة فاس من مدن المغرب الاقصى وكيف أثرت في مسلمي الأندلس بعد سقوط غرناطة فما أن سقطت أخر المعاقل الإسلامية في الأندلس حتى اخذ المسلمون بالهجرة والجواز إلى المغرب حيث وقعت مجاعة شديدة في مدينة فاس كما ذكرنا رافقها غلاء شديد وانتشار الطاعون حتى اضطر بعض من قدم من الأندلس إلى الرجوع إليها ((فتقاعس من أراد الجواز وعزموا على الإقامة والدجن)) [٢] ، ولم يكن النصارى آنذاك قد اخذوا بتنصير المسلمين والاعتداء على حرمتهم حتى خشي الملك فرناندو من كثرتهم فأخذ بنقض الشروط التي اتفق عليها مع المسلمين بحفظ أرواحهم وحرية ديانتهم ومنها بدأت مأساة المسلمين (المورسكيون (Moriscos)[*]) في الأندلس[٣].

وان كان ذلك الخبر خارجاً عن النطاق الزمني والمكاني لموضوعة البحث فكان إيراده فقط لبيان أثره المباشر في سكان الأندلس .

إن تتبع حوادث المجاعات خلال تاريخ الأندلس مسالة شاقة وذلك لتداخل حوادث المجاعات مع كثير من حالات القحط والجفاف وغلاء الأسعار وما قد ينتهي إليه الحال من انتشار الأوبئة والأمراض بين الناس فقد يضطر الكثير من

---

(١) ابن ابي زرع ، الذخيرة السنية ، ص ٣٧ .

(٢) أزهار الرياض : ١/٦٨ .

(*) المورسكيون: هم المسلمون الذين بقوا في الاندلس بعد سقوط غرناطة وقد فرض عليهم التنصر فرضا فسموا بالمسلمين الاصاغر أو العرب المتنصرين واستخدم ضدهم اشد وسائل العنف لتنصرهم فأعلنوا الثورة في أكثر نواحي غرناطة غير أن ثورتهم قمعت بشدة فلجاء العديد منهم إلى التنصر او الهجرة وترك الاندلس ، عنان ، دولة الإسلام (نهاية الاندلس) ، ص ٣٠٦ – ٣٠٧ .

(٣) المقري ، أزهار الرياض :١/٦٨ .

أهل الحاجة والفاقة إلى أكل الأطعمة الفاسدة وجلود الحيوانات وجيفهم هذا إن لم يوصلهم الجوع إلى أكل بعضهم البعض وهذا بطبيعة الحال يؤدي إلى انتشار أمراض فتاكة تودي بإعداد كبيرة من الناس نتيجة الجوع الشديد وبذلك تختلط عدة أسباب لتؤدي إلى هلاك تلك الأعداد .

هذا إن لم نتطرق إلى دور الاضطرابات الأمنية ولاسيما حصار المدن والتي أدت بأغلب حالاتها إلى تسليم المدينة نتيجة لما يتجرعه المحاصرون من الم الجوع والحرمان فعلى سبيل المثال لا الحصر حصار البربر لمدينة قرطبة (٤٠٠-٤٠٣هـ/١٠٠٩-١٠١٢م) خلال الفتنة القرطبية كان من اشد الأيام التي مرت على عاصمة الخلافة لما عانى أهلها من ويلات الجوع[(١)] .

وما وصل إليه حال أهل بلنسية خلال حصار السيد القمبيطور سنة (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) من جراء الجوع حتى سقطت المدينة بعد حصار دام عشرين شهرا فكان الجوع الذي عاناه أهل بلنسية من اشد ما عرفه مسلمو الأندلس [(٢)] .

وبعد ضعف الموحدين اخذ النصارى يستولون على المدن الواحدة تلو الأخرى فكان الحصار وتجويع أهل المدن خير وسيلة للوصول إلى مبتغاهم مثل حصار مدينة اشبيلية (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨ م) الذي دام عام ونصف العام تقريبا [(٣)] .

وغيرها من الأحداث المشابهة والتي اوضحناها سابقا وذكرها في هذا المقام يضطرنا إلى إعادة ما أوردناه من تفاصيل[(*)] .

وعانت مدينة مالقه في عام (٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ م) من مجاعة نتيجة غلاء الأسعار قال ابن عذاري في ذلك ((كان بالأندلس غلاء مفرط أكثره بمالقة فكان فيها المأكول غال ونيله عويص ، وبيعت فيها الحاجة المثمنة بالثمن الرخيص)) [(٤)] .

---

(١) ينظر : ابن عذاري ، البيان المغرب : ٣ / ١٠١ - ١١٢ .
(٢) المصدر نفسه : ٤ / ٣٣ ، ٣٨ - ٤٠ .
(٣) المصدر نفسه ، العصر الموحدي ، ٣٨١ - ٣٨٢ ، ٣٨٥ .
(*) حول ذلك راجع فقرة الاضطرابات الأمنية والسياسية في الفصل الثاني .
(٤) البيان المغرب ، العصر الموحدي ، ٤٤٢ .

٢- انتشار الفقر و الحاجة :

لا يكاد يخلو أي مجتمع من المجتمعات من ظاهرة الفقر مهما بلغ من ازدهار وغنى فلا ريب أن يصبح الفقر مشكلة لازمت المجتمع الأندلسي كغيره فكما هو معلوم أن الأزمات الاقتصادية إذا ما حدثت في مجتمع ما فان رحاها تطحن بالفئات الفقيرة التي كثيرا ما كان قوتها ليكفيها ليوم أو يومين وان أي مجاعة وارتفاع في الأسعار أو انتشار للأمراض والأوبئة أو غير ذلك قد يحصل يكون أهل الخصاصة أولى ضحاياه ووقوداً لتلك الأزمة ، حتى تكررت عبارات المؤرخين في موت وهلاك ((أهل الفاقة حتى كاد أن يعجز عن دفن الموتى)) [١] ، و((هلك فيه أكثر الخلق)) [٢] ، ((مات أكثر الخلق جهدا)) [٣] وغيرها من الدلالات التي تشابه هذا المعنى ، وبالرغم من أن حدوث المجاعة أو أي شكل من أشكال الأزمة تكون في اغلب حالاتها عامة تشمل جميع الفئات والطبقات وقد تقود في بعض الأحيان بالطبقات الخاصة إلى الانحدار إلى مستوى الحاجة إلا أن حدوث ذلك قد يكون قليلا نظرا لما قد تمتلكه هذه الطبقة من مخزونات الحبوب والقوت الذي يكفيها لتجاوز ازمات قد لا تطول كثيرا فضلاً عن امتلاكها الأموال التي تسهل عليها الحصول على ما تحتاج إليه في وقت الضيق .

ولشدة ما قد يعانيه ذوو الحاجة في أوقات المجاعات والحرمان تدفع تلك الشدة بعضاً منهم إلى إثارة المشاكل ، ففي المجاعة التي استمرت من عام (٢٥٣ هـ / ٨٦٧ م) إلى عام (٢٦٠هـ/ ٨٧٣ م) الواقعة في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن أن كثر ((فيها التطاول من الفسدة لفضل ما كانوا فيه من ضر السنة وكثرت الشكوى بذلك إلى الأمير)) [٤] .

---

(١) مجهول ، قطعة من تاريخ عبد الرحمن الناصر ، ص٥٠ .

(٢) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص١٠٠ .

(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢ / ٧٣ .

(٤) الخشني ، قضاة قرطبة ، ص١٠٣ .

وعلى ذلك يكون من الطبيعي أن ينتشر اللصوص وقطاع الطرق الذين يحاولون بتلك الأعمال التخفيف من حالة الحرمان التي يعانون منها أو استغلالهم لضعف السلطة وسوء إدارة الدولة بالتمرد عليها في محاولة لتحسين أوضاعهم كما حصل في طول البلاد وعرضها في عهد الأمير عبد الله بن محمد (١) .

لذا نجد أن أزمة القحط وما تبعها من مجاعة في عام (٣٠٢ – ٣٠٣ هـ / ٩١٤ – ٩١٥م) قد حرص خلالها الأمير عبد الرحمن الثالث على ضبط أطراف البلاد والتصدي ((لأهل الخلاف والخلعان ... إذ كانوا مع استيلاء المجاعة عليهم ، لا يفترون عن العدوان ، على من مر بهم من رفاق المسلمين وطالبي المعيشة ، وجالبي الميرة)) (٢) .

وليس هذا فحسب بل حرص الأمراء الأمويون أن لا يولون أمور المسلمين لفقيه يعاني الفقر خاصة في مسائل تتعلق بأموال المسلمين كالمواريث والوصايا وغيرها ، فعندما أراد الأمير الحكم الربضي أن يقدم الفقيه يحيى بن يحيى (*) ويوليه بعض أمور المسلمين اعترض على ذلك عدد من أعلام العلماء لكونه فقيراً وقد تدفعه حاجته إلى التجاوز على حقوق المسلمين على الرغم من أن علمه كان يؤهله لما أريد أن يكون فيه لذا اقترح ابن الأمير الحكم عبد الرحمن الثاني أن يعطي الفقيه مبلغاً من المال يغنيه عن التعدي على حقوق المسلمين ويجعله يتجاوز ما عرف عنه من الفقر وبذلك يكون مؤهلا لما أريد أن يكون فيه من منصب (٣) .

---

(١) بول ، قصة العرب ، ص٩٢ – ٩٥،٩٣ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : شالميتا ، ص١١٠ .

(*) قد يكون المقصود يحيى بن يحيى الليثي الفقيه المشهور صاحب الفضل في إدخال موطأ مالك إلى الأندلس المتوفي عام (٢٣٤ هـ / ٨٤٨ م) ، إلا أن ما يستوقفنا هو ما قد ذكره المؤرخون من امتناع يحيى عن تولي أي منصب في الدولة رغم سعة علمه فلا نعلم إن كان هو المقصود أم غيره ، ينظر : الضبي ، بغية الملتمس ، ص٤٨٣ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان : ٦ / ١٤٣ ؛ ابن سعيد ، المغرب : ١٦٣/١ .

(٣) إسماعيل بن محمد الشقندي ، رسالة في فضل الأندلس ، كتاب ثلاث رسائل في فضل الأندلس وأهلها ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، (بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٨م) ، ص٥٣ .

وان كان مثل هذا الإجراء قد استفاد منه بعض ذوي العلم والمعرفة في فترة ما فان ظروف الفتن والقلاقل فيما بعد والتي ضربت البلاد بعد سقوط العامريين جعلتهم على النقيض من ذلك فأودت بالعديد من رجال الدولة وتجار وشعراء إلى شفير الفقر والعدم [(١)] .

ثم تبع ذلك ما عرف بعهد ملوك الطوائف والتي تمتعت بأنواع الترف والغنى على حساب طبقة أخرى مكافحة مكدودة تعمل وتعاني قسوة الظلم والحرمان أثقلت بالجزية والضرائب الباهظة التي كانت تقدم لحكام الأسبان آنذاك إلى جانب ضرائب أخرى فرضت على الشعب وقت السلم والحرب [(٢)] .

ولنا في ذلك خير مثال على ما وصل إليه أهل بلنسية من فقر مدقع تحت حكم الصقلبيين العامريين مبارك ومظفر من جراء الظلم والضرائب حتى أصبح الكثير من رعيتهم ((يلبسون الجلود والحصر ويأكلون البقل والحشيش)) [(٣)] .

وحتى بعد سيطرة المرابطين على حكم البلاد لم يختلف حال الطبقة العامة كثيرا فكان مستوى عيشها منحطاً وأوضاعها سيئة حتى أصبحت (وثائق العدم) مسألة شائعة فأوصى ابن عبدون بان لا تسلم إلا لمن يستحقها من الفقراء والمحتاجين [(٤)] ، كما أحدثت خطة الناظر للمساكين [(٥)] .

وعلى ذلك نجد أن الطبقة الفقيرة كانت تقتات على الذرة في اغلب الأحيان بدل القمح وخاصة في فصل الشتاء حيث يشح القمح ويغلو فيلقى أهل الفاقة صعوبة مالية في شرائه [(٦)] .

---

(١) عبد الوهاب الدباغ ، اثر الفتنة على الحركة العلمية في قرطبة ، مجلة التربية والعلم ، ع ٢٣ ، (جامعة الموصل، كلية التربية ، ١٩٩٩م) ، ص١٢٩ – ١٣٠ ؛ النقيب ، اثر الفتنة ، ص ١٤٦ .

(٢) سعد شلبي ، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف ، (القاهرة ، دار نهضة مصر ، ١٩٧٨م) ، ص٥٤ .

(٣) ابن حيان برواية ابن بسام ، الذخيرة : ق٣ مج١ / ١٤ – ٢٠ .

(٤) رسالة في القضاء والحسبة ، ص ١٣ .

(٥) بوتشيش ، مباحث ، ص١٦٩ – ١٧٠ .

(٦) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص٤٠ ؛ شبانة ، يوسف الأول ، ص٢٠٤ .

غير أن الفقر والحاجة في بعض الأحيان لم يقتصر على الطبقة المعدمة والضعيفة فحسب بل قد يلحق بالجند والعسكر ، كما حدث لهم في عهد السلطان الغرناطي أبي الحسن علي فقد اضطر جنده إلى بيع ثيابهم وخيلهم وآلات حربهم ليعتاشوا وذويهم بأثمانها لما لحق بهم من قسوة الحاجة جراء إهمال السلطان لهم وللرعية [١] .

ثانيا : المظاهر الاجتماعية:

١- الهجـــــرة :

لا تختلف المسببات التي تدفع السكان إلى الهجرة وتركهم مناطقهم وأوطانهم عن غيرها من مسببات الظواهر المرافقة للازمات الاقتصادية ولعل سوء الأحوال السياسية وما قد يرافق بعضها من تدهور الحياة الاقتصادية والتي تؤثر بشكل كبير ومباشر في معايش الناس هي أهم تلك الأسباب ، وهذا لا يعني أن العوامل الطبيعية من قحط وجفاف أو انتشار الوباء وغير ذلك لا يكون دافعا لهجرة أعداد كبيرة من الناس إلا أن الفتن والحروب تكون المحرض الأقوى للهجرة فأغلب حالات القحط وانحباس الأمطار الذي قد يصيب بلداً ما يكون شاملا لمعظم المناطق والانتقال من منطقة إلى أخرى قد لا يجدي نفعا في تخفيف وطأة الأزمة على السكان ، وقد يسوء أمرهم إلى درجة ترك بلدانهم والهجرة إلى بلدان أخرى هذا إن لم يكن ذلك البلد واقع في دائرة الأزمة كما حدث في بعض الأحيان في شمول مناطق واسعة من البلدان الإسلامية بأزمة قحط وجفاف عام في الوقت نفسه .

على أن هذا الكلام لا يلغي حالة وقوع القحط في منطقة دون أخرى في البلد نفسه فتكون هجرة الناس داخلية من منطقة القحط إلى أخرى تمتاز بالخصب ووفرة الطعام .

---

(١) مجهول ، نبذة العصر ، ص٥٠ .

أما انتشار الأوبئة مثلا والطاعون منها خاصة فعلمنا كيف أن الرسول الكريم محمد (ﷺ) قد نهى عن الفرار منه والخروج من ارض الوباء إلى ارض أخرى ومن ذلك كرهت الهجرة شرعا في مثل هذه الحالة [1] .

أما في حالات الفتن والاضطرابات الأمنية والحروب فان قسوة تلك الأحوال تدفع السكان إلى ترك مدنهم والرحيل إلى مدن أخرى ليست على تماس مع العدو إن كانت مناطقهم حدودية أو إلى مدن نجت من فتنة ثائر أو متمرد .

وقد تتفق العوامل الطبيعية مع العوامل البشرية في منطقة ما فتكون الهجرة وترك تلك البقعة هي السبيل الوحيد للنجاة ، كما حدث في بداية استقرار العرب المسلمين والبربر في الأندلس عندما حلت المجاعة نتيجة للقحط وانحباس المطر في البلاد متزامنة مع تلك الحروب العنيفة التي ضربت أطنابها في البلاد فيما بين العرب تارة وبين العرب والبربر تارة أخرى .

واستمرت تلك الأزمة تلقي بظلالها على الأندلس منذ عام (١٣١ هـ/ ٧٤٩م) وحتى عام (١٣٦هـ/ ٧٥٥ م) فكانت محنة قاسية ألمت بالبلاد اضطر معها الكثير من السكان للهجرة إلى المغرب واغلب من رحلوا إلى طنجة وأصيلا وريف البحر كانوا من البربر[2]، ومنهم من انتقل إلى مناطق أخرى داخل الأندلس كانت وطأة الأزمة فيها اقل ألماً كمدينة شذونة التي تحوي نهر برباط ((فلجأ عامة أهل الأندلس واحتلوا واديها نهر برباط ... فسميت تلك السنة سنة برباط))[3] ، كما لجأ قسم أخر إلى مدينة سرقسطة طلبا للخير والعيش الكريم حيث بقي هذا الإقليم في سعة ورخاء فضلاً عما انتهجه الوالي الصميل في بذل الأموال وتوزيع الطعام وإغاثة الجائعين[4].

---

(١) ينظر : البخاري ، صحيح بخاري ، ص٨٣ – ٨٤ .

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب :٢/ ٣٨ ؛ مجهول ، اخبار مجموعة ، ص٦٢ ؛ أبو ضيف ، القبائل العربية ، ص١٠٨.

(٣) ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص١١٤؛ ابن الشباط ، وصف الأندلس وصقلية، ص١٣٦.

(٤) مؤنس ، فجر الأندلس ، ص٢٣٥ ؛ رينهارت دوزي ، تاريخ مسلمي اسبانيا ، ترجمة : حسين حبشي ، مراجعة : احمد مختار العبادي وجمال محرز ، (القاهرة ، دار المعارف ،١٩٦٣م) ، ص١٧٧ .

وعلى هذه الصورة كان عدد من هاجر عظيما جدا حتى أن نواحي الشمال الأندلسي وغربه كادت تخلو من أهلها المسلمين فضلاً عن أعداد من هلك منهم بسبب المجاعة ، وطبيعي أن يستغل الأسبان هذه الفرصة في محاولة للسيطرة على ما يمكن من الأراضي فتقدموا واحتلوا تلك المناطق الخالية من السكان المسلمين من غير جهد فسيطروا على شمال غرب الأندلس [١] وحكم ملكهم آنذاك الفونسو الأول جليقية وغرب الأندلس وقشتالة القديمة ومناطق أخرى عديدة [٢] ، وبهذا اتسعت رقعة دولة النصارى اتساعا مفاجئا بلغت به ضعف حجمها الأول وبالمقابل خسر المسلمون نحو ربع ما فتحوه من الأندلس[٣] .

وفي سنة (١٩٧هـ / ٨١٢ م) وفي عهد الأمير الحكم بن هشام دفعت ظروف القحط الشديد وما تلاه من مجاعة بالناس إلى عبور البحر والهجرة نحو المغرب للخلاص مما كان في الأندلس من جوع وحرمان نتيجة لتلك الظروف الطبيعية [٤] .

وعلى عهد الأمير نفسه وفي سنة (٢٠٢هـ/ ٨١٧ م) وقعت هيجة الربض وكانت من اخطر ما صادف الأمير الحكم وبعد أن تمكنت قواته من إخماد التمرد أمر الحكم سكان الحي أن يخلوا الربض فجرى هدم المنازل ومسح معالمه وحرث أرضه وشرد أهله فاتجه البعض إلى ناحية طليطلة والبعض الأخر رحل إلى المغرب نحو مدينة فاس و سكنوا طرفاً منها سميت بعد ذلك باسمهم (عدوة الأندلسيين) تقع في الطرف المقابل لمدينة فاس القديمة (عدوة القرويين) في حين اتجه القسم الثالث نحو الإسكندرية في مصر ومنها إلى جزيرة اقريطش (كريت) فاستولوا عليها وأنشأوا فيها دويلة إسلامية [٥] .

---

(١) مؤنس ، فجر الأندلس ، ص٢٠٦ .

(٢) حتاملة ، موسوعة الديار : ١/ ٣٠ .

(٣) مؤنس ، فجر الأندلس ، ص٢٠٧ .

(٤) عنان ، دولة الإسلام (عصر الإمارة) ، ص٢٣٩ .

(٥) الشيخ ، دولة الفرنجة ، ص٨٨ ؛ محمود علي مكي ، تاريخ الأندلس السياسي (٩٢ – ٨٩٧ هـ / ٧١١ – ١٤٩٢م) دراسة شاملة ، كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي ، (ط٢ ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٩م) : ١ / ٧٤ – ٧٥ .

لقد كان تهجير سكان الربض ابرز الظواهر التي خلفتها أزمة الفتنة تلك فترك الربض خاليا دون أن يعمر بل وتحول إلى مقبرة سميت مقبرة الربض واستمر على هذا الحال إلى أن سقطت مدينة قرطبة بيد النصارى عام (٦٣٣هـ/ ١٢٣٦م)[١] .

وطبيعي أن يتأثر الاقتصاد الأندلسي بهجرة هذه الأعداد الكبيرة إذ أن سكانه كانوا من التجار والصناع وأهل الحرف فضلاً عن الفقهاء وطلبة العلم [٢] .

ويبدو أن كثرة التمردات التي كانت تقوم بين الاونة والأخرى في عهد الإمارة قد اضطرت سكان بعض المناطق المجاورة لمناطق الفتن أن يتركوا مدنهم للخلاص من غارات المتمردين ، كما حصل مع أهالي قلعة رباح (Castillo de Calatrava veija) الواقعة على الطريق بين طليطلة وقرطبة ففي عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط احتاج إلى بناء موقع حصين للتصدي للثائرين عليه في طليطلة غير أن أهل طليطلة اخذوا يهاجمون قلعة رباح ويكثرون الإغارة عليها حتى اضطر معظم سكانها إلى تركها بل أصبحت في سنة (٢٣٩ هـ/ ٨٥٣ م) مدينة مقفرة من السكان [٣] ، حتى اضطر الأمير محمد بن عبد الرحمن إلى نقل أعداد من السكان إليها في عام (٢٤١ هـ/ ٨٥٥ م) بعد أن حصنها وزاد في بنائها [٤] .

وفي عام (٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م) وعندما اجتاحت الأندلس مجاعة شديدة ضربت مدينة جيان بقسوتها فسميت بسنة جوع جيان كان من أثرها أن مات أعداد كبيرة من الخلق وهاجرت أعداد كثيرة أخرى إلى المغرب للخلاص من قسوة الجوع[٥] .

---

(١) ينظر : ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : مكي ، ص٢٥٣ – ٢٥٤ ، تعليق المحقق رقم ٥٧ .
(٢) مكي ، تاريخ الأندلس : ١ / ٧٤ .
(٣) حتاملة ، موسوعة الديار : ٢ / ٨٧٤ .
(٤) الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص١٦٣ ؛ حتاملة ، موسوعة الديار : ٢/ ٨٧٤ .
(٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : انطونيا ، ص١٤٦ .

أما في فترة الفتنة القرطبية فقد أدى الاضطراب الأمني والكساد الاقتصادي إلى دفع الكثير من أهل قرطبة إلى الهجرة لاسيما طبقة الحرفيين وأصحاب الأراضي الزراعية والتجار الذين تضررت أحوالهم نتيجة إهمال الأرض والخراب الذي عم القرى وكساد التجارة مما دفعهم إلى التفكير في استغلال أموالهم وخبرتهم في مدن الأندلس الأخرى التي كانت أكثر أمنا واستقرارا[١].

وعلى سبيل المثال مدينة بجانه (Pechina) التي ((أمتها الناس من كل جهة واقبلوا إليها من كل ناحية فارين من الفتن التي كانت إذ ذاك شاملة)) [٢] .

كذلك مدينة بلنسية التي ((اقبل الناس إليها من كل قطر بالأموال ... واستوطنها جملة من جالية قرطبة القلقة الاستقرار)) [٣] .

ويبدو أن هجرة أهالي قرطبة وما جاورها من القرى استمرت خلال سنوات الفتنة وتعاقب الخلفاء على عرش الخلافة في قرطبة حتى أصبحت اكثر قرى قرطبة خالية من ساكنيها ففي هذا يقول البكري ((عفت الفتنة ... آثار هذه القرى وغيرت رسوم ذلك العمران فصار أكثرها خلاء يندب ساكنيه)) [٤] .

فلا عجب أن تزخر كتب التراجم بأسماء العلماء الذين تركوا قرطبة وهاجروا إلى مدن أخرى هربا من الخوف والقتل [٥] .

كما كان للاضطهاد والتعسف الذي مارسه بعض ملوك الطوائف ضد رعاياهم دور كبير في نفور السكان وتركهم مناطقهم كما هو الحال مع أهل بلنسية فأرهق الحاكمان مظفر ومبارك العامريان رعيتهما بالضرائب والجبايات حتى ((تساقطت الرعية وجلت أولا فأول وخربت أقاليمهم)) [٦] .

---

(١) الدباغ ، الأندلس بين (٣٩٩-٤٢٢ هـ)، ص١٣٠؛ عباسي، الملكيات الزراعية، ص ٢٠٥ -٢٠٦.
(٢) الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٣٨ .
(٣) ابن بسام ، الذخيرة : ق٣ مج١ / ص١٧ .
(٤) جغرافية الأندلس وأوربا ، ص١٠٥ - ١٠٦
(٥) ينظر : ابن بشكوال ، الصلة : ١ / ٢٧ ، ٣١ - ٣٢ ، ٣٨ ، ٤٦ ؛ عياض ، ترتيب المدارك : ١ / ٤٢٨ و ٢ / ٦٦٤ ؛ ينظر : النقيب ، اثر الفتنة ، ص ١٤٠ - ١٤١ .
(٦) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٣ / ١٦٠ .

وتكرر هذا الحال مع أهل بلنسية فيما بعد عندما سيطر القادر بالله ابن ذي النون على المدينة من عام (٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥ م) الى عام (٤٨٥ هـ/ ١٠٩٢ م) واخذ هو الأخر يفرض الغرامات والضرائب لدفع أموال الجزية السنوية للأسبان فضلاً عن تجاوزات القوات الاسبانية على حرمات الناس والمقيمة في المدينة حماية لحكم القادر بالله وعلى ذلك اضطر الكثير من أهل بلنسية إلى النزوح منها وتركها نهائيا واللجوء إلى المدن والممالك المجاورة من جراء تلك السياسة الطائشة التي اتبعها القادر بالله [(١)] .

كما عانى المسلمون من جراء حروب النصارى فما أن تسقط مدينة ما بيد الأسبان حتى يحمل الناس أحمالهم ويهجروا مدنهم إلى مناطق أخرى من البلاد وهكذا حتى لم يتبق أمامهم سوى مملكة غرناطة التي بقيت تستقبل النازحين من أهل الأندلس إلى أن ضاق الرحب بأهله واكتظت المدينة بالسكان لكثرة من قدم من المسلمين من جميع أنحاء الأندلس [(٢)] .

٢- النقص السكاني :

لاشك أن الاستقرار الأمني والازدهار الاقتصادي من أهم العوامل المساعدة على زيادة عدد السكان سواء بكثرة الولادات أم بتوافد السكان من مناطق التوتر والاضطرابات إلى المناطق الآمنة فضلاً عن التجار وأصحاب المهن الراغبين باستثمار ما لديهم من مال وخبرة في تلك البقعة وفي مثل هذه الحالات تكون تلك البلدان أو المدن مناطق جذب سكاني .

وعلى العكس من ذلك فان للمعارك والفتن التي قد يشهدها بلد ما دوراً كبيراً في تناقص سكان تلك المناطق إما نتيجة للقتل أو لهجرة السكان عنها ، وطبيعي لا يختلف الحال مع ظروف طبيعية قد تقع على البلاد من قحط وفيضانات

---

(١) الغنيمي ، كيف ضاع الإسلام ، ص٢٧٧ ؛ السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب ، ص ٢٣٩ .
(٢) شبانة ، يوسف الأول ، ص٢٠٣ .

وأمراض وأوبئة ومجاعات وغير ذلك مما يتسبب بموت وتشريد أعداد كبيرة من السكان .

ويعزو خالد الصوفي سبب وقوع تلك الأزمات الاقتصادية في الاندلس إلى سوء توزيع السكان بين مناطق البلاد فعلى الرغم من اتساع الرقعة الجغرافية للأندلس إلا أن قلة من يستثمر تلك المساحات الشاسعة كان ينتج عنه ضيق مادي وأزمات اقتصادية فكان السكان يتركزون في الجهات الجنوبية والشرقية في حين تركت المناطق الشمالية والغربية خالية من السكان تقريبا [1] .

إن جهلنا بأعداد السكان في مدن الاندلس خلال الفترات الزمنية التي مرت عليها منذ الفتح الإسلامي وحتى سقوط غرناطة يجعل مسألة تقديم عرض كامل لفترات النمو أو النقص السكاني أمرا صعبا ، فكما هو معلوم أن اختلاف الدول التي تزعمت سلطة البلاد خلال هذه الحقبة الزمنية الطويلة تباين معها وضع البلاد العام ما بين استقرار وازدهار إلى فتن واضطراب وفي فترات أصبحت ولاية تابعة للمغرب .

وفي كل تلك الظروف اختلف تأثير الأزمة في سكان الاندلس واختلفت معه عناية المؤرخين بتدوين أحداثها والعابرة منها بالتحديد وحتى ما عظم من خطب فقد يكتفي ناقل الخبر بعبارات عمومية خاصة في حوادث المجاعات والقحوط والأوبئة وما شابه تلك الأحداث أو قد يورد أرقاما لعدد القتلى والضحايا لا يتقبلها القاري فيجدها ضربا من المبالغة أو تخمينا من المؤرخ لجهله بحقيقة الأرقام الصحيحة لعدد الضحايا في حدث ما ولاسيما وقائع الحروب والمعارك ، وان كان لا بد لنا أن نجزم قطعا أن تلك الأزمات إنما تكون العامة من السكان والطبقة المعدمة منهم على الأخص وقوداً لنارها لذا يكون من الصعوبة على المؤرخين آنذاك وبإمكاناتهم المتواضعة أن يقدموا لنا أعداداً حقيقية أو مقبولة لمن ذهب ضحية بهذا الحادث أو ذاك.

---

(١) تاريخ العرب (نهاية الخلافة الأموية) ، ص٩٨ .

لقد تكرر حديثهم عن موت وهلاك أعداد من البشر سواء من جراء القحوط وانحباس الأمطار أو المجاعات التي كانت تجتاح البلاد وما قد يتبعها من أوبئة وأمراض في اغلب الأحيان، ثم ما كان يجري من اضطرابات أمنية ابتداء من عصر الولاة وتلك المعارك الدامية التي جرت بين العرب اليمانية والقيسية والتي راح ضحيتها اعداد من البشر وما قد يخلفه هذا الأمر من تأثير سيء على الاقتصاد خاصة إذ كانت العناصر المقاتلة من أهل السوق وأصحاب المهن ، ففي معركة شقندة (١٢٩هـ / ٧٤٧ م) لجأ القيسيون وعلى رأسهم زعيمهم الصميل بن حاتم في مواجهة خصومهم اليمانية للاستعانة بأهل السوق بقرطبة لحسم المعركة لصالحهم فأرسل الصميل إلى الخبازين والقصابين وأصحاب الحوانيت والقرويين للاشتراك في هذا الصراع فاقبل إليه قرابة أربعمائة شخص يكادون يكونون من غير سلاح وان جهز بعضهم نفسه بالسيوف أو الرماح والبعض الآخر بالسكاكين والعصي [١] ، فكان لهؤلاء الدور الأساسي في حسم المعركة لصالح القيسية ولا نستبعد فكرة مقتل العديد منهم أثناء القتال ولاسيما ان قسما منهم كان بدون سلاح والبعض الأخر بأسلحة بسيطة فضلاً عن عدم معرفتهم وقلة خبرتهم بفنون القتال

كما أثرت الفتنة القرطبية (٣٩٩ – ٤٢٢هـ/ ١٠٠٩-١٠٣١م) على العامة في مدينة قرطبة فأودت تلك الأحداث بخلق كثير ، ففي وقعة قنتيش (Cortes) (٤٠٠ هـ/ ١٠١٠م) اجتمع البربر بزعامة المستعين وبمساعدة النصارى حول قرطبة فخرج إليهم عامة قرطبة ودارت الدائرة على أهل قرطبة ليذهب منهم بضعة الاف رجل من الفقهاء وأئمة المساجد والمؤذنين وخلق آخر [٢] .

---

(١) المقري ، نفح الطيب : ٣ / ٣٠٤ ؛ دوزي ، تاريخ مسلمي اسبانيا ، ص١٧٥ – ١٧٦ .

(٢) المراكشي، المعجب ، ص ٨٨ – ٨٩ ؛ ابن خلدون ، العبر : ٤ / ١٥٠ ؛ الدباغ ، الاندلس بين (٣٩٩- ٤٢٢هـ)، ص١٦٣ .

أضف إلى تلك الأحداث الداخلية الحروب والمعارك الدامية التي كانت تدور سجالا بين المسلمين والنصارى الأسبان على مر تاريخ الاندلس وما كانت تخلفه من ضحايا خاصة في أوقات ضعف السلطة وانهيار الدول .

كما كان لسوء تصرف وتقدير العامة من الناس في بعض المواقف والأحداث دور كبير في إفساح المجال أمام العدو لبذل السيف على رقابهم وإيقاع القتل بهم مثلما حدث في واقعة بطرنة عام (٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م) عندما خرج أهل بلنسية من مدينتهم لقتال النصارى دون تأهب ولا حذر وعليهم ثياب الزينة والترف فهزموا هزيمة قاسية وقتل منهم يومئذ أعداد لا تحصى[١] حتى قال عنهم الشاعر :

لبسوا الحديد إلى الوغى ولبستم حلل الحرير عليكم ألوانا

ما كان أقبحهم وأحسنكم بها لو لم يكن ببطرنة ما كان[٢]

ولنا أيضا في حادثي اشبيلية ومرسية عام (٦٢١هـ/ ١٢٢٤م) مثال أخر لتهاون العامة وسوء تصرفهم ، فقد أغار الروم على فحص طلياطة (Tejada) من أعمال مدينة اشبيلية ونهبوا ما وجدوه وكان خبر إغارتهم تلك قد وصل إلى اشبيلية قبل ذلك فأصر العامة على الخروج لملاقاتهم والتصدي لهم[٣] .

ووصف لنا الحميري حال العامة عند خروجهم فيقول ((جد بالناس فخرجوا على كل صعب وذلول كبارهم وصغارهم بسلاح وبغير سلاح كما يخرجون إلى نزهتهم في البساتين والجنان ... ولم يخرج معهم من الخيل إلا دون المائة والروم في عدد ضخم ... وأكثر جميع المسلمين بغير سلاح إلا ما لا قدرة له وإنما هم أهل السوق والباعة))[٤] .

---

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٣ / ٢٥٢ – ٢٥٣ ؛ المقري ، نفح الطيب : ٤ / ٤٤٨ .
(٢) ابن بسام ، الذخيرة : ق٣ مج١ / ٨٥٠ وما بعدها .
(٣) حتاملة ، موسوعة الديار : ٢ / ٦٨٩ .
(٤) صفة جزيرة الاندلس ، ص١٢٩ .

فلما رأى العدو ما كانوا به من عدم التنظيم مال إليهم فأوقع بهم القتل فأفنى منهم بالقتل والأسر قرابة عشرين ألفا ، على الرغم من اختلاف الناس في تقدير عدد القتلى [1] .

واشار ابن أبي زرع إلى أن عدد من قتلوا في هذه الكائنة كان عشرة آلاف نفس [2] .

ولم يختلف الحال في حادثة مرسية عن سابقتها فقد أغار الروم أيضا على بعض أراضي عفص من قرى مرسية فخرج لقتالهم أهل مرسية غير أن العدو كان لهم بالمرصاد فاذهب منهم نحو أربعة آلاف رجل بين قتيل وأسير [3] .

ومما يستوقفنا هنا هو اختلاف سنة وقوع الحادثتين فيذكر الحميري أن حادثة اشبيلية وقعت عام (٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م) وان حادثة مرسية وقعت عام (٦٢١هـ/ ١٢٢٤م) ، غير أننا نجده وهو يتحدث عن كائنة مرسية يذكر كيف أن أهالي مرسيه أعابوا على أهل اشبيلية هزيمتهم أمام الروم وما هي إلا أيام حتى وقع على مرسية ما جرى باشبيلية [4] .

أما ابن أبي زرع فيجعل كلتا الحادثتين قد جرتا في عام (٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م) [5] .

في حين اكتفى الناصري بذكر هجوم العدو على المسلمين بالأندلس بعدة مواضع من البلاد وقتله ألوفاً من الخلق حتى خلت المساجد والأسواق وذلك في عام (٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م) [6] .

---

(١) الحميري ، المصدر نفسه ، ص١٢٩ ؛ حتاملة ، موسوعة الديار : ٢ / ٦٨٩ .
(٢) الأنيس المطرب ، ص٢٧٣ .
(٣) الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٣٦ ؛ حتاملة ، موسوعة الديار : ٢ / ٧٠٨ .
(٤) صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٢٨ – ١٢٩ ، ١٣٦ .
(٥) الأنيس المطرب ، ص٢٧٣ – ٢٧٤ .
(٦) الاستقصا : ٢ / ٢٦٤ .

وقد يفسر هذا الاختلاف في أن واقعة اشبيلية قد جرت في نهاية عام (٦٢١هـ/ ١٢٢٤م) وما هي إلا أيام حتى وقعت حادثة مرسية في بداية عام(٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م) فحصل هذا الاختلاف ، واغلب الظن ان النتائج المترتبة التي أتت على عامة الناس كانت شديدة .

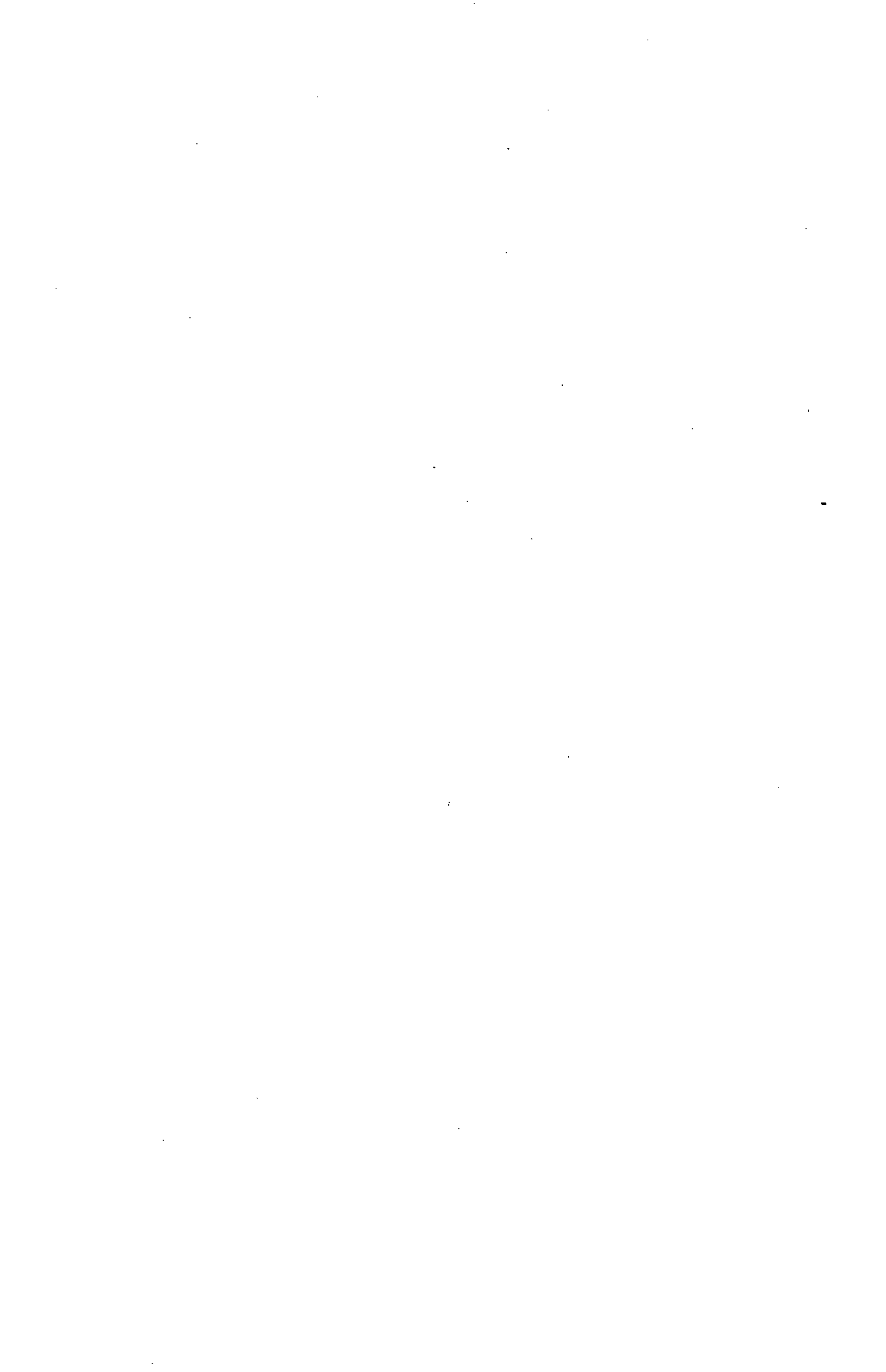
٣- الأمراض والأوبئـــة :

أحدثت الأزمات الاقتصادية ولا سيما الشديدة منها أثرا مباشرا بالغا في حياة البشر وشكلت في كثير من حالاتها تهديدا مباشرا على بقاء الناس فقد لاحظنا مدى ارتباط حوادث القحط والمجاعات وغلاء الأسعار وغير ذلك من مسببات الأزمات سواء الطبيعية منها أم البشرية مع انتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة والمعدية حتى قلت أعداد الناس إما بالموت أو الهجرة مما أدى إلى أن تترك أراضي شاسعة دون زراعة وأسواق وتجارة دون أن تجد من يقدم عليها وكل ذلك يترك أثرا سلبيا في الأوضاع الاقتصادية للبلاد ويفاقم من تأثير الأزمة .

وان كانت حوادث انتشار الأمراض والأوبئة بين الناس قد تزداد عند ترافقها مع حوادث أخرى للازمات الاقتصادية جراء تناول الناس للأطعمة والاشربة الرديئة والفاسدة وغير الصالحة لتناول البشر بقلة الطعام والغذاء أو لغلائه فيعجز عن اقتنائه ضعفاء الناس ومحتاجيهم إلا أن ذلك لا يعني عدم انتشار الأمراض بشكل منفرد .

وقد تناولنا في الفصل الأول الحديث عن الأوبئة والأمراض البشرية ونعتقد أن ما أوردناه بهذا الشأن يغطي الموضوع وان إعادته يعد تكراراً لما ذكرناه من معلومات(*).

(*) راجع للمبحث الخاص بالعوامل الحياتية



الفصل الرابع

المظاهر الاقتصادية والاجتماعية للازمات الاقتصادية

المظاهر الاقتصادية والاجتماعية للازمات الاقتصادية

أولا : الإجراءات الإداريــــة :

١-الرقابة الإدارية (نظام الحسبة) :

تعد الحسبة من أهم أنظمة الرقابة التي تنظم سير الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الأسواق بطريقة تجعلها في إطار قواعد الشرع الإسلامي وفي نطاق المصلحة العامة للمجتمع[١]. وأساس الحسبة في الإسلام على رأي الماوردي (ت٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) هو الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله[٢]، استنادا إلى قوله تعالى ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٣]. والقائم على أمر الحسبة يسمى المحتسب كما عرف في الأندلس باسم صاحب السوق لأن أكثر نظره كان يجري في الأسواق فيراقب حالات الغش والخديعة ويتفقد المكاييل والأوزان وغير ذلك[٤].

ولم تختلف الحسبة ومهمات المحتسب في الأندلس عن غيرها في بلدان المشرق الإسلامي. وهي من أشرف الخطط الإدارية وتأتي أهميتها بعد خطة القضاء[٥]، حتى قال عنها أبن عبدون ((الاحتساب أخو القضاء)) ، لذا كان لزوما أن يتحلى المحتسب بالعفة والعلم والغنى عارفا بالأمور محنكا فطنا لا يميل

---

(١) عبد الحميد حسين السامرائي ، تاريخ حضارة المغرب والأندلس في عهدي المرابطين والموحدين ، (ليبيا ، دار الشموع ، ٢٠٠٢م) ، ص ٢٦٢ .

(٢) ابو الحسن علي بن محمد ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، د.ت) ، ص ٢٩٩ .

(٣) سورة آل عمران ، اية : ١٠٤ .

(٤) النباهي ، المرقبة العليا ، ص ١٩ ؛ عاشور وآخرون ، دراسات ، ص ٣٥٦ – ٣٥٧ .

(٥) الجرسيفي ، رسالة في الحسبة ، ص ١١٩ .

ولا يرتشي[1]، مطلعا على أصناف المعايش وحيل الباعة إذ بذلك يسهل عليه كشف غشهم وتلاعبهم[2].

ولتحقيق ذلك أوصى ابن عبدون أن لا يتولى الحسبة إلا أهل البلد من الأندلسيين فإنهم أعرف بأمور الناس وطبقاتهم[3].

وإذا ما تطرقنا إلى المهمات التي يضطلع بها صاحب السوق (المحتسب) نجد أن للمحتسب اختصاصات اقتصادية و اجتماعية متعددة وما يهمنا هنا هو ما يتعلق بالحياة الاقتصادية التي يمكن حصرها في الإشراف على التجار والصناع وكل من يحاول خداع الناس فيوقع الضرر بهم كما كان عليه مراقبة الموازين والمكاييل والتأكد من سلامتها ومراقبة العملة المتداولة في البلدة فإن رأى فيها زيفا فعليه أن يتعقب المزيفين ويعاقبهم[4].

وهو بكل ذلك يد الدولة التي تضرب بها كل من يحاول التلاعب بمصالح الناس لذا أعطى المحتسب صلاحية إيقاع العقوبة التي يراها واجبة على من يثبت غشه أو احتكاره أو غير ذلك من الأعمال التي توكل صاحب السوق منع حدوثها في الأسواق .

فنجده يمشي بنفسه في الأسواق وأعوانه معه وميزانه الذي يزن به معهم فيختبر وزن الأطعمة معلومة السعر والوزن كما يعمد إلى إرسال صبي صغير أو امرأة إلى من يشك في غشه من التجار والباعة ليتأكد من صحة مكاييلهم[5].

(١) رسالة في القضاء والحسبة، ص ٢٠ .
(٢) الجرسيفي، رسالة في الحسبة، ص ١٢٠ .
(٣) رسالة في القضاء والحسبة، ص ١٦ .
(٤) الجرسيفي، رسالة في الحسبة، ص ١٢٠ ؛ أبو مصطفى، تاريخ الأندلس، ص ٣١٠ ؛ مصطفى الشكعه، معالم الحضارة الإسلامية، (ط ٣ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٨م) ، ص ٨٤ وما بعدها .
(٥) المقري، نفح الطيب : ١ / ١٨٠ .

أما العقوبات التي كان يوقعها المحتسب فتختلف بين أتلاف البضائع الفاسدة ، والتوبيخ ، والزجر ، والسجن ، والوعيد ، والضرب بالسوط ، والتغريم المالي ، والتشهير ، والتجريس ، فيطوف بالمذنب من أهل السوق في الشوارع فإن أصر واستمر على سوء أفعاله أخرج ونفي من السوق[1].

ومن خلال ما تقدم لمسنا الدور البارز الذي قام به المحتسب لحماية مصالح الناس وحرص الدولة على دفع وتجنب أي حالة قد تؤدي إلى الإضرار بالناس والمجتمع والتي قد يتولد من خلالها وقوع ضيق وشدة فكان المحتسب بحق المنظم للحياة الاقتصادية والذي لا يمكن الاستغناء عن دوره .

ومن الملاحظ أن تعدد العصور التي مرت على الأندلس واختلاف السلطة فيها خلال تلك الفترات لم يختلف معه الحديث عن صفات المحتسب ومهماته وعقوباته التي كان يوقعها على المفسدين من أصحاب السوق فكانت خطة الاحتساب كغيرها من الخطط المهمة ثابتة المعالم والأطر، سوى ما قام به الأمير عبد الرحمن الأوسط عندما ميز بين ولاية السوق عن أحكام الشرطة المسماة بولاية المدينة فأفردها وصير لواليها ثلاثين دينارا في الشهر ولوالي المدينة مائة دينار[2].

أما عن الشخصيات التي تولت هذا المنصب فهي عديدة أمتاز البعض منهم بالكفاءة والمقدرة الإدارية ، ولسنا هنا بصدد ذكر من تولى خطة الاحتساب بقدر ما يهمنا الدور الفاعل الذي قام به المحتسب خلال هذه المساحة الزمنية التي يغطيها البحث إذ أن كتب التراجم تزخر بالكثير منهم .

٢-إسقاط نسب الضرائب أو تقليصها :

تعد الضرائب موردا مهما لخزينة الدولة وأبرز العائدات التي تعتمد عليها لسد النفقات فضلاً عن واردات أخرى ، غير أنها شكلت في الوقت نفسه إرهاقاً

(١) الجرسيفي ، رسالة في الحسبة ، ص ١٢٥ -١٢٦ ؛ السامرائي ، تاريخ حضارة ، ص ٢٦٨ ؛ حماد ، معجم المصطلحات الاقتصادية ، ص ١٠١ .

(٢) ابن سعيد ، المغرب : ٤٦/١ ؛ عنان ، دولة الإسلام (عصر الإمارة) ، ص ٢٧١ .

شديداً لدافعها فكانت تؤثر في المستوى المعاشي للناس وترهق كاهلهم خاصة إذا ما كانت ذات نسب عالية ، وتزامن تحصيلها مع أزمة اقتصادية يمر بها البلد فتقتطع تلك الاموال من دخل الفرد المتواضع مما يسبب لهذه الفئة العوز والفاقة .

وتداركا لذلك لجأت الدولة في بعض الأحيان إلى التخفيف من هذه الضرائب سعيا منها لإرضاء رعيتها وامتصاص نقمتهم كما وقد تلجأ أيضا إلى تعديل أسلوب جباية الضرائب وهي بكل ذلك غايتها أن تأمن جانب العامة بكسب مودتهم والتقرب إليهم .

وابتداءً من عصر الولاة سعى حكام الأندلس على السير بهذا المنهاج فنجد الوالي يوسف الفهري آخر ولاة الأندلس قد طاف بأقاليم البلاد وقمع المظالم ما استطاع ومنها تعديل نظام الضرائب بإقصاء ثلث الدخل من كل ولاية وأمر بمراجعة السجلات القديمة واستبعاد الموتى منها إذ كانت الضرائب ما تزال تجبى طبقا لتلك السجلات القديمة فكان ذلك إرهاقاً للسكان لأن عددهم قد تناقص منذ الفتح فقرر يوسف أن تجبى الضرائب عن الأحياء فقط وإسقاطها عمن توفوا[1]. خاصة وقد علمنا كيف عانى الناس في فترة ولاية يوسف الفهري من المجاعة الشديدة منذ عام (١٣١ هـ / ٧٤٨ م) وحتى عام (١٣٦ هـ / ٧٥٣ م) .

كما تنبه الأمراء والخلفاء الأمويين إلى أهمية تخفيض أو تعديل نظام الجباية وما يتركه هذا الإجراء من وقع حسن في نفوس الرعية ، فعمد الأمير محمد بن عبد الرحمن إلى رفع ضريبة الحشود عن الرعية بالرغم مما كان يقتضيه الجهاد المتواصل من النفقات الضخمة واكتفى بدعوة القادرين على حمل السلاح إلى التطوع والجهاد في سبيل الله وشمل هذا الإجراء سائر أقاليم البلاد ، فأندفع الناس إلى تأييده و تعضيده[2].

(١) عنان ، دولة الإسلام (عصر الولاة) ، ص ١٣٠ .

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب: ٢/ ١٠٩ ؛ عنان ، دولة الإسلام (عصر الإمارة) ، ص ٣٠٧ .

ولم يقتصر إجراء الأمير محمد على ضريبة الحشود فحسب فعندما حلت المجاعة الشديدة فيما بين أعوام (٢٥١-٢٦٠ هـ/ ٨٦٥- ٨٧٣ م) ونتيجة لتذمر الرعية من شدة تحصيل ضريبة العشور خلال هذه السنوات وثقلها عليهم قام الأمير محمد بإسقاط قسم من هذه الضرائب حتى يتمكنوا من مواجهة أعباء تلك الأزمة الأمر الذي جعل الناس يعلنون بشكره والشعراء بمدحه فقال الشاعر عثمان بن المثنى* في ذلك :

غدا في أسارير الإمام محمد	أمام الهدى بدر وفي كفه بحرُ
تلافى رعاياه بإسقاط ثلث ما	عليهم بما استوفى . . قبله العشرُ
وأوسعهم عدلا ورفق سياسة	فطابت به عند الأحاديث والذكرُ(١).

أما الأمير المنذر بن محمد فقد سار على نهج والده فأمر بإسقاط ضريبة العشور عن اهل قرطبة وما استحق من خراج في العام الذي تولى فيه الحكم (٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م) تخفيفا عن الرعية فنال بذلك شكرهم وثناءهم (٢).

وفي عام (٣٢٩هـ/ ٩٤٠ م) اشتكى أهل مدينة طرطوشة (Tortosa) (*) إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر ثقل المغارم والضرائب عليهم بحكم موقعهم القريب من أرض العدو وما كانوا يقاسون من شدة هجماته عليهم وسألوا الناصر النظر في

(*) هو أبو عبد الملك عثمان بن المثنى القيسي القرطبي كان مؤدبا لأولاد الأمير عبد الرحمن ابن الحكم ولأولاد الأمير محمد فضلاً عن براعته في النحو والشعر توفي عام (٢٧٣ هـ/٨٨٦م)، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس: ١/ ٣٤٦؛ ابن الأبار، الحلة السيراء: ١/ ٤٨، هامش ٤.

(١) فروخ ، تاريخ الأدب : ٤ / ١٢٩ .

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢ / ١٢٠ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٢٥ ؛ مجهول ، ذكر بلاد الأندلس، ص ١٥٠ ؛ مجهول ، تاريخ الاندلس ، ص ١٩٥ .

(*) طرطوشة : مدينة أندلسية تبعد عن بلنسية نحو مائة وعشرين ميلا وهي بلد كبير تشتهر بإنشاء المراكب والعمائر كما ويؤمها التجار للسفر إلى الأمصار ، الحموي ، معجم البلدان : ٤ / ٣٠ ؛ الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٢٤ .

أمرهم فوافق الخليفة أن يسقط عنهم ما وجب من الزكوات والصدقات ليكون ذلك عونا لهم على مجابهتهم الممالك الإسبانية [1].

كما عرف عن الخليفة الحكم المستنصر كثرة إحسانه وطيب أفعاله التي تعم الرعية على السواء فقد أمر بإسقاط سدس مغرم الحشد (الواجب أداءه على سائر الرعايا لاجل اعداد الجند) وجعل هذا الأمر شائعا بين الناس في جميع أنحاء البلاد وكان ذلك عام (٣٦٤ هـ/ ٩١٤ م) [2].

وعند تولي الخليفة هشام المؤيد بالله سدة الحكم أشار اليه الحاجب محمد بن أبي عامر بإعفاء الناس من ضريبة زيت الزيتون التي كانت تجبى منهم في قرطبة وبالرغم من الغايات السياسية التي كانت تدفع ابن أبي عامر للقيام بذلك إلا أنه أراد كسب مودة الناس و محبتهم إذ كانت تلك الضريبة مستكرهة عندهم فكان سرورهم بإلغائها عظيما [3].

وعمد الحاجب المظفر عبد الملك بن محمد بن أبي عامر عند توليه الحجابة خلفا لوالده المنصور إلى إسقاط سدس الجباية عن الرعية في جميع كور الأندلس فأقبل على محبته وتأييده القاصي والداني [4].

وعند تولي بني حمود زمام السلطة بقرطبة أراد الأمير يحيى بن علي بن حمود (٤١٢ - ٤١٧ هـ / ١٠٢١ - ١٠٢٦ م) التقرب من الناس والتحبب إليهم فأعلن يوم أن تمت بيعته بإسقاط نصف الخراج عن أهل قرطبة [5].

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : شالميتا ، ص ٦٨ ؛ حتاملة ، موسوعة الديار : ٢ / ٦٥٨ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص ٢٠٧ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢ / ٢٤٩ ؛ محمد ماهر حمادة ، الوثائق السياسية و الإدارية في الاندلس وشمال افريقية ٦٤ -٨٩٧ هـ/ ٦٨٣ - ١٤٩٢ ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٠م) ، ص ٢١٠ .

(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢ / ٢٥٩ ؛ أبو ملوح ، الدولة العامرية ، ص ٤٥-٤٦ .

(٤) ابن بسام ، الذخيرة : ق ٤ مج ١ / ٧٨ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب : ٣ / ٣ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٨٩ .

(٥) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ٢٠٨ .

إن إسهامات الأمراء والخلفاء في التخفيف من الضرائب عن الناس للتخفيف عن كاهلهم عند ضيق العيش و لكسب جانبهم ومحبتهم لا نجد ما يشابهه في أحداث حصلت في عصر ملوك الطوائف إذ كان انشغال أولئك الحكام بالحروب فيما بينهم وسعيهم لجباية الأموال بأي طريقة ولأي سبب ، ومن ثم الارتماء هم وأموالهم في أحضان ملوك النصارى الأسبان فكانت رغبتهم في إرضاء الأسبان قد جعلتهم يسيرون في سياستهم مع رعيتهم في مسألة الضرائب على النقيض مما ذكر عن من سبقهم .

وفي العصر المرابطي كانت الدولة بحاجة ماسة إلى الأموال لتغطية نفقة الحرب المستمرة مع النصارى الأسبان فلا نجد أحد الأمراء المرابطين يأمر بإسقاط الضرائب عن الرعية أو التخفيف منها إذ أن الدولة بدأت تواجه أزمة مالية منذ عهد الأمير علي بن يوسف بن تاشفين لذا فرضوا الكثير من الضرائب وهذا ما يفسر قول ابن عذاري ((وقلت الجابي بهذه الفتن وكثرت اللوازم على الرعايا بالعدوتين))[1].

غير أننا لا نستبعد بعض المحاولات التي قام بها بعض القضاة للتخفيف من الضرائب على العامة فقد أقدم قاضي قرطبة ابن حمدين[*]على ((قطع الضرائب والمعاون على أهل قرطبة وسن كل طريقة جميلة وسيرة حسنة لأن ابن تاشفين كان لا يخالفه في شيء))[2].

كما أقدم القاضي عياض على إزالة المظالم والمغارم عندما جاز إلى الجزيرة الخضراء[3]، فكانت تلك بعضاً من المحاولات للتخفيف عن كاهل الناس شدة الضرائب .

---

(١) البيان المغرب ، العصر الموحدي ، ١٢ .

(*) ابن حمدين هو أبو عبد الله محمد بن علي كان ذا مكانه عاليه عند الناس والمرابطين ، جميل الطريقة ساعيا إلى كل خير تولى القضاء بقرطبة سنة (٤٩٠ هـ/ ١٠٩٦ م) وكانت وفاته سنة (٥٠٨ هـ/ ١١١٤ م) ، ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ١٤ ، هامش ١، ١٨ .

(٢) ابن القطان ، المصدر نفسه ، ص ١٨ ؛ ابو مصطفى ، تاريخ الأندلس الاقتصادي ، ص ٣٦٦ .

(٣) بوتشيش ، مباحث ، ص ٢٠٩ .

وفي العصر ألموحدي وعلى عهد أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن كان لإجراء الخليفة أثره في تحسين أحوال الرعية إذ ((حط البقايا . . . فزاد الانبساط والنشاط عند الناس بفضله وصفحه وعدله))[1]، فقد عرف عنه مع اتساع ملكه في العدوتين أن كانت تجبى أموال خراجه دون ظلم ولا جور[2].

وعمل الخليفة يعقوب بن يوسف في بداية حكمه على اكتساب محبة الرعية والتخفيف عن كاهلهم بإتباعه إجراءات عدة كان من بينها أن أمر بإسقاط المكوس التي لم يتم أداؤها فكان فضل أعماله عامة شاملة كل فئات المجتمع[3].

ثانيا : الإجراءات الاقتصادية :

١- التسعـــــير

تسعير الشيء في اللغة يعني أن يجعل للشيء سعراً معلوماً ينتهي إليه ، أي ثمن محدد لا يتجاوزه من السعر فهو ما تقف عليه السلع من الأثمان فلا يزداد عليه ، والتسعير اصطلاحا يراد به أن يقوم ولي الأمر أو صاحب السوق بتحديد أسعار الحاجيات سواء أكانت أعيانا أم منافع وإجبار أربابها على بيعها بالسعر المحدد[4].

أما عن إباحة التسعير فقد ورد عن السلف الصالح أن الرسول (ﷺ) سئل عن التسعير فقال: ((أن الله هو المسعر القابض الباسط الرزاق وأني لا أرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبني بمظلمة في دم ولا مال))[5].

---

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، العصر الموحدي ، ٧٣ .
(٢) ابن ابي دينار ، المؤنس ، ص ١١٨ .
(٣) أشباخ ، تاريخ الأندلس ، ص ٣٢٧ .
(٤) حماد ، معجم المصطلحات الاقتصادية ، ص ٩٧ ؛ النقيب ، تاريخ الأندلس ، ص ١٦١ .
(٥) أبو داؤد ، سنن أبي داؤد : ٣ / ٣٧٠ .

وبذلك يكون الغلاء والرخص من جملة الحوادث التي لا خالق لها إلا الله ولا يكون شيء منها إلا بمشيئته وقدرته لكنه جعل سبحانه بعض أفعال العباد سببا في بعض الحوادث[1].

فالأصل في منع التسعير هو عند غلاء السعر بصورة غير طبيعية وبتدخل من العوامل البشرية بتلاعب المستفيدين من حالة الغلاء من أجل تحقيق مصالح شخصية على حساب المصلحة العامة واللجوء إلى التسعير من الدولة في هذه الحالة يعد اجراءً علاجياً لتغليب المصلحة العامة[2]، ولاسيما الطبقات التي تعاني من الفقر فيقع على صاحب السوق مسؤولية مراقبة الأسعار وإلزام التجار بالسعر منعا للتلاعب وزيادته عن الحد الطبيعي للسلع[3].

إن أغلب الأسباب التي تقف وراء تقلب الأسعار بين الزيادة والنقصان هو حدوث المجاعات والقحط والحروب وغير ذلك فكانت مراقبة الدولة للأسعار عن طريق صاحب السوق (المحتسب) ومن ثم تدخلها في حالة زيادة الأسعار بوضع ضوابط تمنع تفاقم الغلاء ولاسيما السلع الغذائية الضرورية لمعايش الناس ، واستنادا الى ذلك أجاز ابن عبد الرؤوف ((بتسعير السوق إذا كان الإمام عدلا وكان ذلك نظرا وصلاحا للمسلمين ، يتقدم على ذلك قيمة عدل يقوم عليها التاجر ولا ينفر منها الجالب))[4].

وحدد السلع التي تسعر والتي لا تسعر حسب أهميتها وتأثير تسعيرها في جالبها وأهل السوق من التجار وعامة الناس فلم ((يجز لأحد التسعير في القمح والشعير وشبهه لأن ذلك إنما يبيعه جالبوه ولا يترك التجار يشترونه منهم ليبيعوه

---

(١) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، مج ٥ : ٨ / ٢٥٢ .
(٢) المختار ، الأزمات الاقتصادية ، ص ٢٤٣ – ٢٤٤ .
(٣) الدليمي ، تاريخ مدينة جيان ، ص ١٥٠ .
(٤) رسالة في الحسبة ، ص ٨٨ .

على أيديهم ، وإنما يجوز التسعير في مثل الزيت والعسل والسمن واللحم والبقل والفاكهة وشبه ذلك ، مما يشترونه أهل السوق من الجلاب للبيع على أيديهم))[1].

ولم تترك مسألة التسعير وفق اجتهاد المحتسب وتقديره الشخصي للسلعة فإذا ما أراد أن يسعر شيئا عليه أن يجمع وجوه أهل السوق ذلك الشيء فيسألهم كيف تشترون وكيف تبيعون وفي ضوء ذلك يحدد سعرا مع مراعاة أن يترك ربحاً معقولاً للبائع فلا يكون في ذلك السعر غبن على التاجر ولا إرهاق للمستهلك [2].

فإذا ما وجد التجار أن تسعير السلع قد أضر بمصالحهم فإنهم يعمدون إلى إقفال مخازنهم وإخفاء بضائعهم فترتفع الأسعار أكثر وبذلك يجبرون الدولة على التراجع عن قراراها[3].

وربما استطاعت الدولة أن تؤثر في الأسعار من خلال مراقبتها لكمية النقد المتداولة في السوق لأن ((السعر هو أول عنصر (في أي بيع) والأسعار موضوعة على أساس الذهب والفضة)) [4] ، فيكون ربط السعر بالكمية المسكوكة من العملة والمتداولة في السوق من الوسائل المتاحة للدولة للحد من غلاء الأسعار[5].

وقد أشار المقري إلى ما كان سائدا في أسواق الأندلس من أن معظم المبيعات كانت عليها ورقة بالسعر قال ((وكذلك اللحم تكون عليه ورقة بسعره ولا يجسر الجزار أن يبيع بأكثر أو دون ما حد له المحتسب (صاحب السوق) في الورقة . . . فإذا أوجد نقصا. . . فلا تسأل عما يلقى وإن كثر ذلك منه ولم يتب بعد الضرب والتجريس (الفضح والتشهير) في الأسواق نفي من البلد))[6].

---

(١) ابن عبد الرؤوف ، رسالة في الحسبة ، ص ٨٨ – ٨٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٨٩ ؛ النقيب ، تاريخ الأندلس ، ص ١٦١ – ١٦٢ ؛ ينظر :
Chalmeta , Elsenor del zoco , p.136

(٣) بوتشيش ، مباحث ، ص ٢١١ .

(٤) ابن الحكيم ، الدوحة المشتبكة ، ص ١٥٦ .

(٥) الدليمي ، تاريخ مدينة جيان ، ص ١٥١ .

(٦) نفح الطيب : ١ / ١٨٠ ؛ ينظر : النقيب ، تاريخ الأندلس ، ص ١٦١ .

وتجنبا لما قد يقوم به البائع من غش وتلاعب بعرض ورقة بالسعر المحدد من المحتسب والبيع بسعر أخر كان المحتسب يعمد إلى إرسال من يشتري من البائع ليختبر السعر والوزن[1].

ونتيجة لذلك نجد أن أبن حوقل (ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) الـذي زار الأنـدلس فـي القـرن ٤هـ / ١٠م ذكر أن أسعار معظم المبيعات كان يغلب عليها الرخصقال ((والرخص والسعة في جميع الأحوال . . . فينال ذلك أهل مهنهم وأرباب صنائعهم)) [2] ، واشار في موضوع أخر إلى أن ((أسعارهم فتضاهي النواحي الموصوفة بالرخص . . .)) [3].

ويبدو أن ندرة الأخبار عن أوضاع التسعير وإجبار التجار بالتزام سعر محدد في بلاد الأندلس عائد إلى ما عرف عن مدن وأقاليم البلاد من سعة ورخاء وكثرة الزرع والثمار وفقاً لما ورد في كتب الجغرافيين فلا تضطر الدولة تبعا لذلك الى اللجوء إلى التسعير لتوفر المؤن والأقوات في البلاد .

٢- إصــدار العملــة

عنيت الدولة العربية الإسلامية في الأندلس على اختلاف عصورها وتعدد دولها بالعملة النقدية المتداولة في البلاد وحرصت على مراقبتها من محاولات الغش والتزييف التي قد تتعرض لها كما عمدت إلى تخليص الاقتصاد الأندلسي من ارتباطه بالدول الأخرى من خلال ترك الاعتماد على عملاتهم بإصدار العملة الأندلسية وجعلها تحت رقابتهم المستمرة ومما لاشك فيه أن هذا الإجراء يقطع الطريق على كل من يحاول التلاعب بالنقود إذ بدون توحيد سك العملة ومراقبتها من الدولة تصبح إمكانية التلاعب والتزوير أسهل وأكثر حصولا ، إن إصدار النقود وتوحيدها وإحكام الدولة سيطرتها عليه لهو دليل على قوة الحاكم

(١) المقري ، نفح الطيب : ١ / ١٨٠ .
(٢) صورة الأرض ، ص ١٠٩ ؛ ينظر : النقيب ، تاريخ الأندلس ، ص ١٦٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٠٩ .

واستكمالا لمركزية الدولة وهيبتها وحلقة من حلقات معالجة الدولة لأزمة اقتصادية قد تقع نتيجة نقص العملة المتداولة في السوق أو انتشار النقود المزيفة .

وقد وصف ابن خلدون السكة بأنها النظر في النقود المتعامل بها بين الناس وحفظها مما يداخلها من الغش أو النقص إن كان يتعامل بها عددا أو ما يتعلق بذلك من التعاملات النقدية ثم في وضع علامة السلطان على تلك النقود [١].

ونظرا لأهمية العملة لم يتولى الإشراف على عملية السك والمسمى ناظر السكة إلا من عرف بالأمانة والدراية ومعرفته أوصاف المعادن وما يصلحها وما يفسدها وأسباب غشها وما يزيله[٢]، إذ بخبرة ناظر السكة يسهل اكتشاف أي خطأ قد يقع أثناء السك أو غش قد تتعرض له النقود بعد سكها .

ومن أجل كل ما تقدم نجد أن المسلمين اعتنوا بإصدار العملة النقدية الخاصة بهم منذ دخولهم الأندلس وابتداءً من عصر الولاة إذ كان الوالي موسى بن نصير أول من سك النقود الإسلامية في الأندلس[٣].

وعند دخول عبد الرحمن بن معاوية الملقب بالداخل إلى الأندلس وتأسيسه الدولة الأموية قام بإنشاء دار لسك النقود في قرطبة [٤]، بالرغم مما ذكر من عدم وجود دار ضرب في الأندلس منذ ان فتحها المسلمون إلى أن جاء الأمير عبد الرحمن الوسط إلى الحكم إذ كانوا يتعاملون قبل ذلك بعملة أهل المشرق التي تنقل إليهم [٥].

فقد أسس الأمير عبد الرحمن الأوسط دارا للسكة في قرطبة وذلك لمعالجة نقص النقود المتداولة في البلاد سعيا منه لتنشيط الحياة الاقتصادية فتضاعف عدد

---

(١) المقدمة : ١ / ٢٦١ .

(٢) ابن الحكيم ، الدوحة المشتبكة ، ص ١١٢-١١٤ .

(٣) الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ص٢٧٩ .

(٤) عنان ، دولة الاسلام (عصر الامارة) ، ص ١٩٨ ؛ الحجي ، التاريخ الاندلسي ، ص ٢٧٩ .

(٥) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، (ط٣ ، بغداد ، مكتبة الشرق الجديد ، ١٩٨٧م) ، ص ٥٢٢ ؛ مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ١٤١ .

النقود وبخاصة ذات القيم المتوسطة والدنيا ونتيجة لمتابعة الدولة وحرصها أخذت عملية السك تتحسن وتكون أكثر أتقانا ابتداءً من عام(٢٢٩ هـ/ ٨٤٠ م) [١].

كما شهد عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر تنظيم العملة واستقرارها فأمر عام (٣١٦هـ/ ٩٢٨م) باتخاذ دار جديدة للسك في قرطبة وأوصى القائمين على دار السكة بذل جهدهم في الاحتراس من المدلسين ، وعند انتقال الناصر للإقامة في مدينته الجديدة الزهراء قام بتعطيل دار السكة في قرطبة ونقله إلى الزهراء بالقرب من سكناه [٢] ، ويبدو أن إجراء الناصر هذا كان الهدف منه هو إبقاء السكة تحت رقابته ومتابعته .

أما في عصر ملوك الطوائف فقد كانت سياسة أولئك الحكام على النقيض من ذلك حيث أصبحت النقود تخلط بمعادن أخرى دون الذهب والفضة ، مما أدى إلى تخفيض قيمة العملة فضلا عن تسرب العملة الجيدة إلى الممالك الأسبانية بسبب الإتاوات الباهظة التي كانت تقدم من ملوك الطوائف لهم [٣] ، وبهذا كثرت أعمال الغش والتزييف في العملة فما كان حكام الأسبان يقبلون تلقي أي جزية تقدم من ملوك الطوائف إلا إذا كانت ذهباً خالصاً [٤].

أما في العصر المرابطي فقد تركزت دور سك العملة في المغرب الأقصى بوصفه مركز الدولة ومقر الحكم ولم يشرع المرابطون في سك أول عملة لهم في الأندلس إلا في عام (٤٨٦ هـ/ ١٠٩٣م) وفي قرطبة تحديدا ، ثم توالت دور السك في مدينة شاطبة وأشبيلية والمرية وغرناطة ومالقة وبلنسية ودانية (Denia) [٥].

---

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢/ ٩١ ؛ مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ١٤٠ – ١٤١ ؛ عنان ، دولة الإسلام (عصر الإمارة) ، ص ٢٧٥ -٢٧٦.

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : شالميتا ، ص ٢٤٣ .

(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٣ / ٢٢٩ ؛ ينظر : حسين ، دور العلماء ، ص ١٧٤ -١٧٥ .

(٤) ابن السماك ، الحلل الموشية ، ص ٤٢ .

(٥) أبو مصطفى ، تاريخ الأندلس الاقتصادي ، ص ٣١٤ .

وتعد النقود المرابطية الذهبية من أجود أنواع النقود التي عرفت في الأندلس حتى عصر المرابطين ولم تقتصر شهرتها على المغرب والأندلس فحسب بل راجت في العديد من البقاع [1] ، ويعود السبب في ذلك الى سيطرتهم على دولة غانة التي تعتبر مصدر للذهب الخام .

وبعد مجيء الموحدين وسيطرتهم على الأندلس وجعلها تابعة لمركز خلافتهم في المغرب الأقصى أدخلوا تغيرا على شكل العملة بأن جعلوها مركنة الشكل (أي مربعة) بخلاف ما كانت عليه العملات المضروبة قبل عصر الموحدين[2] .

ووعد الخليفة عبد المؤمن بإصدار العملات ذات القيم الصغيرة (أنصاف وأرباع الدراهم والدنانير) لتسهيل تعاملات الناس إذ كانت حوائجهم تتعذر لقلة الصرف وكان ذلك الإجراء بعد أن تقدم أهل المغرب بالشكوى إلى الخليفة والطلب منه إصدار القيم الصغيرة للعملة [3] .

وبوصف أن الدولة الموحدية شملت المغرب والأندلس فإن أي إجراء قد يتخذ في المغرب سينعكس وينفذ في الأندلس أيضا .

وقام الخليفة المنصور يعقوب بن يوسف بمضاعفة وزن الدينار الموحدي فترك هذا الإجراء المالي المهم أثره في دعم قيمة العملة فكان له انعكاس ايجابي في تحسين الحالة الاقتصادية في البلاد قاطبة [4] .

أما دور السكة في الأندلس على عصر الموحدين فكانت في مدينة مالقة ومرسية وقرطبة وميورقة [5] .

---

(١) الهرفي ، دولة المرابطين ، ص ٢٨٨ وما بعدها ؛ الزيات ، مظاهر اقتصادية ، ص ١٠٤ .

(٢) ابن الحكيم ، الدوحة المشتبكة ، ص ١١١ ؛ ابن خلدون ، المقدمة : ٢ / ٢٦٢ .

(٣) المراكشي ، المعجب ، ص ٢٧٥ -٢٧٦ .

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، العصر الموحدي، ١٥٤؛ أبو مصطفى، تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص٣١٩ .

(٥) أبو مصطفى ، المرجع نفسه ، ص ٣١٩ ، ٣٢١ .

وفي عصر مملكة غرناطة حرص سلاطينها على مراقبة العملة والمحافظة قدر الإمكان على ما عرفت به سكتهم من الجودة والتميز فكانت من ((فضة خالصة وذهب إبريز طيب محفوظ لا تفضل سكتهم سكة))[1].

لذا نجد أن السلطة في مملكة غرناطة أصدرت الأوامر بمنع تداول أنواع من العملة الرديئة التي بدأت تظهر في التعاملات النقدية بين الناس وكان سبب ظهورها هو قيام البعض بقرضها مما أنقص من قيمتها ووزنها الحقيقي فألغيت وألزم الناس بالوزن الرسمي الذي تضرب به النقود من الدولة[2].

وعند قيام مجموعة من مسيحي مملكة أرغون بضرب عملة مشابهة لعملة غرناطة ومحاولتهم التلاعب بها وغشها ثم المتاجرة بها مع المسلمين أكتشف أمر هذه النقود ومنع تداولها في أسواق المسلمين[3].

والجدير بالذكر أن عملة مملكة غرناطة احتفظت بالهيئة التي كانت عليها العملة الموحدية وهي المربعة (المركنة) الشكل[4].

٣- الإنفاق على المشاريـــع العامـــة :

أولى حكام الأندلس من ولاة وأمراء وخلفاء وسلاطين ممن تعاقبوا على حكمها عناية كبيرة بإقامة المنشآت المعمارية وحرص الحكام على ترك ما يمجد عهدهم وإن اختلف نوع ذلك الصرح الذي ترك من قبلهم بين ما هو ذا نفع عام وخاص ، فإنشاء الأمراء والخلفاء القصور والمنيات والمدن الملوكية لتكون مقر حكمهم ورمز سلطتهم ودليلا على رخاء وازدهار عهدهم ، أما المنشآت الأخرى ذات النفع العام فهي المدارس والمساجد والحمامات و الأسواق والفنادق والقناطر والجسور فضلاً عن بناء وترميم الأسوار حول المدن وإقامة الحصون والقلاع .

---

(١) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص ٤٠ ؛ ينظر: عنان ، دولة الإسلام (نهاية الاندلس) ، ص ٤٣٠.
(٢) الونشريسي ، المعيار المعرب :٦/ ٤٤١ - ٤٤٢ ؛ طه ، أهمية الكتب الفقهية ، ص ١٧٣ .
(٣) السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب ، ص ٤٧٤ .
(٤) ابن الخطيب ، الاحاطة : ١ / ٣٩ ؛ شبانة ، يوسف الأول ، ص ٢٠٢ .

وكان لكل من هذه المنشآت المعمارية طابعه الخاص في مجالات الحياة من ديني وتعليمي واجتماعي واقتصادي وعسكري وليس ما يعنينا هنا هو الحديث عن كل تلك الصروح المعمارية ذات النفع المتعدد إلا بقدر تعلق الأمر بدور الدولة في إنشاء أو ترميم المباني التي أسهمت في ازدهار وتطوير الحياة الاقتصادية من أجل منع حدوث أزمة اقتصادية أو التي تحفظ أرواح الناس من خطر وأذى قد يلحق بهم وفقا لما قد تعيننا عليه المصادر المتوافرة التي تتحدث عن ذلك .

وأول تلك الإسهامات نجدها في بداية الوجود الإسلامي في الأندلس المتمثلة بإعادة الوالي السمح بن مالك الخولاني (١٠٠-١٠٢ هـ / ٧١٩ - ٧٢١م) بناء قنطرة قرطبة سنة (١٠١هـ/ ٧٢٠م) بأمر من الخليفة عمر بن عبدالعزيز فوق نهر الوادي الكبير على أنقاض القنطرة الرومانية القديمة[١] .

فقد كتب الوالي الخولاني إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز يعلمه ((ان مدينة قرطبة تهدمت من ناحية غربها وكان لها جسر يعبر عليه نهرها ، ووصفه بخموله وامتناعه من الخوض الشتاء عامة ، فإن أمرني أمير المؤمنين ببنيان سور المدينة فعلت ، فأن قبلي قوة على ذلك من خراجها ، بعد عطايا الجند ونفقات الجهاد وأن أحب صرفت صخر ذلك السور فبنيت جسرهم))[٢] .

فبنيت القنطرة بأحجار السور المتخرب حتى أصبحت بحق إحدى مفاخر قرطبة ووسيلة الاتصال بين المدينة وبعض أرباضها مثل ربض شقندة[٣] .

يقول الإدريسي واصفا إياها ((ولقرطبة القنطرة التي علت القناطر فخرا في بنائها وإتقانها وعدد قسيها سبع عشر قوسا بين القوس والقوس خمسون شبرا (١٠ أمتار تقريبا) وسعة القوس مثل ذلك خمسون شبرا وسعة ظهرها المعبور عليه ثلاثون شبرا (نحو ٦ أمتار) ولها ستائر (أي جدران) من كل جهة تستر القامة

---

(١) مجهول ، ذكر فتح الأندلس ، ص ٢٤ .

(٢) مجهول ، اخبار مجموعة ، ص ٣٠-٣١ .

(٣) المقري ، نفح الطيب : ٢ / ٢٢ ؛ ينظر : حتاملة ، موسوعة الديار : ٢ / ١١٠٩ .

وارتفاع القنطرة من موضع المشي إلى وجهة الماء في أيام جفوف الماء وقلته ثلاثون ذراعا (نحو ١٥ مترا) وإذا كان السيل بلغ الماء منها إلى نحو حلوقها ...))[١].

إن إصلاح القناطر وملاحظتها باستمرار لهو دليل على حرص الدولة والمسئولين على صيانة ومتابعة البنيان خشية حدوث سيول و فيضانات قد تودي بأرواح العديد من الناس ومن ثم قد ينعكس هذا سلبا على اقتصاد البلاد فتحصل الأزمة ، ومن ذلك نجد أن قنطرة قرطبة قد تعرضت لإصلاحات عديدة فيما بعد بسبب فيضان النهر وشدة السيول وسيأتي ذكر تلك الإصلاحات في حينها حسب سياقها الزمني .

أما في عصر الإمارة الأموية وتحديدا في عهد مؤسس الدولة وأميرها الأول عبد الرحمن الداخل ونظرا للوضع السياسي القلق آنذاك فقد أمر الداخل بإصلاح الثغور وبناء الأسوار[٢]، حرصا منه على حماية أرواح الرعية من أي خطر قد يداهمهم سواء من النصارى أم من المتمردين عليه فضلاً عن حماية سلطته وتعزيز أركان دولته الفتية .

ولم يتهيأ للأمير الداخل أن يعيد ترميم القنطرة بعد تعرضها لسيل شديد في عام (١٦١هـ/ ٧٧٧م) فتولى الأمير هشام بن عبد الرحمن مهمة ترميمها وأنفق في إصلاحها أموالا عظيمة[٣]. حرصا على أرواح الرعية من شدة السيول والفيضان .

ويبدو أن أهمية الأسوار حول المدن لحماية أرواح الناس وممتلكاتهم قد دفعت الأمراء إلى بنائها أو ترميمها بين حين وآخر ففي عام (١٨٩هـ/ ٨٠٤ م) قام الأمير الحكم بن هشام ببناء سور حول قصبة مدينة قرطبة وحفر خندقاً وأصلح سور قرطبة واحتفر الخندق حوله[٤].

---

(١) نزهة المشتاق : ٢ / ٥٧٩ ؛ ينظر : سالم ، قرطبة : ١٩٨/١ .

(٢) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ١١٥ ؛ عنان ، دولة الاسلام (عصر الامارة)، ص ١٩٧ .

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/ ٦٨؛ ابن الخطيب، اعمال الأعلام ، ص١٢؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٢٠ .

(٤) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ١٣٢ .

اما الامير عبد الرحمن الاوسط فقد قام بترميم الرصيف وجعل السقايات فيه لتسهيل حركة الناس وتامين مياه الشرب لاهل البلد [١].

كما قام الأمير محمد بن عبد الرحمن ببناء سور حول مدينة قلعة رباح وبنى قصبتها وبنى سور مدينة طلبيرة (Talavera) [*] ليتمكن الناس من سكناها بأمان[٢].

وفي عصر الخلافة الأموية وعلى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله وقع حريق كبير عام (٣٢٤هـ/ ٩٣٦ م) في سوق قرطبة امتدت ألسنة اللهب لتحرق مسجد أبي هارون والعديد من الأسواق والمنازل فكان تأثيره سيئا لذا أمر الخليفة الناصر بعد انتهائه وانجلاء آثاره أن يعاد بناء المسجد وما تهدم واحترق من المنازل و الأسواق وسعى بنفسه وأمواله ليخفف عن الناس مصابهم [٣].

ولم يختلف عهد الخليفة الحكم المستنصر عن سابقه في حرصه على مساعدة الرعية والقيام بالإجراءات الكفيلة لضمان سلامتهم ففي عام (٣٥٤ هـ/ ٩٦٥ م) بعث الخليفة الحكم الثاني بالأموال إلى مناطق الأندلس من أجل إصلاح القناطر فابتدأ بإصلاح قنطرة سرقسطة [٤].

أما قنطرة قرطبة وهي أهم قناطر البلاد فقد أمر الخليفة بإعادة ترميمها والعمل على بناء سد محكم الصناعة على نهر قرطبة لصرف جريان الماء في اتجاه القنطرة فيتهيأ له أن يكشف عن الأرجل والدعائم التي أثر فيها الماء على مرور

---

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب :٢/ ٩١ .

(*) طلبيرة : من مدن الأندلس تقع في أقصى ثغور المسلمين وهي باب من الأبواب التي يدخل منها إلى أرض المشركين وهي مدينة كبيرة وقلعتها أرفع القلاع حصنا تقع على نهر تاجة ، الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٢٧ – ١٢٨ .

(٢) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ١٤٧ .

(٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : شالميتا ، ص ٣٨٣ ؛ عنان ، دولة الإسلام (عصر الخلافة) ، ص ٤٢٥ ؛ ألفلاحي ، التاريخ الأندلسي : ١ / ١٠٣ .

(٤) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ١٧١ ؛ مجهول ، تاريخ الاندلس ، ص ٢١٣ .

السنوات ، فتم ذلك وأصلحت أسس القنطرة وقويت دعائمها وشرع في ترميم القنطرة في (ذي القعدة سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م) إلى ان تم البناء في (٢٦ محرم سنة ٣٦١هـ/ ٩٧١ م) ، وكان الخليفة المستنصر يتولى الإشراف بنفسه على هذه الأعمال أو يطل على القائمين بها من أعلى باب السدة من قصر قرطبة ، كما أكد على الفعلة تعجيل العمل على إنهاء الترميم ((قبل هجوم الشتاء نظرا للناس واهتبالا بمصالحهم فيزكوا العمل وتبدو المعونة))[1].

كما قام الخليفة المستنصر في عام (٣٦١ هـ/ ٩٧١ م) بشراء الحوانيت التي تلاصق المحجة (الرصيف) من أصحابها والواقعة شمال الخندق في الربض الشرقي وأمر بهدمها وضمها إلى المحجة كي يتسع للناس عند الازدحام وتؤمن من مضرة ضيق المحجة بعد أن كان قد خرج مع خدمة وحشمة سالك تلك المحجة فاغتصت بأهل مركبة وعاين ((أنه لا يؤمن عند الازدحام فيها التردي في الخندق المصاقب لها)) فنفذ أمر الخليفة وعظمت به المنفعة[2].

وخلال عهد الحجابة العامرية ابتنى المنصور محمد بن أبي عامر قنطرة استجه على نهر شنيل وهو فرع من فروع نهر الوادي الكبير كلفته مبالغ كبيرة فضلاً عن قيامه بتجديد بناء قنطرة قرطبة وكان ذلك عام (٣٧٨هـ/ ٩٨٨م)[3] ، تحسبا من أي سيول جارفة قد تؤدي إلى إلحاق الأذى بأرواح الناس وممتلكاتهم .

وعند تسلط ملوك الطوائف على حكم البلاد سعى هؤلاء إلى زيادة أموالهم وثرواتهم بشتى الطرق وإنفاق تلك الاموال على رفاهيتهم وبناء القصور والمنتزهات والصرف على مجالس الطرب واللهو وشراء الجواري[4] فلم يكن لهم دور يذكر في إقامة المنشآت المعمارية ذات النفع العام .

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص ٥٨ ، ص ٦٤ -٦٥ ؛ ينظر : سالم ، قرطبة : ١/ ١٩٩ -٢٠٠ ؛ النقيب ، تاريخ الأندلس ، ص ١٧٨ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص ٦٧ .

(٣) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٧٦ ؛ سلمان ، الحياة الاجتماعية ، ص ١٠٧ .

(٤) السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب ، ص ٤٦٨ .

وعني المرابطون بالبناء والتعمير ومن ذلك حرصهم على إقامة الأسوار حول مدن الأندلس عقب غارة الفونسو المحارب سنة (٥١٩هـ/ ١١٢٥م) التي اخترق بها كل بلاد الأندلس حتى غرناطة، فبنيت أسوار مدينة غرناطة وأشبيلية وقرطبة والمرية [١] ، لتأمين سلامة العامة من الهجمات المباغتة للممالك الإسبانية ودرء أي ضرر قد تخلفه تلك الهجمات على أمن واقتصاد البلد .

وفي العصر الموحدي أولى خلفاؤهم عناية بالمشاريع المعمارية ذات النفع العام من ذلك قيامهم في عام (٥٦٤هـ / ١١٦٨ م) وعلى عهد الخليفة أبي يعقوب يوسف بحفر بئر كبير داخل قصبة مدينة بطليوس يسري إليها الماء من الوادي القريب وذلك تحوطا واستعدادا لما قد يقع من حصار أو غيره من الأسبان وعرفت هذه البئر عند الناس باسم القيوراجة (Coracha) وكانت من خير ما أنجز لتأمين القصبة وتحصينها [٢].

وعند مجيء الخليفة أبي يعقوب يوسف إلى مدينة أشبيلية عام (٥٦٦هـ/ ١١٧٠ م) صرف عناية خاصة لهذه المدينة باعتبارها مركز السلطة الموحدية في الاندلس ومن ذلك قيامه ببناء السور الذي كان قد تهدم من جهة الوادي الكبير بتأثير السيول و أنفق عليه من ماله الخاص، كما بنى جسرا على واديها لعبور الناس عليه وإجازة العساكر أيضا فشمل فضل عمله هذا الجميع، وابتنى الزلالق لأبواب أشبيلية من جهة الوادي إتقاءً من السيول التي قد تخلف أضرارا كبيرة فيما لو وقعت [٣] ، ولم يكتف بذلك إذ أمر أيضا بجلب الماء في سواقي إلى داخل المدينة لتأمين مياه الشرب لأهلها [٤].

---

(١) عنان ، دولة الإسلام (عصر المرابطين) ، ص ١١٥ ؛ سالم ، المغرب الكبير : ٢ / ٧٤٠-٧٤١ .

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ، العصر الموحدي ، ٨٣ ؛ عنان ، دولة الإسلام (عصر الموحدين) ، ص ٤١ ؛ الغناي ، سقوط دولة الموحدين ، ص ١٠٦ .

(٣) ابن عذاري ، المصدر نفسه ، العصر الموحدي ، ١٣٨ .

(٤) ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص ٤٦٨-٤٦٩ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، العصر الموحدي ، ١٣٨ .

كما عني سلاطين غرناطة بالعمائر والبنيان فامر السلطان محمد بن يوسف بن نصر بتوصيل الماء إلى غرناطة كما مد قنوات الري لإدامة الزراعة ، فضلاً عن مشاريع عمرانية أخرى [1].

وحرص السلطان أبو الحجاج يوسف الأول (٧٣٣-٧٥٥هـ/ ١٣٣٣-١٣٥٤م) على تحديد مبالغ تستغل لصالح المرافق العامة في الدولة كإصلاح الطرق والأنابيب وغيرها [2].

من كل ما تقدم ذكره نجد عناية السلطة بمصالح الناس وحرصها على المساهمة بشكل فاعل في المشاريع التي تعود بالنفع على الجميع والتي هي في الوقت نفسه دليل على ازدهار ذلك العصر وتخليدا لعهد الحاكم .

ثالثا : الاجراءات الاجتماعية :

١- صلاة الاستسقاء والدعاء لله تعالى:

من المتعارف عليه أن صلاة الاستسقاء أول سبيل يلجأ إليه الإنسان لمواجهة حالة القحط والجدب وانحباس الأمطار والتي لا سبيل لتدارك ذلك سوى اللجوء إلى الله تعالى بالصلاة والدعاء لنزول المطر فالاستسقاء هو طلب السقيا إي إنزال الغيث ولا يطلب الغيث إلا من المغيث سبحانه وتعالى الذي يقدر وحده على إنزاله [3]، قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [4].

---

(١) الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ص ٥٦١ ؛ الصلابي ، دولة الموحدين ، ص ١٧٣ .

(٢) شبانة ، يوسف الأول ، ص ١١٤ .

(٣) الشرباصي ، المعجم الاقتصادي الإسلامي ، ص ٢٦ ؛ محمد عزيزو المغربي ، اهمية صلاة الاستسقاء في الإسلام والاستغاثة المشروعة ، مجلة الجامعة الإسلامية ، ع ٤ ، (المدينة المنورة ، د.مط ، ١٩٧٤م) ، ص١٣٢ .

(٤) سورة الشورة ، اية : ٢٨ .

وقد ثبت عن رسول الله (ﷺ) القيام بصلاة الاستسقاء فهي من الصلوات العارضة التي تصلى في أوقات الجدب والقحط [(١)].

وهي كصلاة العيد بلا آذان ولا إقامة يخرج الإمام والناس وهم متذللون متواضعون إلى المصلى فيبدأ الإمام بالخطبة فيكثرون فيها من الاستغفار ويلوذون بالدعاء إلى الله عز وجل [(٢)].

ومن سمات هذه الصلاة أن الناس تقدم لإمامتها من عُرف عنه التقوى والورع و تتقرب إلى الله بدعاء هذا الشخص فالخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) كان إذ قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب (ﷺ) عم الرسول (ﷺ) [(٣)].

كذلك إتباع سنة رسول الله الأكرم بقلب الأردية والأثواب بجعل باطنها ظاهرها تذللا لله تعالى [(٤)].

كما أنها تقام في أغلب الأحيان في الهواء الطلق في مصليات خاصة يتفق عليها خارج المدن حيث يكون هناك فضاء يتسع لأعداد المصلين الكثيرة والتي لا يتسع لهم المسجد [(٥)].

كل تلك السمات نجد صداها في تاريخ الأندلس فيظهر مثلا مجاب الدعوة في مصادر السير والتاريخ عن فقيه أو شيخ كون دعوته مستجابة فيؤم المصلين في

---

(١) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٣٣ -١٣٤ ؛ محمد بن علي الشوكاني ، نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار ، تحقيق ، أحمد محمد السيد وآخرون ، (ط٣ ، بيروت ، دار الكلم الطيب ، ٢٠٠٥ م) : ٢ / ٦٤٩ وما بعدها.

(٢) أبو محمد علي بن أحمد بن حزم ، المحلى في شرح المجلى ، تحقيق : مكتب التحقيق بدار أحياء التراث العربي ، (بيروت ، دار أحياء التراث العربي ، ١٩٩٧م) : ٥ / ٦٦ .

(٣) البخاري ، صحيح البخاري ، ص ٢٢٣ .

(٤) البخاري ، صحيح البخاري ، ص ٢٢٣ ؛ أبن حزم ، المحلى : ٥ / ٦٦ .

(٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق : مكي، ص ٢٩٤ ، تعليق المحقق رقم ١٧٤ ؛ سالم ، قرطبة : ١ / ٢٠٧ .

صلاة الاستسقاء ويتضرعون إلى الله فيسقيهم بدعوة ذلك الرجل الصالح(١). مثل الفقيه أبي العجنس الزاهد من كورة استجه فقد ((عرض للناس قحط في بعض السنين فخرج إليه عامل استجه والناس معه فبرز بهم... واستقى بهم: فسقوا))(٢).

أما القاضي الفقيه عنترة بن فلاح لم يكتف بالصلاة والدعاء إلى الله تعالى أن ينزل الغيث على عباده فحسب بل قام بالتصدق بجميع ما عنده من طعام كان قد أدخره فأغيث الناس غيثا عاما بفضل الله وإحسان القاضي(٣).

وكان للفقيه زياد بن عبد الرحمن بن زهير اللخمي (ت عام ١٩٩ هـ / ٨١٤ م وقيل ١٩٤ هـ / ٨٠٩ م) الفضل أن أدخل إلى الأندلس سنة تحويل الاردية في صلاة الاستسقاء إذ لم تكن معروفة عند فقهاء الأندلس من قبل (٤).

أما عن أماكن إقامة هذه الصلاة في بلاد الأندلس فقد كان لمدينة قرطبة حاضرة الأمويين مصليا المصارة والربض حيث تقام فيهما صلاة الاستسقاء ، يقع مصلى المصارة (ALmusara) (*) على الضفة اليمنى لنهر الوادي الكبير ويسمى أيضا بالمصلى العتيق لقيام مصلى الربض فيما بعد، وقد عني الأمير عبد الرحمن بن محمد بهذا المصلى فأقام له محرابا عام (٣٠٦ هـ / ٩١٨م) إذ لم يكن في مصلى المصارة على طول عهد أمراء الأمويين بناءً مشيدا ولا محرابا ثابتا(٥).

أما مصلى الربض فكان يقع على الجهة اليسرى لمدينة قرطبة يتصل بالمدينة عن طريق القنطرة ، فبعد أن أخمد الأمير الحكم بن هشام ثورة الربضيين وحرث

---

(١) مانويلا مارين ، ممارسات المسلمين الدينية ، كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، تحرير : سلمى الخضراء الجيوسي، (ط٢، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩م) : ٢ / ١٢٣٢.
(٢) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس : ١ / ٣٠٨ .
(٣) الخشني ، قضاة قرطبة ، ص ١٢ ؛ النباهي ، المرقبة العليا ، ص ٥٨ .
(٤) الخشني ، المصدر نفسه ، ص ٢٧ ؛ عياض ، ترتيب المدارك : ١/ ٤٩٠ – ٤٩١ .
(*) يقصد بالمصارة : الفضاء الفسيح الواقع خارج المدينة ولم تكن مدينة أندلسية تخلو من مصارة وهو لفظ اختصت به الأندلس، ابن حيان ، المقتبس، تحقيق : مكي ، ص ٢٩٤ ، تعليق المحقق رقم ١٧٤ .
(٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: مكي ، ص ٢٩٤ ، تعليق المحقق رقم ١٧٤ ؛ سالم ، قرطبة : ١ / ٢٠٧ .

أرضهم وهدم دورهم تحول ربض شقندة إلى مقبرة وبجوار هذه المقبرة أقيم المصلى غير أن الوصول إليه يقتضي عبور القنطرة بعكس مصلى المصارة الذي كان أقرب إلى المدينة وأكثر اتصالا بها فقد كان يخشى من ازدحام الناس على القنطرة أثناء العبور وخطر غرق أعداد منهم [١].

فضلا عن تلك الأماكن المخصصة لإقامة صلاة الاستسقاء نجد أن الناس تعتقد ببركة بعض المناطق دون غيرها فأهل الجزيرة الخضراء كانوا يقيمون صلاة الاستسقاء في مسجد إلى الشرق من المدينة يتباركون به بوصفه من بناء أحد التابعين (وهو مسجد الرايات الذي بناه موسى بن نصير عند عبوره إلى الأندلس سنة ٩٣هـ/ ٧١٢ م) ((فإذا أقحط أهل الجزيرة الخضراء استسقوا فيه فسقوا بفضل الله ورحمته)) [٢].

لقد تعرضت بلاد الأندلس كما ذكرنا سابقا إلى العديد من حالات القحط والجفاف ولم يكن من سبيل لدرئها ومنع حدوثها سوى اللجوء إلى الله تعالى والدعاء إليه بإنزال الغيث وتفريج الكرب ان حصل القحط في البلاد .

ولعل أبرز تلك السنين هي تلك التي مرت على الأندلس في عصر الولاة فيما بين (١٣١هـ / ٧٤٨ م – ١٣٦ هـ / ٧٥٣ م) وعلى الرغم من استمرار القحط كل هذه السنين وما عاناه الناس خلالها إلا أنه لم تصلنا أخبار تفيد بقيام صلاة الاستسقاء للتخفيف من تلك الأزمة وعلى ما يبدو أن انشغال العرب والبربر (القبائل المغربية) بالحروب فيما بينهم وانتشار الفوضى في أرجاء البلاد وتشتت الولاءات منعت تلك الظروف من أداء تلك الصلاة .

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : مكي ، ص ٢٩٤ -٢٩٥ ، تعليق المحقق رقم ١٧٤ ؛ ينظر : سالم ، قرطبة : ٢٠٧/١ .

(٢) الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٧٥ ؛ مؤلف مجهول ، الرسالة الشريفية إلى الأقطار الأندلسية ، ضمن كتاب ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق : عبد الله أنيس الطباع ، (بيروت ، دار النشر للجامعيين ، ١٩٥٨م)، ص ٢٠٤ ؛ ينظر : الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ص ١٤٦ .

ويذكر صاحب كتاب ذكر بلاد الأندلس نقلا عن ابن حيان في ذكر صفات ومناقب الأمير عبد الرحمن الداخل أنه كان ((يصلي بالناس في الجمع والأعياد ويخطب في الاستسقاء ويبكي ويتضرع)) [١] ، دون أن يقدم أي تفاصيل عن تلك الصلاة التي أمها الداخل ولا السنة التي قام بها.

وفي عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط وردت أسماء العديد ممن تولوا القيام بصلاة الاستسقاء في سنين الجدب وشاء الله تعالى أن يستجيب لصلاتهم ودعائهم فينزل رحمته على الناس ، فقد تولى القاضي أبو النجيع مسرور بن محمد (ت ٢٣٨ هـ / ٨٥٣ م) إمامة الصلاة وألح في الدعاء والاستغاثة فضج الحاضرون بالبكاء ((فلم ينصرفوا إلا وأحذيتهم في أيديهم من كثرة المطر)) [٢].

كما صلى بالناس صاحب الصلاة الفقيه عبد الملك بن حبيب (ت ٢٣٨ هـ / ٨٥٣ م) في مصلى الربض مع ما رافق الخروج لهذا المصلى لأداء الصلاة من تزاحم الناس على القنطرة حتى سقط عدد من المصلين في النهر فماتوا غرقا لذا طلب هذا الفقيه من الأمير الأوسط أن تكون الصلاة في مصلى المصارة الذي هو أقرب وأكثر اتصالا بالمدينة من مصلى الربض فوافق الأمير على إقامة الاستسقاء في مصلى المصارة رفقا بالناس و حرصا على سلامتهم[٣].

أما القاضي أبو عثمان سعيد بن سليمان الذي تولى القضاء مرتين في أيام حكم الأمير عبد الرحمن بن الحكم فقد ((خرج إلى الاستسقاء فلما بدأ خنقته العبرة فلم يكمل الاستسقاء وصلى وأنصرف فسقي الناس في ذلك النهار)) [٤].

وفي عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن تولى قاضي الجماعة أبو القاسم أحمد بن زياد (توفي في مصر عام ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م) إمامة صلاة الاستسقاء فلم ينصرف من صلاته إلا وقد جادت السماء بقطرها [٥].

---

(١) مجهول ، ص ١١٠ .

(٢) ابن سعيد ، المغرب : ١ / ١٤٦ – ١٤٧ .

(٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : مكي ، ص ١٨٣ – ١٨٤ .

(٤) ابن سعيد ، المغرب : ١ / ١٤٧ ؛ النباهي ، المرقبة العليا ، ص ٦٩ –٧٠ .

(٥) ابن سعيد ، المصدر نفسه : ١ / ١٥١ .

وفي عهد الأمير المنذر بن محمد وعلى قصر فترة حكمه قحطت الأندلس سنة ٢٧٤هـ/ ٨٨٧م فخرج الناس لصلاة الاستسقاء فلم تجد السماء إلا بثلج كثير، ولم ينزل غيث ثم استسقوا مرارا فلم يمطروا فخامر الناس القنط وما هي إلا أيام حتى نزل المطر فسقي الناس(١)، ويبدو أن هطول المطر سبقته صلاة استسقاء قام بها الفقيه أحمد بن محمد بن زياد اللخمي (ت٣١٢ هـ / ٩٢٤ م) و بتكليف من الأمير المنذر(٢).

فقال الشاعر ألعكي(*) فرحا بالمطر وشكرا لله على رحمته

نــزل الحيــا المحــي وطابــت أنفــس	قــد كــان ســوء الظــن فيهــا يهجــس
أحيــا الإلــه عبــاده ، عــن بعدمــا	كانــت مــن القــنط النفــوس توســوس
متلافيــا فيـــه بعائــــد رحمــــة	لــــولا عــــوائدها طوتنــــا إلا بــــؤس
مــــلك المــــلوك تقدســــت أسمــــاؤه	الحسنــــى وعــــز جلالــــه المتقــــدس(٣).

وفي سنة (٢٨٥ هـ/ ٨٩٨ م) وعلى عهد الأمير عبد الله بن محمد اجتاحت البلاد المجاعة الشديدة نتيجة لقلة الأمطار ، وانقطاعها عن الهطول فخرج الفقيه أحمد بن عبد الله بن خالد بالناس إلى صلاة الاستسقاء وصلى بهم لعدة مرات طلبا للغيث والرحمة(٤).

كـما عانى النـاس في بداية عـهد الأمـير عبـد الرحمن بن محـمد في عـام (٣٠٢ هـ/ ٩١٤م) جراء القحط وانحباس الامطار والتي أدت فيما بعد إلى وقـوع المجاعة وغلاء الأسعار لذا خـرج إلى مصلى الربض صاحـب الصلاة محـمد بن عـمر بن لبـابة (ت٣٣٠ هـ/ ٩٤١ م) واستسقى بالناس خمس مرات في أيام مختلفة

(١) ابن عذاري ،البيان المغرب : ٢ / ١١٩ ؛ سلمان ، الحياة الاجتماعية ، ص ٩١ .
(٢) الخشني ، قضاة قرطبة ، ص ١٠١ ؛ عياض ، ترتيب المدارك : ١ / ٢٥٠ -٢٥١ .
(*) لم نعثر له على ترجمة .
(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢ / ١١٩ ؛ الأوسي ، فصول في الأدب الأندلسي ، ص ٥٤ .
(٤) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس : ١ / ٢٤ -٢٥ .

فما أذن الله تعالى للغيث بالنزول فلم يسقوا[1]، فأمر الأمير عبد الرحمن الفقيه أحمد بن محمد بن زياد اللخمي بالخروج وإمامة الناس لصلاة الاستسقاء فنزل رذاذ بسيط لم يكن له تاثير كبير فكانت سنة جدب تمادت إلى العام التالي حتى أذن الله بالفرج [2].

ويشير أبن حيان في حوادث عام (٣١٤ هـ / ٩٢٦ م) إلى وقوع المحل الشديد وغلاء الأسعار فبرز أحمد بن بقي بن مخلد (ت ٣٢٤ هـ / ٩٣٥ م) صاحب الصلاة يومئذ لإمامة الناس صلاة الاستسقاء بأمر من الأمير عبد الرحمن وأرسل إلى الكور والمدن بأمر إقامة صلاة الاستسقاء أيضا فتمت الصلاة لمرات عدة حتى منّ الله تعالى على عباده بالسقايا [3].

وبعد عام من إعلان الخلافة الأموية (٣١٧ هـ/ ٩٢٩ م) في الأندلس امتنع المطر واشتد الجدب والمحل وكان لشدته أن أمر الخليفة الناصر لدين الله بالاستسقاء في المسجد الجامع بقرطبة فضلاً عن مصليا المصارة والربض ولعدة أيام [4] ، كما ارسل إلى عماله على الكور والأقاليم يحثهم على أداء صلاة الاستسقاء في مناطقهم[5]، والسماء في كل ذلك ممسكة لما قدر الله تعالى[6].

وفي عام (٣٣٠هـ/ ٩٤١ م) عاد المحل من جديد فجدب الزمان وتعطل الحرث والزرع فوجب الاستسقاء فبرز قاضي الجماعة وصاحب الصلاة في الحاضرة قرطبة محمد بن عبد الله بن أبي عيسى إلى صلاة الاستسقاء كما خرج الناس إلى الاستسقاء في مصلى الربض وبعد تكرار الصلاة أكثر من مرة استجاب

---

(١) ابن حيان ،المقتبس ، تحقيق : شالميتا ، ص ١٠٣ ؛ سالم ، قرطبة : ١ / ٢٠٧ .

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب :٢ / ١٦٦ ؛ عنان ، دولة الإسلام (عصر الخلافة) ، ص ٣٧٨ ؛ النقيب ، الأزمات الاقتصادية ، ص ١٣ – ١٤ .

(٣) المقتبس ، تحقيق : شالميتا ، ص ٢٠٥ ، ص ٢٠٨ ؛ ينظر : ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢ / ١٩٢

(٤) ابن حيان ، المصدر نفسه ، ص ٢٥٠ – ٢٥١ ؛ ابن عذاري ، المصدر نفسه : ٢ / ١٩٩ .

(٥) حمادة ، الوثائق ، ص ١٦٢ .

(٦) ابن حيان ، المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٢٥٢؛ عنان، دولة الإسلام (عصر الخلافة) ، ص ٤٢٣ .

الله لعباده بأن نزل الغيث فشرعوا بالحرث والزرع ورويت الأراضي والمزارع [١]، وقد وافق ذلك اليوم تولي عيسى بن فطيس منصب الوزارة بعد أن شارك العامة في أداء صلاة الاستسقاء والدعاء إلى الله تعالى طلبا للغيث[٢].

كما شهدت البلاد حدوث القحط في آخر عهد الخليفة الناصر لدين الله فتهيأ القاضي المنذر بن سعيد البلوطي (ت ٣٥٥ هـ / ٩٦٥ م) للخروج إلى الاستسقاء والذي أحسن الاستسقاء والدعاء حتى أبكى الحاضرين في مصلى الربض[٣]، بمن فيهم الخليفة الناصر الذي لبس أخشن الثياب وافترش التراب ودعا الله أن لا ينزل عذابه على الرعية بذنبه[٤] ، فاستبشر القاضي البلوطي بما سمعه عن الخليفة ولم ينصرف الجمع حتى أرسل الله السماء بماء منهمر روى الأرض والثرى[٥].

وعلى عهد الخليفة الحكم الثاني المستنصر بالله وفي عام (٣٦٢ هـ/ ٩٧٢ م) أنحبس المطر فخيف على الزرع والثمر فبرز القاضي محمد بن إسحاق لصلاة الاستسقاء في جامع قرطبة في حين خرج قاضي قبرة (Cabra) محمد بن يوسف للصلاة بجامع الزهراء ، وعلى الرغم من دعائهم وصلاتهم إلا أن المطر لم ينزل بل سقط ثلج أساء التأثير وأتلف الزرع فأعاد الخطيبان المذكوران الاستسقاء بالجامعين فلم تجد السماء بالسقيا حتى شاء الله تعالى بنزول الغيث واستنقاذ الزرع بعد ذلك[٦].

---

(١) ابن حيان ، المصدر نفسه ، ص ٤٧٦ – ٤٧٨ ؛ عنان ، المرجع نفسه ، ص ٤٢٤ .
(٢) أبو عبد الله محمد المعروف بابن الأبار ، أعتاب الكتاب ، تحقيق : صالح الأشتر ، (دمشق ، المطبعة الهاشمية ، ١٩٦١ م) ، ص ١٩٠ .
(٣) الذهبي ، سير اعلام النبلاء : ١٥ / ٥٦٣ و ١٦ / ١٧٦ .
(٤) ينظر النباهي ، المرقبة العليا ، ص ٨٥ – ٨٦ ؛ المقري ، أزهار الرياض :٢ / ٢٧٩ – ٢٨٠ .
(٥) ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص ٣٠٤ .
(٦) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص ١٠١ ؛ النقيب ، الأزمات الاقتصادية ، ص ١٤ .

وبالنظر لأهمية المطر لحياة الناس والتأثير السيئ لانحباسها وانقطاعها كانت العامة تعلق آمالها الكبيرة على صلاة الاستسقاء بكونها الوسيلة لإنزال المطر وتستبشر بالفقيه أو القاضي الذي يؤم الصلاة وتقبل دعوته فيرتفع مقامه بين الناس وعلى العكس من ذلك فقد يتعرض الفقيه إلى الامتهان والأذى إن صادف ولم ينزل المطر بعد صلاته ودعائه كما حصل مع القاضي ابن أبي زرب (ت ٣٨١ هـ / ٩٩١ م) عندما خرج لصلاة الاستسقاء في عهد الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر عشر مرات دونما نتيجة فلهجت العامة بذم القاضي واستبطاء الرحمة بوسيلته ودعوته وبلغ بهم الأمر أن هاجوا عليه واجتمعوا إليه وهموا بضربه فلاذ منهم بمقبرة الربض إلى أن أرسل إلى صاحب المدينة (صاحب الشرطة) يستغيثه فأرسل له الحرس ليخلصوه من أذى العامة فكانت محنة هذا القاضي شديدة لم يتعرض لمثلها قاضي من قبل[1].

غير أن ما جرى للقاضي ابن أبي زرب قليلا ما قد يحصل لا بل أن العديد من الناس تتبارك بدعوة أحد الصالحين في طلب السقيا حتى أنه لم يؤد صلاة الاستسقاء فعندما سئل الفقيه ملوك البجاني (ت في حدود ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م) بالدعاء لله لإزالة الغمة والقحط عن الناس دعا الفقيه ربه فمطروا [2].

وكذا الحال مع الفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد بن منظور (ت ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م) عندما أقحطت مدينته أشبيلية في إحدى السنوات توجه إلى الله تعالى بالدعاء والضراعة ليغيثهم فما أنقضى النهار حتى سقاهم الله تعالى[3].

وفي عام (٥٢٤ هـ/١١٢٩ م) حل القحط بمدينة غرناطة فصلى القاضي عبد المنعم ابن مروان بن عبد الملك سمجون الطنجي (ت في حدود ٥٢٤ هـ / ١١٢٩ م) بالناس صلاة الاستسقاء فسقوا في ذلك اليوم بفضل الله ورحمته[4].

---

(١) النباهي ، المرقبة العليا ، ص ٩٣ – ٩٤ ؛ سلمان ، الحياة الاجتماعية ، ص ٩٢ .

(٢) ابن بشكوال ، الصلة : ٢ / ٦٢٥ .

(٣) ابن بشكوال ، الصلة : ٢ / ٥٤٨ – ٥٤٩ .

(٤) ابن الزبير ، صلة الصلة ، ص ٢٣ – ٢٤ .

ويشير ابن الخطيب إلى وقوع القحط في عام (٦٣١ هـ/ ١٢٣٣ م) فأقيمت صلاة الاستسقاء بمصلى غرناطة ، وكان ممن حضر تلك الصلاة أمير المسلمين المتوكل ابن هود وما أن أتمت الصلاة حتى جادت السماء بالمطر(١).

وفي عام (٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ م) عانت مدينة المرية من قحط شديد منع البذار والزرع ، وما أن حل القاضي محمد بن محمد بن إبراهيم بن عياش الملقب بأبي البركات البلفيقي (ت ٧٧٣ هـ / ١٣٧١ م) في المدينة لتولي القضاء فيها حتى خرج للاستسقاء فكانت مشيئة الرحمن نزول المطر بدعوة هذا القاضي بعد إتمام الصلاة والتضرع إلى الله تعالى(٢).

٢- التبرعات الشخصية والصدقات الطوعية :

عرف المجتمع الإسلامي الصدقات الطوعية والتبرعات المالية و العينية والتي كان لها دورها البارز في أوقات الأزمات التي يعاني منها الناس لسد حاجات الفقراء وللتخفيف من معاناتهم على اختلاف أشكال تلك الصدقات ، وكان الخلفاء و الأمراء والميسورون من الناس والراغبون بالتقرب إلى الله تعالى عن طريق التصدق على المحتاجين يقدمون تلك الصدقات والتبرعات في أوقات الشدة والرخاء أيضا في محاولة منهم لمعالجة الأزمة وآثارها في المجتمع باختلاف المسبب لها فضلا عن بذل وإعطاء الأموال في غير أوقات الشدة وتوزيعها على ذوي الخصاصة حتى أصبحت عادة لازمت بعضهم كلما أتيح لهم ماديا تفريق المساعدات على مستحقيها .

وأصبحت الشدة والحاجة لدى الناس ولاسيما في أوقات المجاعات والأزمات دافع لتجاوز الخلافات السياسية والعرقية ، فحينما وقعت المجاعة الشديدة في الأندلس عام (١٣١ هـ / ٧٤٩ م) واستمرت إلى عام (١٣٦ هـ / ٧٥٥ م) قام الصميل بن حاتم والي مدينة سرقسطة ببذل الأموال في سبيل إغاثة

---

(١) الإحاطة : ٢ / ٧٦ ؛ ينظر : اعمال الأعلام ، ص ٢٨٠ .
(٢) ابن الخطيب ، الإحاطة : ٢ / ٨٣ – ٨٥ .

الجائعين فلم يفرق بين قيسي ويمني عند توزيع الطعام والأموال بالرغم من كل ما سبق تلك السنوات من حروب دامية بين الطرفين فأثار منظر البؤس والآلام شفقة الوالي فأذاب الجوع والعازة في الناس الفوارق العرقية وشغل الوالي بتوفير المستطاع من الغذاء وفتح خزائنه ومضى يعطي كل من وفد إليه انتجاعا للخير في تلك السنوات الصعبة ((فلم يأته صديق أو عدو فحرمه)) [1].

وبعد تولي الأمويين سلطة البلاد اشتهر العديد من أمرائهم بالعطاء والكرم ، فالأمير هشام بن عبد الرحمن كان ((حسن السيرة متحريا للعدل يعود المرضى ويتصدق بالصدقات الكثيرة وربما كان يخرج في الليالي المظلمة الشديدة المطر ومعه صرر الدراهم يتحرى بها المساتير وذوي البيوتات من الضعفاء)) [2].

وفي عام (١٩٧ هـ / ٨١٢ م) أصاب البلاد قحط شديد عانى الناس من ضرر الشحة واشتكى الجميع من البؤس والحرمان فبادر الأمير الحكم بن هشام إلى إغاثتهم ومعاونة المعوزين منهم ففرقت الصدقات الواسعة والأموال الكثيرة على الضعفاء والمساكين وأبناء السبيل فقال الشاعر عباس الجزيري* في الأمير يمدحه :

نكـــد الزمـــان فـــآمنت أيامـــه	مـــن أن يكـــون بعصـــره عُســـرُ
ظلـــع الزمـــان بأزمـــة فجـــلا لـــه	تـــلك الكريهـــة جـــوده الغَمـــرُ [3].

أما الأمير عبد الرحمن الأوسط فقد قام بإطعام الضعفاء والمساكين والمحتاجين من أهل قرطبة بهدف التخفيف من معاناتهم بعد أن أثقلت كاهلهم المجاعة الواقعة في عام (٢٠٧ هـ/ ٨٢٢م) [4].

---

(١) مجهول، أخبار مجموعة، ص ٦٣؛ مؤنس، فجر الأندلس،ص ٢٣٥؛بيضون، الدولة العربية، ص١٣٦

(٢) المراكشي ، المعجب ، ص ٤٣ ؛ مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ١٢٠ .

(*) عباس بن ناصح الجزيري من أهل الجزيرة الخضراء نشأ بمصر ثم عاد إلى الأندلس اشتهر بالأدب واللغة وله حظ في الفقه والرواية ولي قضاء شذونه توفي بعد عام (٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م) ، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس: ١/ ٣٤٠؛ الأوسي، فصول في الأدب الأندلسي، ص ١١٢ –١١٣.

(٣) المقري ، نفح الطيب : ١ / ٢٦٨ ؛ مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ١٣١ ؛ عنان ، دولة الإسلام (عصر الإمارة) ، ص ٢٣٩ .

(٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : مكي ، ص ٢٢٥ ؛ مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ١٣٩ .

كما كان الأمير عبد الله جوادا محبا للخير كثير البر بالفقراء وذوي الحاجات فكان يخصص جزءا من مال الجبايات يأمر بإخراجه وتفريقه على كل صنف من الضعفاء والمساكين[1] ، ومما لا شك فيه أن هذا المال كان يوزع في أوقات الرخاء والشدة فكان معينا لذوي الحاجة في الأزمات .

أما الأمير الأندلسي وخليفتها فيما بعد عبد الرحمن بن محمد فلم يدخر وسعا لإغاثة رعيته ومد يد العون لهم في أوقات الأزمات خاصة واتخاذه تدابير احترازية لمواجهة أي طارئ قد يحدث ، ومن ذلك أمر بإنشاء مائة و عشرين دارا ومخازن للزيت والسمن فضلا عن أمره بخزن تلك المؤن والأقوات لأوقات الحاجة عندما تحل أزمة اقتصادية في البلاد[2] .

ومن حسن تدابيره أيضا ما ذكره المؤرخون من قيامه بتقسيم واردات البلاد وجباياتها إلى ثلاثة أقسام : قسم للجند ، وقسم للبناء ، وقسم يدخر للنوائب يلجأ إليه عند حدوث الأزمات فيوزع على محتاجيهم وفقراءهم[3] .

ومصداقا لذلك كان للأمير عبد الرحمن دور في تخفيف وطأة الأزمة التي أصابت البلاد عام (٣٠٢ -٣٠٣ هـ/ ٩١٤ -٩١٥ م) نتيجة انحباس المطر فبذل الأموال ووزع المؤن على المساكين وأهل الفاقة والمتعففين من الناس وتأسى به كبار رجال دولته مثل حاجبه بدر بن أحمد فضلاً عن صدقات أهل الحسبة والميسورين من الناس فكان لجهودهم أثر كبير في تخفيف آثار هذه المحنة[4] .

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : انطونيا ، ص ٣٣ – ٣٤ ؛ عنان ، دولة الإسلام (عصر الإمارة) ، ص ٣٤٢ .

(٢) سالم ، قرطبة : ١ / ٢٣٩ .

(٣) ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص ٣٠١ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢/ ٢٣١ ؛ ابن الخطيب ، اعمال الأعلام ، ص ٣٨ ؛ المقري ، أزهار الرياض : ٢ / ٢٧١ .

(٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : شالميتا ، ص ١٠٩ – ١١٠ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢ / ١٦٧ ؛ مؤنس ، موسوعة تاريخ الاندلس : ١ / ٢٦٥ .

وعاد المحل والقحط يعصف بالبلاد في عام (٣٢٤ هـ/ ٩٣٥ م) إلا أن هذا المحل لم يترك وراءه من الآثار السيئة على العامة فالبركات والخيرات كانت ظاهرة إذ بذل الخليفة الناصر الأموال لتدارك الأزمة قبل تدهور حال الناس فاسهمت إجراءاته بمنع حصول النقص والعازة في رعيته وعن ذلك يقول الشاعر عبيد الله بن يحيى بن إدريس * :

نعم الشفيع إلى الرحمن في المطر مستنزل الغيث بالأعذار والنذر[١] .

وفي عهد الخليفة الحكم الثاني المستنصر بالله لم يختلف الحال عن عهد والده بل زاد على ذلك من العناية بالفقراء و المحتاجين في أوقات الأزمات وفي غيرها، فقد كان المستنصر بالله يجري الصدقات على الفقراء والمعوزين في مناسبات دينية خاصة قدوم شهر رمضان من كل عام[٢]، كذلك اتخذ الخليفة الحكم المستنصر إجراءا أخر كان بمناسبة إكمال بناء زيادته في المسجد الجامع في قرطبة بأن حبس ربع ما جرته إليه الوراثة عن أبيه من مدخولات في جميع كور الأندلس وأقاليمها تفرق تلك الأموال والغلات من الضياع والأراضي على ضعفاء الرعية ومحتاجيهم[٣]، ولم يكتف بذلك فحسب بل ابتنى بغربي المسجد الجامع دار الصدقة لتفريق صدقاته على الفقراء[٤]، وأنشأ البيوت قبالة باب المسجد الكبير الغربي وجعلها للفقراء إيواءً لهم والتخفيف من حاجتهم وفقرهم[٥] ، كما أوقف إيرادات حوانيت السراجين بسوق قرطبة على المعلمين الذين كانوا يعلمون أولاد الضعفاء والمساكين من أهل قرطبة [٦].

(*) لم نعثر له على ترجمة .

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٣٨٤ ؛ عنان، دولة الإسلام (عصر الخلافة) ، ص ٤٢٤ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص ٢٣ ، ٧٦ ، ١١٠ ، ١٥٢ ، ٢٢٦ ، ٢٣٣ ـ ٢٣٤ ؛ ينظر : النقيب ، تاريخ الأندلس ، ص ٥٢ .

(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢ / ٢٣٤ .

(٤) ابن عذاري ، المصدر نفسه : ٢ / ٢٤٠ ؛ المقري ، نفح الطيب : ٢ / ٧٩ .

(٥) المقري ، المصدر نفسه : ٢ / ٧٩ ؛ النقيب ، تاريخ الأندلس ، ص ٥٢ .

(٦) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص ٢٠٧ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢/ ٢٤٩ ؛ سالم، قرطبة: ١/ ٢٠٦ .

وعندما حلت المجاعة في البلاد عام (٣٥٣ هـ / ٩٦٤ م) أجرى الخليفة نفقاته بكل ربض من أرباض قرطبة والزهراء وتكفل بمساعدة الفقراء والمساكين بتقديم الأقوات لسد عوزهم والتخفيف من حدة المجاعة عليهم [١].

وفي سنة (٣٥٨ هـ/ ٩٦٨ م) وقعت مجاعة أخرى في البلاد فأمر الخليفة الحكم بأن يفرق في ((ضعفاء قرطبة أثنى عشر ألف خبزه في كل يوم)) وهكذا استمرت إعانة الخليفة حتى زالت الغمة [٢].

وعلاوة على تلك المساعدات المختلفة التي قدمها الخليفة لرعيته ، سمح لطبيبه أحمد بن يونس الحراني [*] بتوزيع الأشربة والمعاجين الطبية التي يقوم الحراني بتحضيرها على من أحتاج إليها من المساكين والمرضى ممن لا يقدر على دفع أثمانها [٣].

ولم يكن الخليفة المستنصر وحده الحريص على مساعدة المعوزين والفقراء من الناس إذ شاركه في ذلك الحرص رجال دولته ، فنجد قاضي الجماعة في قرطبة محمد بن إسحاق بن السليم (ت ٣٦٧ هـ/ ٩٧٨ م) يوجه النداء بعد صلاة الجمعة يحث الناس على أداء زكاة أموالهم وإخراجها للفقراء يقول القاضي في ندائه ((أنه ليس بغائب عنكم ما فيه ضعفاؤكم ومساكينكم من الفاقة والحاجة فحصلوا زكاة

---

(١) ابن عذاري، المصدر نفسه: ٢/ ٢٣٦؛ عنان، دولة الإسلام (عصر الخلافة)، ص ٤٨٧ .

(٢) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ١٧٣ .

(*) أحمد بن يونس الحراني طبيب معروف رحل إلى المشرق في دولة الناصر ثم عاد إلى الأندلس بعد تولي المستنصر الخلافة في سنة (٣٥١ هـ/ ٩٦٢ م) فستخلصه الخليفة لخدمته بالطب وأسكنه في قصره بمدينة الزهراء وكان مؤتمنا عند الخليفة ، أبو داود سليمان الأندلسي المعروف بابن جلجل ، طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق : فؤاد سيد ، (القاهرة ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، ١٩٥٥ م) ، ص ١١٢ ؛ أبو العباس أحمد الخزرجي المعروف بابن أبي اصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق : نزار رضا ، (بيروت ، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٥م) ، ص ٤٨٧ .

(٣) ابن جلجل ، طبقات الأطباء ، ص ١١٣ ؛ ابن أبي اصيبعة ، عيون الأنباء ، ص ٤٨٧ .

أموالكم وكفارة إيمانكم ووصايا أمواتكم وعجلوا بها على فقرائكم ومحاويجكم ولا تناسوهم . . .))[1].

كما عرف الخليفة هشام بن الحكم المؤيد بالله بكثرة الصدقة على أهل الستر من الضعفاء والمساكين[2].

أما حاجبه المنصور محمد بن أبي عامر فقد أمر خلال المجاعة الواقعة في البلاد في عام (٣٧٩ هـ/ ٩٨٩ م) واستمرت ثلاث سنوات بعد ذلك بعمل أثنين وعشرين ألف خبزه يوميا في قرطبة كانت تفرق على الضعفاء كل يوم منذ بداية المجاعة إلى أن انقضت[3]، ويؤكد هذا القول ما ذكره أبن الخطيب عن هذه الشدة عندما أخذ المنصور بتوزيع الأطعمة والأقوات المخزونة في مخازن الدولة حتى شارفت على النفاد بكثرة الإنفاق منها سعيا لتخفيف وطأة الأزمة واستمالة عامة الناس[4].

فضلاً عن ذلك عين المنصور العامري أمية بن أحمد القرشي[*] ليتولى الإشراف وتنفيذ الإنفاق في أوجه الخير وتفريق الصدقات في أوقات الشدة والرخاء[5].

نلحظ مما سبق أن دور الدولة يبدو واضحا في أوقات الأزمات وفي غيرها من خلال ما قدمه الأمراء و الخلفاء ورجال دولتهم للمحتاجين والفقراء أما في عصر ملوك الطوائف وتشتت البلاد وانفراط عقد الوحدة أخذت أخبار تلك المساعدات والإعانات تأخذ منحى أخر فقلما نجد حاكم دويلة من دويلات

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص ١٤٩ ؛ حمادة ، الوثائق ، ص ٢١٠ .

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢ / ٢٥٣ .

(٣) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ١٨١ -١٨٢ .

(٤) أعمال الأعلام ، ص ٩٩ .

(*) أمية بن أحمد بن حمزة القرشي تولى لأبن أبي عامر وجوه الإنفاق في سبيل الأمانات من بناء الجوامع والحصون وتفريق الصدقات ما لا إحصاء له كما تولى الأحكام والشرطة توفي عام (٣٩٣ هـ/ ١٠٠٢ م) ، عياض ، ترتيب المدارك : ١ / ٣٤٣ .

(٥) عياض ، ترتيب المدارك : ١ / ٣٤٣ .

الأندلس آنذاك قد قدم المساعدة لرعيته أو اسهم في التخفيف من الآم الجوع والحرمان ، في حين تصدرت أخبار مساعدات الفقهاء وإعانات الميسورين من الناس كتب التراجم وهذا دليل على غياب دور السلطة في ذلك العصر ، ولا يطالعنا عن دور ملوك الطوائف سوى ما قام به أبو الحزم بن جهور (٤٢٢-٤٣٥هـ/ ١٠٣١-١٠٤٣م) عند توليه الحكم في قرطبة فمن بين إجراءاته أن أوجد مستودعات للتموين كي يأمن غائلة القحط والغلاء ويؤمن حاجة الناس من المواد الغذائية الضرورية عند الحاجة إليها [١].

غير أن إسهام غالبية العلماء في تقديم الصدقات والإعانات طلبا للأجر هي الأبرز فهي عند بعضهم من أفضل الأعمال فتسارع الكثير من الفقهاء لبذل ما لديهم من أموال للضعفاء والمحتاجين فنجد عبارة كثير الصدقة أو ما شابه ذلك في تراجم العديد من الشخصيات[٢].

فالفقيه أحمد بن وليد بن أبي حمزة المرسي (ت٤٤٤ هـ/ ١٠٥٢ م) تصدق بجل ماله فما أبقى منه إلا ما يسد حاجته [٣].

وعند وقوع المجاعة الشديدة في مدينة أشبيلية عام (٤٤٨هـ/ ١٠٥٦ م) وارتفاع الأسعار قام الفقيه محمد بن أحمد بن منظور القيسي (ت٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م) بتفريق خمسين قفيزا من الحنطة على المساكين سعيا منه للمساعدة بما يقدر عليه في تلك الأوقات الصعبة[٤].

وعرف عن الفقيه أحمد بن محمد بن مغيث الصدفي الطليطلي (ت٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م) كثرة الصدقة والسخاء حبا منه لعمل الخير[٥].

---

(١) الباشا ، الأندلس الذاهبة : ٢ / ٢١ .

(٢) حسين ، دور العلماء ، ص ١٦٢ .

(٣) ابراهيم بن علي ابن فرحون ، الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب ، تحقيق : عباس بن عبد السلام بن شقرون ، (مصر ، د.مط ، ١٣٢م) : ١ / ٥٨ ؛ حسين ، دور العلماء ، ص ١٦٢ .

(٤) ابن بشكوال ، الصلة : ٢ / ٥٤٩ .

(٥) المصدر نفسه : ١ / ٦١ .

أما الفقيه وقاضي مالقة محمد بن الحسن الجذامي النباهي (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) فأنه كان يتصدق في كل جمعة بخمسمائة دينار يوزعها على مستحقيها[١].

واشتهر عن الفقيه أحمد بن محمد بن فرج الأنصاري المعروف بابن رميلة القرطبي (ت٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م) كثرة البر وفعل المعروف[٢].

وإذا كان دافع هؤلاء الفقهاء هو التقرب إلى الله تعالى بالصدقة والتخفيف من معاناة الفقراء والمحتاجين في الأوقات الاعتيادية فما بالنا عما ستكون عليه إسهاماتهم وإعانتهم في أوقات الحاجة وسني الأزمات .

على أن دور الفقهاء ورجال الخير والمعروف لم يقتصر على فترة ملوك الطوائف وغياب الدور المركزي للدولة بل كان لهم الدور الفعال أيضا فيما بعد ، فهذا قاضي قرطبة الفقيه أبو عبد الله محمد بن أصبغ بن المناصف (ت٥٣٦هـ/ ١١٤١م) كان ينفق من ريع أراضيه الزراعية في كل يوم لإعالة أكثر من ثلاثمائة أسرة محتاجة ولا يبقى لنفسه وعائلته إلا قدر حاجتهم[٣].

والفقيه علي بن خلف بن غالب بن مسعود الأنصاري (ت بعد عام٥٣٦هـ/ ١١٤١م) ورث عن أبيه مبلغ أثني عشر ألف دينار أنفقها في سبيل الله تورعا[٤].

كما كان الفقيه علي بن محمد بن عمر بن أضحى (ت٥٤٠هـ/ ١١٤٥م) كريم النفس جوادا جزل العطية محبا لعمل الخير[٥].

---

(١) النباهي ، المرقبة العليا ، ١٠٥ .

(٢) ابن بشكوال ، الصلة : ١/ ٦٨ .

(٣) ابن سعيد ، المغرب : ١ / ١٦٣ ؛ حسين ، الأوضاع الاقتصادية لعلماء الدين ، ص ٧٩ .

(٤) المراكشي ، الذيل والتكملة : س ٥ ق١ / ٢٠٨ ؛ حسين ، دور العلماء ، ١٦٢ .

(٥) ابن الزبير ، صلة الصلة ، ص ٨٩ .

ويذكر عن الفقيه أبي بكر أحمد بن محمد بن جعفر المخزومي (ت٥٨٠هـ/ ١١٨٤م) من أهل جزيرة شقر الواقعة شرق الأندلس أنه كان ملجأ للفقراء والمساكين ينفق في أبواب الخير والمعروف أموالا جليلة [١]، فمجموع الأملاك التي باعها ودفعت أثمانها للمحتاجين زاد على أربعة وعشرين ألف دينار، كما أنفق في عام (٥٤٠ هـ/ ١١٤٥ م) في أزمة الغلاء المفرط الواقع ببلده ما يقارب ألفي دينار ، كما فرق صاحبه أبو العباس الأقليشي (ت ٥٥٠ هـ/ ١١٥٥م) نفقة الحج التي أعدها وهي ستون دينارا على إطعام الفقراء في تلك السنة [٢].

ويذكر عن الفقيه أبي الحسن علي بن محمد بن علي البلنسي (ولد عام ٤٧٠ هـ/ ١٠٧٧م) أنه كان ((يتصدق على الأرامل واليتامى فقالت له زوجته أنك لتسعى بهذا في فقر أولادك فقال لها لا والله بل أنا شيخ طماع أسعى في غناهم)) [٣].

وفي عصر الدولة الموحدية وعلى عهد الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن كانت مدينة قونكة الواقعة شرقي مدينة طليطلة قد عانت من حصار شديد من النصارى الأسبان وتحديدا عام (٥٦٧ هـ/ ١١٧١م) واستمر هذا الحصار لفترة طويلة عانى الأهالي خلاله من الحاجة والفاقة ما عانوه ولم يرفع الحصار إلا بعد أن علم الأسبان بقدوم الجيش الموحدي نحو المدينة برفقة الخليفة يوسف وحال وصوله المدينة خرج أهالي قونكة لاستقباله وكانت شدة الحصار بادية عليهم [٤]، مما حدا بالخليفة إلى أن يأمر لهم بمعونة مالية عاجلة فأوصى ((للفارس منهم باثني عشر

---

(١) ابن الأبار ، الحلة السيراء : ٢ / ٢٦٧ .

(٢) الضبي ، بغية الملتمس ، ١٥٦ – ١٥٧ .

(٣) شمس الدين محمد بن احمد الذهبي ، معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار ، تحقيق : محمد سيد جاد الحق، (القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٩ م) : ٢ / ٤١٦ – ٤١٧ .

(٤) ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص ٥٠٥ .

مثقالا [*] وللرجل بثمانية مثاقيل وللمرأة بأربعة مثاقيل وللطفل بأربعة مثاقيل))[1]، فضلاً عن مساعدات عينية ضمت سبعين بقرة وزودهم بمئونة من القمح والشعير، وتسابق الأعيان ورجال الدولة ممن رافقوا الخليفة في هذه الحملة بتزويدهم بمختلف العطايا والصلات والتصدق عليهم [2].

وخلال سنوات المحل والمجاعة التي حلت ببلاد المغرب والأندلس من عام (٦١٤ هـ/ ١٢١٧م) إلى عام (٦١٧ هـ/ ١٢٢٠م) والتي أرهقت الناس كثيرا وآلمتهم اجتهد الخليفة الموحدي يوسف بن محمد المستنصر بالله في التخفيف من شدتها فأمر بفتح مخازن الأطعمة وتفريق ما حوته من مؤن وأغذية فكانت تمنح مجانا للفقراء والضعفاء وتعطى بثمن للأغنياء الأقوياء حتى وزعت كميات كبيرة من تلك المخزونات فتحسنت أحوال الناس بذلك الصنيع [3].

وفي عام (٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ م) كان الغلاء المفرط في مملكة غرناطة وخاصة في مدينة مالقة فكان المأكول غالي الثمن صعب الحصول [4]، فسارع الفقيه عبد العظيم بن عبد الله البلوي المالقي (ت٦٦٦ هـ / ١٢٦٨م) إلى بيع كتبه وأغراضا يملكها للتصدق بثمنها والمساهمة في التخفيف من تلك المسغبة عن أهل بلدته ما أمكنه ذلك [5].

كما أولى السلطان الغرناطي أبو الحجاج يوسف الأول عناية بالفقراء ومنحهم المعونات وخاصة في أوقات الإعياد وحدد المبالغ التي ينبغي أن تؤول إليها الصدقات والتبرعات وحرص أن تكون حاجة المعوزين قبل كل شيء [6].

(*) كان المثقال الشرعي الوحيد في المغرب والأندلس هو المثقال الذي يزن (٤,٧٢٢ غم) وبذلك يكون وزن الدرهم الذي يتناسب مع هذا المثقال (٣,٣ غم) ، ينظر : هانتس ، المكاييل والأوزان الإسلامية ، ص ١٨ .

(١) ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص ٥٠٥ .

(٢) عنان ، دولة الإسلام (عصر الموحدين) ، ص ٨٠ – ٨١ ؛ حتاملة ، موسوعة الديار :٢ / ٩١٠ .

(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ، العصر الموحدي ، ٢٤٤ –٢٤٥ .

(٤) المصدر نفسه ، العصر الموحدي ، ٤٤٢ .

(٥) ابن الزبير ، صلة الصلة ، ص ٣٥ –٣٦ .

(٦) شبانة ، يوسف الأول ، ص ١١٤ .

غير أن ما حل في مملكة غرناطة من اجتياح الطاعون الجارف ابتدأ من عام (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) واستمر لعدة سنوات من أشد مالاقاه الناس من محن ومصائب(*) ، ((حتى خلت الدور وعمرت القبور)) (١) ، إلا أن من كتب الله له السلامة من ذلك الطاعون كان خير معين لغيره من الأحياء والاموات ، فقد تولى القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد الطنجالي (ت٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م) جمع الأموال والصدقات من الناس الذين هرعوا إليه بها فتجمع عنده من الذهب والفضة والحلي والذخيرة وغير ذلك ما تضيق عنه بيوت أموال الملوك والسلاطين (٢) ، فتكفل القاضي بتوزيعها على الفقراء والطلبة والغرباء من أهل السبيل فضلاً عن صرفها بتجهيز من ذهب ضحية المرض فشمل النفع بها الأحياء والموات ((وبقي هو وغيره من أهل القطر على ذلك زمانا مشاركا بالأموال ومساهما في المصائب والنوازل ، إلى أن خف الوباء وقل عدد الذاهبين به و المسالمين بسببه)) (٣) .

(*) راجع فقرة الأوبئة والأمراض البشرية في الفصل الأول .

(١) النباهي ، المرقبة العليا ، ص ١٦٦ .

(٢) المقري ، نفح الطيب : ٦ / ٣٢١ .

(٣) النباهي ، المرقبة العليا ، ص ١٦٧ .



الخلاصة

تناولت الدراسة جانبا مهما من جوانب التاريخ العربي الإسلامي من خلال تبيان أهمية النظام الاقتصادي وتأثيره في المجتمع والدولة ، إذا ما تعرض إلى أزمات ونحن فلا بد لنا في هذا المقام أن نعرض بإيجاز أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج .

- شهدت الأندلس خلال الحكم العربي الإسلامي (٩٢-٨٩٧ هـ/ ٧١١-١٤٩٢م) العديد من الأزمات الاقتصادية التي تنوعت أشكالها واختلفت أسبابها بالرغم من كل ما عرفت به البلاد من سعة ورخاء .
- كان للعوامل الطبيعية الدور البارز في خلق تلك الأزمات الاقتصادية على الرغم من تباين تأثير كل عامل من العوامل بمدى خطورته وحجم ضرره .
- شكل الجفاف وانحباس الأمطار العامل الطبيعي الأكثر تأثيرا في سكان الأندلس نظرا لاعتماد الزراعة بشكل رئيس على الأمطار ومن ثم ارتباط الحالة المعاشية بالزراعة بوصفها الحرفة الأولى لغالبية السكان والمصدر الأساسي لتامين قوتهم ، لذا كان ما خلفته سنوات الجفاف على الحالة المعاشية ضررا كبيرا خاصة إذا ما تعاقبت تلك السنوات .
- الحقت الفيضانات والسيول والزلازل اضراراً كبيرة بالاقتصاد من خلال ما أحدثته من خسائر في الأرواح والأموال وتخريبا في الممتلكات العامة والخاصة من قناطر ومساجد واراضي زراعية ودور وغير ذلك .
- احتلت العوامل الطبيعية الأخرى (هبوب الرياح ، تساقط الأمطار الغزيرة ، نزول البرد والثلوج) دورا ثانويا مقارنة مع سابقاتها غير أن تأثيرها السيئ قد يزداد إذا ما اجتمعت مع بعضها أو ترافقت مع عوامل أخرى .
- سببت الأمراض البشرية التي كانت تجتاح المجتمع ولاسيما الطاعون منها نقصا واضحا في أعداد السكان فكانت الأمراض سببا في فقدان القوى البشرية العاملة والمنتجة وأذهبت بأعداد كبيرة عجزاً في بعض منها إحصاء الضحايا خاصة تلك التي ترافقت مع وقوع القحط أو المجاعة أو الغلاء .

- ظهر دور العوامل البشرية في وقوع الأزمات الاقتصادية من خلال العوامل السياسية كالاضطرابات الأمنية من فتن داخلية وأخطار خارجية وأبرزها خطر الممالك الإسبانية المحيطة بالدولة العربية الإسلامية في الأندلس والمتربصة بها، وفي كلتا الحالتين ظهر تأثير تلك العوامل من خلال ما خلفته من أضرار جسيمة بالمناطق التي كانت مسرحا لأحداثها، أو من خلال ما انتهج من أساليب كالحصار والتجويع وقطع مياه الشرب لإخضاع المتمردين أو السيطرة على المدن .
- أفرزت الأزمات الاقتصادية العديد من حالات التردي في الوضع المعاشي لدى السكان ولاسيما حالات الغلاء في الأسعار والتي عادة تكون مترافقة مع ندرة المؤن والأقوات فيعجز معها الفقراء عن تأمين حاجاتهم المعاشية الضرورية .
- كما كانت بعض سياسات الدولة سببا في نشوء الأزمة الاقتصادية وخاصة سوء إدارتها المالية وفرضها الضرائب المرتفعة التي ترهق السكان وتدفعهم في بعض الأحوال إلى هجر أراضيهم هربا وخلاصا من تلك الضرائب الثقيلة .
- كان لكل ما سبق من عوامل ومسببات الأزمات الاقتصادية مظاهر واضحة المعالم أبرزها هو ظهور المجاعة وانتشار الفقر والعوز بين الناس كما أدت في حالات أخرى إلى الهجرة وموت أعداد من السكان نتيجة القتل أو الجوع أو المرض .
- وإزاء ذلك كان لابد للدولة القيام بإجراءات وتدابير للحد من الأزمات الاقتصادية أو تفاقمها إذا ما حصلت وشاركها المجتمع في بعض منها والتي اتسمت بطابعها الاجتماعي كالخروج لأداء صلاة الاستسقاء في سنوات القحط طلبا للغيث والرحمة أو تفريق الصدقات والمعونات على المحتاجين وأهل الخصاصة سواء من أمراء الدولة وخلفائها أو من محبي الخير والساعين إليه .
- بينما انفردت السلطة بصفتها الرسمية بإجراءات إدارية و اقتصادية كان لها دور في التخفيف من شدة الأزمة، على الرغم من تباين فاعلية ذلك الدور تبعا لقوة الدولة صاحبة السلطة وازدهار عصرها ومقدار حرصها على مصلحة ورضا رعيتها .

الملاحق

الملحق رقم (١)

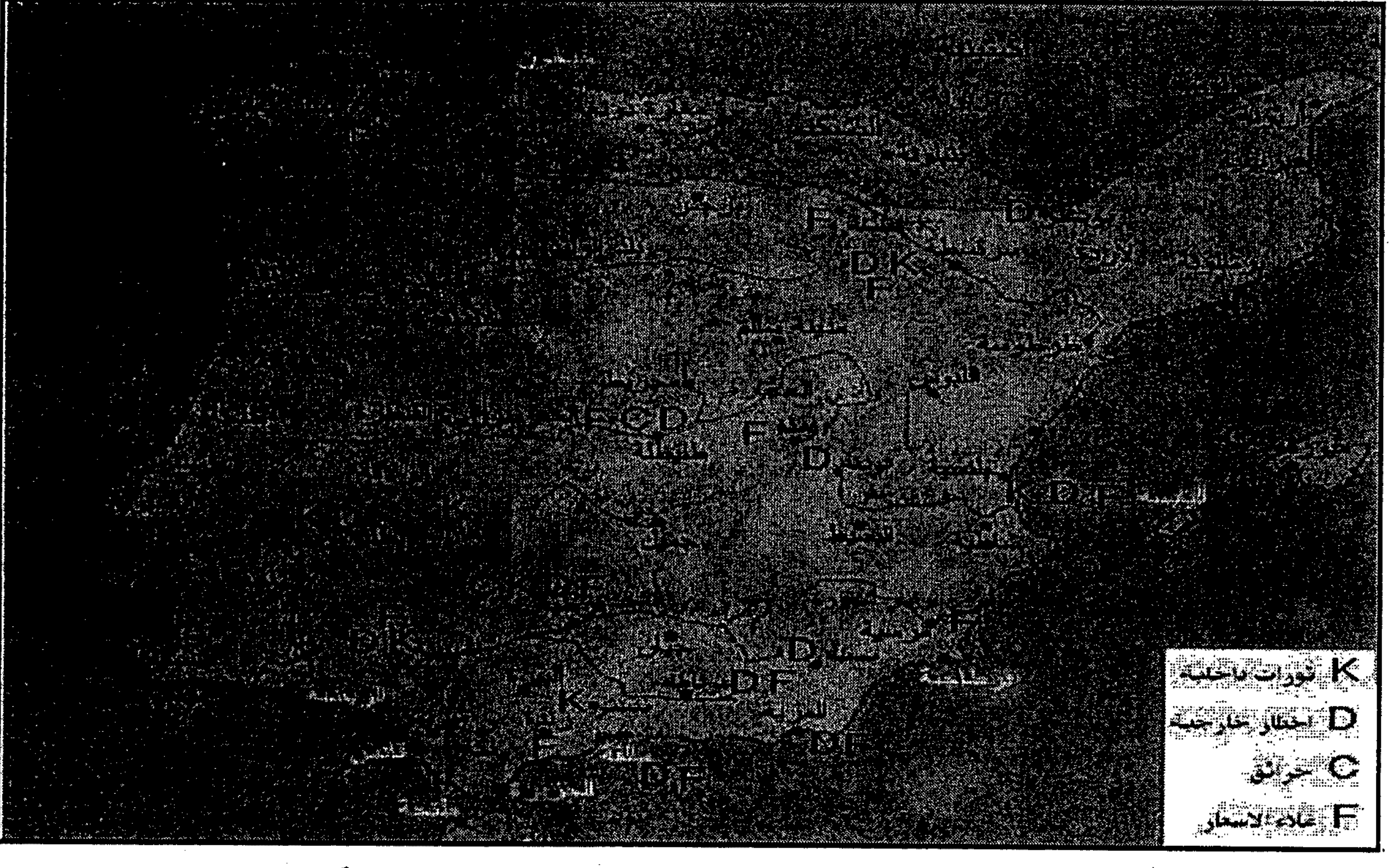
خريطة رقم (١)
توضح العوامل الطبيعية للأزمات الاقتصادية

A
B
E
S
R
N

معلم لخريطة نقلا عن www.alajman.net بتصرف اللجنة

خريطة رقم (٢)

توضح العوامل البشرية للازمات الاقتصادية



معالم الخريطة نقلا عن www.alajman.net بتصرف الباحثة

الملحق رقم (٢)

جدول الازمات الاقتصادية في الاندلس الناتجة عن ابرز العوامل البشرية

ت	السنة	الاضطرابات الامنية والسياسية	حوادث الحرائق	غلاء الاسعار
.١	١٣١هـ/٧٤٨م وما بعدها	×[١]		
.٢	١٨٥هـ/٨٠١م	×[٢]		
.٣	١٩٧هـ/٨١٢م			×[٣]
.٤	٢٠٢هـ/٨١٧م		×[٤]	
.٥	٢٠٧هـ/٨٢٢م			×[٥]
.٦	٢٣٢هـ/٨٤٦م			×[٦]
.٧	٢٦٠هـ/٨٧٣م			×[٧]
.٨	٢٦١هـ/٨٧٤م وما بعدها	×[٨]		
.٩	٢٦٧هـ/٨٨٠م وما بعدها	×[٩]		
.١٠	٢٨٥هـ/٨٩٨م			×[١٠]
.١١	٣٠٢-٣٠٣هـ/٩١٤-٩١٥م			×[١١]
.١٢	٣٠٥هـ/٩١٧م		×[١٢]	
.١٣	٣١٤هـ/٩٢٦م			×[١٣]
.١٤	٣١٧هـ/٩٢٩م			×[١٤]
.١٥	٣٢٤هـ/٩٣٥م		×[١٥]	
.١٦	٣٤٤هـ/٩٥٥م	×[١٦]		
.١٧	٣٦٢هـ/٩٧٢م		×[١٧]	
.١٨	٣٦٣هـ/٩٧٣م			×[١٨]
.١٩	٣٧٩هـ/٩٨٩م			×[١٩]
.٢٠	٣٩٩-٤٠٣هـ/١٠٠٨-١٠١٢م	×[٢٠]	×[٢١]	×[٢٢]
.٢١	٤٢٢هـ/١٠٣٠م وما بعدها	×[٢٣]		
.٢٢	بعد ٤٣٨هـ/١٠٤٦م			×[٢٤]
.٢٣	٤٤٨هـ/١٠٥٦م			×[٢٥]
.٢٤	٤٥٦هـ/١٠٦٤م	×[٢٦]		
.٢٥	٤٧٠-٤٧٨هـ/١٠٧٧-١٠٨٥م	×[٢٧]		

ت	السنة	الاضطرابات الامنية والسياسية	حوادث الحرائق	غلاء الاسعار
٢٦.	٤٨٤هـ/١٠٩١م	x[٢٨]		
٢٧.	٤٨٥-٤٨٧هـ/١٠٩٢-١٠٩٤م	x[٢٩]		x[٣٠]
٢٨.	٥٠٨هـ/١١١٤م		x[٣١]	
٢٩.	٥١٢هـ/١١١٨م	x[٣٢]		
٣٠.	٥٢٥هـ/١١٣٠م		x[٣٣]	
٣١.	٥٢٦هـ/١١٣١م			x[٣٤]
٣٢.	٥٤٠هـ/١١٤٥م			x[٣٥]
٣٣.	٥٤٢هـ/١١٤٧م	x[٣٦]		
٣٤.	٥٤٥هـ/١١٥٠م			x[٣٧]
٣٥.	٥٤٦هـ/١١٥١م			x[٣٨]
٣٦.	٥٦٥هـ/١١٧٠م	x[٣٩]		
٣٧.	٥٦٧هـ/١١٧١م	x[٤٠]		x[٤١]
٣٨.	٥٦٨هـ/١١٧٢م			x[٤٢]
٣٩.	٥٧٢هـ/١١٧٦م	x[٤٣]		
٤٠.	٥٧٣هـ/١١٧٧م			x[٤٤]
٤١.	٥٧٨هـ/١١٨٢م			x[٤٥]
٤٢.	٥٨٥هـ/١١٨٩م	x[٤٦]		
٤٣.	٥٨٦هـ/١١٩٠م			x[٤٧]
٤٤.	٦١٧هـ/١٢٢٠م			x[٤٨]
٤٥.	٦٢٤هـ/١٢٢٦م			x[٤٩]
٤٦.	٦٣٣هـ/١٢٣٦م	x[٥٠]		
٤٧.	٦٣٥هـ/١٢٣٨م	x[٥١]		
٤٨.	٦٤٥هـ/١٢٤٧م	x[٥٢]		
٤٩.	٦٦٣هـ/١٢٦٤م			x[٥٣]
٥٠.	٨٩٢هـ/١٤٨٧م	x[٥٤]		
٥١.	٨٩٤هـ/١٤٨٩م	x[٥٥]		
٥٢.	٨٩٦-٨٩٧هـ/١٤٩١-١٤٩٢م	x[٥٦]		

هوامش الملحق رقم (٢)

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢/ ٣٨ ؛ مجهول ، اخبار مجموعة ، ص ٦١ - ٦٢
(٢) ابن الاثير ، الكامل : ٥ / ٣٢٣ .
(٣) المصدر نفسه : ٥ / ٣٩٨ ؛ المقري ، نفح الطيب : ١ / ٢٦٨ .
(٤) ابن سعيد ، المغرب : ١ / ٤٢ .
(٥) ابن الاثير ، الكامل : ٥ / ٤٧٠ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢ / ٨١ .
(٦) ابن دحية ، المطرب ، ص١٢١ - ١٢٢ ؛ ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص٩٦ .
(٧) ابن الاثير ، الكامل : ٦ / ٢٤٩ ؛ ابن ابي زرع ، المصدر نفسه ، ص٩٦ .
(٨) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢ / ١٠٢ ، ٢٠٠ - ٢٠٢ .
(٩) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : انطونيا ، ص ٥٣ ، ١٢١ وتحقيق : شالميتا ، ص١٣٨ ؛ الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص٣٧ ؛ ابن خلدون ، العبر : ٤ / ١٣٩ .
(١٠) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : انطونيا ، ص ١٢٧ .
(١١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : شالميتا ، ص١٢٤ .
(١٢) ابن حيان ، المصدر نفسه ، ص١٤٢ ؛ ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص٩٨ .
(١٣) ابن حيان ، المصدر نفسه ، ص٢٠٨ .
(١٤) مجهول ، قطعة من تاريخ عبد الرحمن الناصر ، ص٨٠ .
(١٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : شالميتا ، ص٣٨٣ .
(١٦) ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي : ١ / ٣٩٧ .
(١٧) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص١٠٤ .
(١٨) المصدر نفسه ، ص١٤٥ .
(١٩) ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص١١٥ .
(٢٠) ابن الاثير ، الكامل : ٨ / ٥٨ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب : ٣ / ٨١ ؛ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص١٠٩ .
(٢١) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٣ / ١٠٢ .
(٢٢) ابن بشكوال ، الصلة : ١ / ٢٠-٢١ ، ٣٠٩ - ٣١٠ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب : ٣/١٠٦ - ١٠٩ ؛ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص١١٧ .
(٢٣) ابن بسام ، الذخيرة : ق١ مج١ / ٣٨٨ و ق٢ مج١ / ٣٥ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب : ٣ / ٢١١ ، ٢٧٨ .
(٢٤) ابن عذاري ، المصدر نفسه : ٣ / ٢٢٣ .
(٢٥) ابن بشكوال ، الصلة : ٢ / ٥٤٨ - ٥٤٩ .
(٢٦) ابن بسام ، الذخيرة : ق٣ مج١ / ١٨١ - ١٨٢ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب : ٣/ ٢٢٥ ؛ المقري ، نفح الطيب : ٥/ ٣٤٠ .

(٢٧) المقري ، المصدر نفسه : ٥ / ٣٣٨ .
(٢٨) ابن بلقين ، التبيان ، ص١٧٠ .
(٢٩) ابن بسام، الذخيرة: ق٣ مج١ / ١٠٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/ ٣٠٥ و ٤ / ٣٨ – ٣٩ .
(٣٠) ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، ص١٠٣ ؛ ابن عذاري ، المصدر نفسه : ٣/٣٨ – ٤٠ .
(٣١) ابن الكردبوس، المصدر نفسه، ص١٢٣ – ١٢٤ ؛ الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص١٨٨ .
(٣٢) ابن الكردبوس ، المصدر نفسه ، ص١١٧ – ١١٨ ؛ ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص١٦٣ ؛ الناصري ، الاستقصا : ٢/ ٦٧ .
(٣٣) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص١٩٠ – ١٩١ .
(٣٤) المصدر نفسه ، ص١٩٧ .
(٣٥) الضبي ، بغية الملتمس ، ص٢١٢ – ٢١٣ .
(٣٦) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٢٦١ .
(٣٧) ابن الأثير ، الكامل : ٩ / ٣٦٦ ؛ المقري ، نفح الطيب : ٥ / ٢٨١ .
(٣٨) ابن الاثير ، المصدر نفسه : ٩ / ٣٧٠ ؛ المقري ، المصدر نفسه : ٥/ ٢٨٢ .
(٣٩) ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، ص٣٩٨ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب : ٥/ ٨٤ .
(٤٠) ابن صاحب الصلاة ، المصدر نفسه ، ص٥٠٦ .
(٤١) المصدر نفسه ، ص٥٠٠ .
(٤٢) ابن الاثير ، الكامل : ١٠ / ٤٧ ؛ المقري ، نفح الطيب : ٥/ ٢٨٢ .
(٤٣ ابن عذاري ، البيان المغرب : ٥ / ١١٠-١١١ .
(٤٤) المصدر نفسه : ٥ / ١٢٥ .
(٤٥) ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، ص٣٩٧ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب : ٥/ ١١٨ .
(٤٦) ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ٧ / ٣-٤ .
(٤٧) ابن عذري ، البيان المغرب : ٥ / ١٨٠ .
(٤٨) المصدر نفسه : ٥ / ٢٤٤-٢٤٥ .
(٤٩) ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص٢٧٤ ؛ الناصري ، الاستقصا : ٢/ ٢٦٤ .
(٥٠) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٥ / ٣٣٣ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء : ٢٣/ ٢٢ .
(٥١) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص٢٧٣ ؛ ابن خلدون ، العبر : ٦/ ٢٨٥ .
(٥٢) المراكشي ، الذيل والتكملة : س٥ ق١ / ٢٠١ ؛ الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص٢٢ .
(٥٣) ابن عذاري ، البيان المغرب: ٥ / ٤٤٢ .
(٥٤) المقري ، نفح الطيب : ٥ / ٤٠٣ .
(٥٥) المقري ، نفح الطيب: ٥ / ٤٠٣ – ٤٠٤ .
(٥٦) المصدر نفسه : ٥/ ٤٠٦ ؛ الناصري ، الاستقصا : ٤/ ١٠٣ .

الملحق رقم (٣)

جدول سنوات ظهور المجاعة في الاندلس

ت	السنة (الهجرية / الميلادية)	اسباب المجاعة
١.	١٣١-١٣٦هـ/٧٤٨-٧٥٣م	الصراعات القبلية + انحباس الامطار[٥٧]
٢.	١٨٩هـ/٨٠٤م	انتشار الوباء[٥٨]
٣.	١٩٧هـ/٨١٢م	انحباس الامطار + غلاء الاسعار [٥٩]
٤.	٢٠٧هـ/٨٢٢م	انحباس الامطار + هجوم الجراد + غلاء الاسعار [٦٠]
٥.	٢٣٢هـ/٨٤٦م	انحباس الامطار + هجوم الجراد + غلاء الاسعار [٦١]
٦.	٢٥٣-٢٦٠هـ/٨٦٧-٨٧٣م	انحباس الامطار + غلاء الاسعار [٦٢]
٧.	٢٨٥هـ/٨٩٨م	غلاء الاسعار + انتشار الوباء [٦٣]
٨.	٢٩٧هـ/٩٠٩م	حدوث سيول وفيضانات [٦٤]
٩.	٣٠٣هـ/٩١٥م	انحباس الامطار + انتشار الوباء + غلاء الاسعار [٦٥]
١٠	٣١٧هـ/٩٢٩م	انحباس الامطار + غلاء الاسعار [٦٦]
١١	٣٥٣هـ/٩٦٤م	انحباس الامطار [٦٧]
١٢	٣٥٨هـ/٩٦٨م	دون ذكر المسبب [٦٨]
١٣	٣٧٨-٣٨١هـ/٩٨٨-٩٩١م	انحباس الامطار [٦٩]
١٤	٤٤٨هـ/١٠٥٦م	انحباس الامطار + غلاء الاسعار [٧٠]
١٥	٥٢٦ هـ/ ١١٣٢م	غلاء الاسعار +انتشار الوباء + هجوم الجراد [٧١]
١٦	٦١٤-٦١٧هـ/١٢١٧-١٢٢٤م	انحباس الامطار + غلاء الاسعار [٧٢]

هوامش الملحق رقم (٣)

(٥٧) ابن عذاري ، البيان المغرب: ٢/ ٣٨ ؛ مجهول ، اخبار مجموعة ، ص٦٢؛ مجهول ، فتح الاندلس ، ص٤٦ – ٤٧ .

(٥٨) مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، ص١٣١ .

(٥٩) ابن الاثير ، الكامل : ٥ / ٣٩٨ ؛ المقري ، نفح الطيب : ١ / ٢٦٨ .

(٦٠) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : مكي ، ص٢٢٥ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢ / ٨١ .

(٦١) ابن حيان ، المصدر نفسه ، ص١٤٣ ؛ ابن عذاري ، المصدر نفسه : ٢ / ٨٩ ؛ ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص٩٦ .

(٦٢) ابن الاثير ، الكامل : ٦ / ٢٤٩ ؛ ابن عذاري ، المصدر نفسه : ٢ / ١٠٠ ، ١٠٢ .

(٦٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : انطونيا ، ص١٢٧ ؛ ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص٩٧ .

(٦٤) ابن حيان ، المصدر نفسه ، ص ١٤٤-١٤٦.

(٦٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : شالميتا ، ص ١٢٤؛ ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢ / ١٦٧ .

(٦٦) ابن حيان ، المصدر نفسه ، ص٢٥٠ – ٢٥١ .

(٦٧) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢ / ٢٣٦ .

(٦٨) مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، ص١٧٣ .

(٦٩) ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص١١٥ ؛ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص٩٩ .

(٧٠) ابن بشكوال ، الصلة : ٢ / ٥٤٩ ؛ المراكشي ، الذيل والتكملة : س٥ ق١/ ٣٢-٣٣.

(٧١) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص١٩٧ وما بعدها .

(٧٢) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٥ / ٢٤٤-٢٤٥ .

الملحق (٤)

جدول الأزمات الاقتصادية في الأندلس الناتجة عن العوامل الطبيعية

ت	السنة	انحباس أمطار	سيول وفيضانات	زلازل	أحوال مناخية				أوبئة بشرية	آفات زراعية
					ثلوج	برد	رياح	أمطار غزيرة		
١.	١٣١-١٣٦هـ/٧٤٨-٧٥٣م	x[٧٣]								
٢.	١٣٩هـ/٧٥٦م	x[٧٤]								
٣.	١٤٧هـ/٧٦٤م	x[٧٥]								
٤.	١٤٨هـ/٧٦٥م		x[٧٦]							
٥.	١٦١هـ/٧٧٧م	x[٧٧]	x[٧٨]							
٦.	١٧٧هـ/٧٩٣م		x[٧٩]							
٧.	١٨٢هـ/٧٩٨م		x[٨٠]							
٨.	١٨٩هـ/٨٠٤م								x[٨١]	
٩.	١٩٧-١٩٩هـ/٨١٢-٨١٤م	x[٨٢]								
١٠.	٢٠٧هـ/٨٢٢م	x[٨٣]								x[٨٤]
١١.	٢١٢هـ/٨٢٧م		x[٨٥]							
١٢.	٢٢٢هـ/٨٣٦م		x[٨٦]							
١٣.	٢٣٢هـ/٨٤٦م	x[٨٧]								x[٨٨]
١٤.	٢٣٥هـ/٨٤٩م		x[٨٩]							
١٥.	٢٣٦هـ/٨٥٠م	x[٩٠]								
١٦.	٢٥١-٢٦٥هـ/٨٦٥-٨٧٨م	x[٩١]								
١٧.	٢٦٠هـ/٨٧٣م								x[٩٢]	
١٨.	٢٦٧هـ/٨٨١م			x[٩٣]						
١٩.	٢٧٤هـ/٨٨٧م	x[٩٤]			x[٩٥]					
٢٠.	٢٨٥هـ/٨٩٨م								x[٩٦]	
٢١.	٢٨٨هـ/٩٩٨م		x[٩٧]						x[٩٨]	
٢٢.	٢٩٦هـ/٩٠٨م		x[٩٩]							
٢٣.	٣٠٢هـ/٩١٤م	x[١٠٠]							x[١٠١]	
٢٤.	٣٠٣هـ/٩١٥م					x[١٠٢]			x[١٠٣]	
٢٥.	٣٠٧هـ/٩١٩م						x[١٠٤]		x[١٠٥]	

ت	السنة	انحباس أمطار	سيول وفيضانات	زلازل	أحوال مناخية				أوبئة بشرية	آفات زراعية
					ثلوج	برد	رياح	أمطار غزيرة		
	٣١٤هـ/٩٢٦م	x(١٠٦)								
	٣١٧هـ/٩٢٩م	x(١٠٧)								
	٣٢٤هـ/٩٣٥م	x(١٠٨)								
	٣٢٩-٣٣٠هـ/٩٤٠-٩٤١م	x(١٠٩)			x(١١٠)		x(١١١)			
	٣٣١هـ/٩٤٢م		x(١١٢)							
	٣٣٢هـ/٩٤٣م			x(١١٣)		x(١١٤)	x(١١٥)	x(١١٦)		
	٣٣٣هـ/٩٤٤م					x(١١٧)	x(١١٨)			
	٣٣٤هـ/٩٤٥م		x(١١٩)							
	٣٣٨-٣٣٩هـ/٩٤٩-٩٥٠م					x(١٢٠)			x(١٢١)	
	٣٤٠هـ/٩٥١م						x(١٢٢)			
	٣٤٢هـ/٩٥٣م					x(١٢٣)				
	٣٤٤هـ/٩٦٨م			x(١٢٤)					x(١٢٥)	
	آخر خلافة عبد الرحمن الناصر	x(١٢٦)								
	٣٥١هـ/٩٦٢م		x(١٢٧)							
	٣٥٥هـ/٩٦٥م						x(١٢٨)			
	٣٦٠هـ/٩٧٠م						x(١٢٩)	x(١٣٠)		
	٣٦١هـ/٩٧١م			x(١٣١)	x(١٣٢)		x(١٣٣)	x(١٣٤)		
	٣٦٢هـ/٩٧٢م			x(١٣٥)		x(١٣٦)	x(١٣٧)			
	٣٦٣هـ/٩٧٣م		x(١٣٨)			x(١٣٩)	x(١٤٠)	x(١٤١)		
	٣٦٤هـ/٩٧٤م		x(١٤٢)	x(١٤٣)	x(١٤٤)		x(١٤٥)	x(١٤٦)		
	٣٧٣هـ/٩٨٣م							x(١٤٧)	x(١٤٨)	
	٣٧٦هـ/٩٨٦م			x(١٤٩)						
	٣٨١هـ/٩٩١م	x(١٥٠)								x(١٥١)
	٣٨٢هـ/٩٩٢م		x(١٥٢)				x(١٥٣)			x(١٥٤)
	٣٨٣هـ/٩٩٣م	x(١٥٥)								x(١٥٦)
	٣٨٥هـ/٩٩٥م						x(١٥٧)			
	٣٩٦هـ/١٠٠٥م					x(١٥٨)		x(١٥٩)		
	٤٠١هـ/١٠١٠م		x(١٦٠)						x(١٦١)	
	٤٠٧هـ/١٠١٦م	x(١٦٢)							x(١٦٣)	
	٤١٥هـ/١٠٢٤م			x(١٦٤)						
	٤٢١هـ/١٠٣٠م					x(١٦٥)				

ت	السنة	انحباس أمطار	سيول وفيضانات	زلازل	أحوال مناخية				أوبئة بشرية	آفات زراعية
					ثلوج	برد	رياح	أمطار غزيرة		
	٤٢٩هـ/١٠٣٧م		x(١٦٦)							
	٤٣٩هـ/١٠٤٦م		x(١٦٧)							
	٤٤٠هـ/١٠٤٨م			x(١٦٨)						
	٤٤٨هـ/١٠٥٦م	x(١٦٩)								
	٤٥١هـ/١٠٤٩م								x(١٧٠)	
	٤٧٨هـ/١٠٨٥م									x(١٧١)
	٤٨١هـ/١٠٨٨م		x(١٧٢)							
	٤٩٨هـ/١١٠٤م	x(١٧٣)								
	٥٠٣هـ/١١٠٩م								x(١٧٤)	
	٥٢٤-٥٢٥/١١٢٩-١١٣٠م	x(١٧٥)								
	٥٢٦هـ/١١٣١م								x(١٧٦)	x(١٧٧)
	٥٢٧هـ/١١٣٢م									x(١٧٨)
	٥٢٨هـ/١١٣٣م									x(١٧٩)
	٥٢٩هـ/١١٣٤م									x(١٨٠)
	٥٣٠هـ/١١٣٥م									x(١٨١)
	٥٣٢هـ/١١٣٧م							x(١٨٢)		
	٥٦٤هـ/١١٦٨م		x(١٨٣)							
	٥٦٥هـ/١١٦٩م	x(١٨٤)		x(١٨٥)						
	٥٦٧هـ/١١٧١م						x(١٨٦)	x(١٨٧)		
	٥٧١هـ/١١٧٥م								x(١٨٨)	
	٥٩٧هـ/١٢٠٠م		x(١٨٩)							
	٦١٠هـ/١٢١٣م								x(١٩٠)	
	٦١٤-٦١٧هـ/١٢١٨-١٢٢٠م	x(١٩١)								
	٦٣١هـ/١٢٣٣م	x(١٩٢)								
	٦٣٥هـ/١٢٣٧م								x(١٩٣)	
	٧٤٧هـ/١٣٤٦م	x(١٩٤)								
	٧٤٩هـ/١٣٤٧م								x(١٩٥)	
	٧٦٢هـ/١٣٦٠م									x(١٩٦)
	٧٦٥هـ/١٣٦٣م								x(١٩٧)	
	٨٨٣هـ/١٤٧٨م		x(١٩٨)							
	٨٩٧هـ/١٤٩٢م				x(١٩٩)					

(٧٣) الرشاطي ، اقتباس الانوار ، ص٥٥ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢/ ٣٨ ؛ مجهول ، اخبار مجموعة ، ص٦٨ .
(٧٤) مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، ص١١٤ .
(٧٥) المصدر نفسه ، ص١١٥ .
(٧٦) المصدر نفسه ، ص١١٥ .
(٧٧) المصدر نفسه ، ص١١٥ .
(٧٨) ابن عذري ، البيان المغرب : ٢ / ٥٦ .
(٧٩) مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، ص١٢٢ .
(٨٠) سالم ، قرطبة : ١ / ١٩٩ .
(٨١) مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، ص١٣١ .
(٨٢) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢ / ٧٧ ؛ المقري ، نفح الطيب : ١ / ٢٦٨ .
(٨٣) ابن سعيد ، المغرب : ١ / ١٤٦ – ١٤٧ .
(٨٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : مكي ، ص ٢٢٥ .
(٨٥) ابن الاثير ، الكامل : ٥ / ٤٨٨ .
(٨٦) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس :٢/ ٥.
(٨٧) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : مكي ، ص١٤٣ .
(٨٨) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢/ ٨٩ ؛ ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص٩٦ .
(٨٩) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : مكي ، ص١٤٦ – ١٤٧ .
(٩٠) المصدر نفسه ، ص١٤٨ .
(٩١) ابن الاثير ، الكامل : ٦ / ١٩٦ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢ / ١٠٠ – ١٠٢ ؛ ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص٩٦ .
(٩٢) ابن الاثير ، المصدر نفسه : ٦/ ٢٤٩ ؛ ابن ابي زرع ، المصدر نفسه ، ص٩٦ – ٩٧ .
(٩٣) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢/ ١٠٤ ؛ ابن ابي زرع ، ص٩٧ .
(٩٤) ابن عذاري ، المصدر نفسه : ٢ / ١١٩ .
(٩٥) المصدر نفسه : ٢ / ١١٩ .
(٩٦) ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص٩٧ .
(٩٧) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : انطونيا ، ص١٣٩ .
(٩٨) مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، ص١٥٦ .
(١٠٠) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : انطونيا ، ص١٤٤ .
(١٠١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : شالميتا ، ص ١٢٤ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢/ ١٦٧ .
(١٠٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : شالميتا ، ص١٠٩ – ١١٠ ؛ مجهول ، قطعة من تاريخ عبد الرحمن الناصر ، ص٥٠ .
(١٠٣) ابن حيان ، المصدر نفسه ، ص١٢٤ .

(١٠٤) ابن حيان ، المصدر نفسه ، ص١٠٩ – ١١٠ ؛ مجهول ، قطعة من تاريخ عبد الرحمن الناصر ، ص٥٠ .
(١٠٥) مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، ص١٦١ .
(١٠٦) المصدر نفسه ، ص١٦١ .
(١٠٧) ابن حيان، المقتبس، تحقيق : شالميتا، ص٢٥؛ مجهول، قطعة من تاريخ عبد الرحمن الناصر، ص٧٣ .
(١٠٨) ابن حيان ، المصدر نفسه ، ص ٢٥٠-٢٥١ .
(١٠٩) المصدر نفسه ، ص٣٨٣ – ٣٨٤ .
(١١٠) ابن حيان ، المصدر نفسه ، ص٤٧٦ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢/ ٢١٤ .
(١١١) ابن حيان ، المصدر نفسه ، ص٤٧٧ – ٤٧٨ .
(١١٢) المصدر نفسه ، ص٤٧٧ – ٤٧٨ .
(١١٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : شالميتا ، ص٢١٧ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢/ ٢١٧ .
(١١٤) ابن عذاري ، المصدر نفسه : ٢/ ٢١١ .
(١١٥) المصدر نفسه : ٢ / ٢١١ .
(١١٦) المصدر نفسه : ٢/ ٢١١ .
(١١٧) المصدر نفسه : ٢/ ٢١١ .
(١١٨) المصدر نفسه : ٢/ ٢١١ .
(١١٩) المصدر نفسه : ٢/ ٢١١ .
(١٢٠) المصدر نفسه : ٢/ ٢١٣ .
(١٢١) الناصري ، الاستقصا : ١/ ١٩٣ ؛ مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، ص١٦٧ .
(١٢٢) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس : ١ / ٣٦ .
(١٢٣) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢/ ٢١٨ .
(١٢٤) الناصري ، الاستقصا : ١ / ١٩٣ .
(١٢٥) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢/ ٢٢٠ .
(١٢٦) ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص١٠٠ ؛ الناصري ، الاستقصا : ١/ ١٩٣ .
(١٢٧) الذهبي، سير اعلام النبلاء: ١٥/ ٥٦٣ و ١٦/ ١٧٦؛ المقري، ازهار الرياض: ٢/ ٢٧٩ – ٢٨٠.
(١٢٨) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص٦٤ – ٦٥ .
(١٢٩) الناصري ، الاستقصا : ١ / ٢٠٥ ؛ مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، ص١٧١ .
(١٣٠) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص٦٦ .
(١٣١) المصدر نفسه ، ص٦٦ .
(١٣٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص٦٧ .
(١٣٣) المصدر نفسه ، ص٦٧ .
(١٣٤) المصدر نفسه ، ص٦٧ .

(١٣٥) المصدر نفسه ، ص٦٧ .
(١٣٦) المصدر نفسه ، ص١٠٧ .
(١٣٧) المصدر نفسه ، ص١٠٠ – ١٠١ ، ١٠٧ .
(١٣٨) المصدر نفسه ، ص١٠٠-١٠١ ، ١٠٧ .
(١٣٩) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص١٤٤ – ١٤٥ ، ١٥٤ .
(١٤٠) المصدر نفسه ، ص١٤٤-١٤٥ .
(١٤١) المصدر نفسه ، ص١٤٤-١٤٥ .
(١٤٢) المصدر نفسه ، ص١٤٤-١٤٥ .
(١٤٣) المصدر نفسه ، ص٢٠٩ .
(١٤٤) المصدر نفسه ، ص٢٠٢ .
(١٤٥) المصدر نفسه ، ص٢٠٩ .
(١٤٦) المصدر نفسه ، ص٢٠٩ .
(١٤٧) المصدر نفسه ، ص٢٠٩ .
(١٤٨) مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، ص١٨١ .
(١٤٩) المصدر نفسه ، ص١٨١ .
(١٥٠) المصدر نفسه ، ص١٨١ .
(١٥١)ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص١٤٤ .
(١٥٢) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٣ / ١١٥ .
(١٥٣) ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص١١٦ .
(١٥٤) مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، ص١٨٤ .
(١٥٥) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٣/ ١١٥ .
(١٥٦) ابن بسام ، الذخيرة : ق٤ مج١ / ٤٦ .
(١٥٧) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٣/ ١١٥ .
(١٥٨) الناصري ، الاستقصا : ١ / ٢٢٦ ؛ مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، ص١٨٤ .
(١٥٩) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٣/ ١٣ .
(١٦٠) المصدر نفسه : ٣ / ١٣ .
(١٦١) المصدر نفسه : ٣ / ١٠٥ .
(١٦٢) ابن حزم ، طوق الحمامة ، ص٢٠٠ ؛ ابن بشكوال ، الصلة : ١/ ٢٣-٢٤ و ٢/ ٣٩٦ .
(١٦٣) ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص١١٨ .
(١٦٤) المصدر نفسه ، ص١١٨ .
(١٦٥) المصدر نفسه ، ص١١٨ ؛ الناصري ، الاستقصا : ١/ ٢٢٦ .
(١٦٦) ابن بسام ، الذخيرة : ق١ مج١ / ٤٧٠ .
(١٦٧) ابن بشكوال ، الصلة : ١/ ٢٩٨ .

(١٦٨) سالم ، قرطبة : ١/ ٢٠٠ .
(١٦٩) العذري ، نصوص ، ص٨ .
(١٧٠) ابن بشكوال ، الصلة : ٢/ ٥٤٨ — ٥٤٩ .
(١٧١) المصدر نفسه : ١/ ١٦٩-١٧٠ .
(١٧٢) ابن بسام ، الذخيرة : ق٢ مج١ / ٢٥٣ .
(١٧٣) ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، ص٩٨ — ٩٩ .
(١٧٤) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٤/ ٥٤ .
(١٧٥) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس، ص١١٦؛ عنان، دولة الاسلام (عصر المرابطين) ، ص٦٩ .
(١٧٦) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص١٩٧ ؛ ابن الزبير ، صلة الصلة ، ص٢٤ .
(١٧٧) ابن القطان ، المصدر نفسه ، ص١٩٧ .
(١٧٨) المصدر نفسه ، ص١٩٧ .
(١٧٩) المصدر نفسه ، ص٢٠٢ .
(١٨٠) المصدر نفسه ، ص٢٠٨ .
(١٨١) المصدر نفسه ، ص ٢١٧ .
(١٨٢) المصدر نفسه ، ص٢٢٦ .
(١٨٣) عنان ، دولة الإسلام (عصر المرابطين) ، ص١٤٣ .
(١٨٤) ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص٢٣٤ .
(١٨٥) المصدر نفسه ، ص٣٩٧ .
(١٨٦) المصدر نفسه ، ص٣٩٧ .
(١٨٧) عنان ، دولة الإسلام (عصر الموحدين) ، ص٧٨ — ٧٩ .
(١٨٨) المرجع نفسه ، ص٧٨ — ٧٩ .
(١٨٩) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٥ / ١١٠-١١١ .
(١٩٠) المراكشي ، الذيل والتكملة : س٥ ق٢ / ٦٦١ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب : ٥ / ٢١٤ .
(١٩١) ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص ٢٧٢ ؛ الناصري ، الاستقصا : ٢/ ٢٦٢ .
(١٩٢) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٥/ ٢٤٤ — ٢٤٥ .
(١٩٣) ابن الخطيب ، الاحاطة : ٢/ ٧٦ ؛ اعمال الاعلام ، ص٢٨٠ .
(١٩٤) ابو مصطفى ، تاريخ الاندلس الاقتصادي ، ص٩٣ .
(١٩٥) ابن الخطيب ، الاحاطة : ٢/ ٨٣ — ٨٥ .
(١٩٦) ابن الخطيب ، الاحاطة : في مواضع متعددة ؛ النباهي ، المرقبة العليا ، في مواضع متعددة .
(١٩٧) ابن الخطيب ، نفاضة الجراب ، ص١٨٣ .
(١٩٨) الجزيري ، غاية النهاية : ١ / ٦٦ .
(١٩٩) المقري ، نفح الطيب : ٥/ ٣٩٥ ؛ مجهول ، نبذة العصر ، ص٤١ — ٤٥ .



المصادر والمراجع

القران الكريم

أولا : المصادر الأولية

- ابن الآبار ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦٥٨هـ/١٢٥٩م) .

١. أعتاب الكتاب ، تحقيق: صالح الاشتر، (دمشق، المطبعة الهاشمية ، ١٩٦١م) .

٢. الحلة السيراء ، تحقيق : حسين مؤنس ، (القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣م) .

٣. المقتضب من كتاب تحفة القادم ، تحقيق : إبراهيم الايباري ، (ط٢ ، القاهرة ، دار الكتاب المصري ، ١٩٨٩م) .

- ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن علي بن محمد الجزيري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م) .

٤. الكامل في التاريخ ، تحقيق : محمد يوسف دقاق ، (ط٤ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٣م) .

- ابن الاحمر ، ابو الوليد اسماعيل بن يوسف (ت٨٠٧ هـ/١٤٠٧م) .

٥. نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان ، تحقيق : محمد رضوان الداية ، (بيروت، دار الثقافة ، ١٩٦٧م) .

- الادريسي ، ابو عبد الله محمد بن محمد (ت٥٦٠هـ/١١٦٤م) .

٦. نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، (القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ١٩٩٤م) .

- ابن الازرق ، ابو عبد الله محمد (ت٨٩٦ هـ/١٤٩١م) .

٧. بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: علي سامي النشار، (العراق ، وزارة الثقافة والفنون ، ١٩٧٨م) .

- الاصبهاني ، ابو عبد الله عماد الدين محمد (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) .

٨. خريدة القصر وجريدة العصر ، تحقيق : محمد المرزوقي ومحمد المطوي ، (تونس ، الدار التونسية ، ١٩٦٦م) .

- الاصطخري ، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت ٣٤٨هـ/٩٥٢م) .

٩. المسالك والممالك ، تحقيق : محمد جابر عبد العال الحسيني ، (القاهرة ، دار القلم ، ١٩٦١م) .

- الاصفهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ/٥٧٦م) .

١٠. الاغاني ، تحقيق ، عبد علي مهنا ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٦م).

- ابن ابي اصيبعة ، ابو العباس احمد الخزرجي (ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م)

١١. عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق : نزار رضا ، (بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٥م).

- البخاري ، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفي (ت٢٥٦هـ/٨٦٩ م) .
١٢. صحيح البخاري ، تنقيح : محمد فؤاد عبد الباقي ، (القاهرة ، دار البيان الحديثة ، ٢٠٠٣م).
- ابن بسام ، ابو الحسن علي الشنتريني (ت٥٤٢هـ/١١٨٢م) .
١٣. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق : احسان عباس ، (بيروت، دار الثقافة ، ١٩٧٩م) .
- ابن بشكوال ، ابو القاسم خلف بن عبد الملك (ت٥٧٨هـ/١١٨٢م) .
١٤. الصلة في تاريخ ائمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم ، (القاهرة، الدار المصرية ، ١٩٦٦م) .
- البكري ، ابو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م) .
١٥. جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق : عبد الرحمن علي الحجي ، (بيروت ، دار الإرشاد ، ١٩٦٨م) .
- ابن بلقين ، عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس (ت بعد ٤٨٨هـ/١٠٩٥م) .
١٦. مذكرات الأمير عبد الله المسمى بكتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة ، تحقيق: ليفي بروفنسال ، (مصر ، دار المعارف ،١٩٥٥م).
- ابن تيمية ، تقي الدين ابو العباس احمد الحراني (ت٧٢٨هـ/١٣٢٧م) .
١٧. مجموع الفتاوى ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٠م) .
- الجرسيفي ، عمر بن عثمان بن عباس (عاش في القرن ٥هـ/١١م) .
١٨. رسالة في الحسبة ، كتاب ثلاث رسائل أندلسية في أدب الحسبة والمحتسب ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، (القاهرة ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، ١٩٥٥م).
- الجزري ، شمس الدين ابو الخير بن محمد (ت٨٣٣ هـ/١٤٢٩م) .
١٩. غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق: برجستر اسر ، (ط٢ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٠م) .
- ابن جلجل ، ابو داؤد سليمان بن حسان (ت بعد ٣٨٤هـ/٩٩٤م) .
٢٠. طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق : فؤاد سيد ، (القاهرة ، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، ١٩٥٥م) .
- ابن حبيب ، عبد الملك (ت٢٣٨هـ/٨٥٤م)
٢١. باب استفتاح الأندلس ، تحقيق : محمود علي مكي ، (مدريد ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، ١٩٥٧م) .
- ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي (ت٨٥٢ هـ/١٤٤٨م) .
٢٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، (ط٣ ، دمشق ، دار الفيحاء ، ٢٠٠٠م).

- ابن حزم ، ابو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م) .
٢٣. طوق الحمامة في الألفة والألاف، تحقيق: نزار وجيه فلوح ، (بيروت ، المكتبة العصرية ، ٢٠٠٨م) .
٢٤. المحلى في شرح المجلى ، تحقيق : مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي ، (بيروت ، دار احياء التراث العربي ، ١٩٩٧م) .
- ابن الحكيم ، ابو الحسن علي بن يوسف (كان حيا سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٦م) .
٢٥. الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة ، تحقيق : حسين مؤنس ، (مدريد ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، ١٩٥٨م) .
- الحموي ، شهاب الدين عبد الله بن ياقوت (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م) .
٢٦. معجم الأدباء ، (ط٣ ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٨٠م) .
٢٧. معجم البلدان ، (بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٥٧م).
- الحميري ، محمد بن عبد المنعم (ت٧١٠هـ/١٣١٠م) .
٢٨. صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، (القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٧م).
- ابن حوقل ، ابو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م).
٢٩. صورة الأرض ، (بيروت ، دار مكتبة الحياة ، د. ت)
- ابن حيان ، ابو مروان حيان بن خلف القرطبي ،(ت٤٦٩هـ/١٠٧٦م) .
٣٠. المقتبس في اخبار بلد الأندلس ، تحقيق : عبد الرحمن علي الحجي ، (بيروت، دار الثقافة ، ١٩٦٥م).
٣١. المقتبس من انباء اهل الأندلس ، تحقيق : محمود علي مكي ، (القاهرة ، لجنة احياء التراث الاسلامي ، ١٩٧١ م) .
٣٢. المقتبس في تاريخ رجال الاندلس ، القسم الثالث ، تحقيق: ملشورم انطونيا ، (باريس ، مطبعة بولس كنتر الكتبي ، ١٩٣٧م) .
٣٣. المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، القسم الخامس ، تحقيق : شالميتا وكورنيطي وم.صبح ، (مدريد ، المعهد الاسباني العربي للثقافة ، ١٩٧٩م) .
- ابن الخراط ، ابو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي (ت٥٨١هـ/١١٨٥م) .
٣٤. اختصار اقتباس الأنوار ، تحقيق : محمد سالم هاشم ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٩م) .
- الخشني ، ابو عبد الله محمد بن حارث القيرواني (ت٣٦١هـ/٩٧١م) .
٣٥. تاريخ قضاة قرطبة ، (القاهرة ، الدار المصرية ، ١٩٦٦م).
- ابن الخطيب ، لسان الدين ابو عبد الله محمد السلماني (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م) .
٣٦. الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق : يوسف علي الطويل ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٣م).

٣٧. أعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام نشر تحت عنوان (تاريخ اسبانيا الإسلامية) ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، (ط٢ ، بيروت ، دار المكشوف ، ١٩٥٦م) .
٣٨. كناسة الدكان بعد انتقال السكان (حول العلاقات السياسية بين مملكة غرناطة والمغرب في القرن ٨ هـ) ، تحقيق : محمد كمال شبانة وحسن محمود ، (القاهرة، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٦م) .
٣٩. اللمـــحة البدرية في الدولة النــصرية ، (ط٢، بيروت، دار الأفاق الجديدة ، ١٩٧٨م).
٤٠. مشاهدات ابن الخطيب في بلاد المغرب والاندلس ، (مجموعة من رسائله) ، تحقيق : احمد مختار العبادي ، (الاسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨٣م) .
٤١. معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ، تحقيق : محمد كمال شبانة ، (المغرب ، مطبعة فضالة المحمدية ، ١٩٧٧م) .
٤٢. نفاضة الجراب في علالة الاغتراب ، تحقيق : احمد مختار العبادي وعبد العزيز الاهواني ، (القاهرة ، دار الكاتب العربي ، د.ت) .
- ابن خفاجة ، ابو اسحاق إبراهيم الأندلسي (ت٥٣٣هـ/١١٣٨م) .
٤٣. ديوان ابن خفاجة ، تحقيق : سيد غازي ، (ط٢ ، الإسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٧٩م) .
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨ هـ/١٤٠٥م) .
٤٤. تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، (بيروت ، مؤسسة جمال ، ١٩٧٩م).
٤٥. مقدمة ابن خلدون ، (بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ١٩٩٩م) .
- ابن خلكان ، شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) .
٤٦. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، (بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٨م) .
- ابو داؤد ، سليمان ابن الأشعث السجستاني الازدي (ت٢٧٥هـ/ ٨٨٨ م) .
٤٧. سنن ابي داؤد ، (القاهرة ، دار الحديث ، ١٩٨٨م) .
- ابن دحية ، ابو الخطاب عمر بن الحسن (ت٦٣٣هـ/١٢٣٥م) .
٤٨. المطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق : صلاح الدين الهواري ، (بيروت ، المكتبة العصرية ، ٢٠٠٨م) .
- ابن ابي دينار ، ابو عبد الله محمد الرعيني (ت١٠٩٢هـ/١٦٨١م) .
٤٩. المؤنس في اخبار افريقيا وتونس ، تحقيق : محمد شمام ، (ط٣، تونس ، المكتبة العتيقة ، ١٩٦٧م).

- الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) .
٥٠. سير اعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الارنؤوط وحسين الاسدي ، (ط١١ ، بيروت، مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠١م) .
٥١. معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار ، تحقيق: محمد سيد جاد الحق ، (القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٩م) .
- الرشاطي ، ابو محمد عبد الله بن علي اللخمي (ت٥٤٢هـ/١١٤٧م) .
٥٢. اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في انساب الصحابة ورواة الآثار ، تحقيق : محمد سالم هاشم ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٩م) .
- ابن الزبير ، ابو جعفر احمد (ت ٧٠٨هـ/١٣٠٨م) .
٥٣. صلة الصلة ، (بيروت ، مكتبة الخياط ، ١٩٣٧م) .
- الزجالي ، ابو يحيى عبيد الله بن احمد (ت٦٩٤هـ/١٢٩٤م) .
٥٤. أمثال العوام في الأندلس مستخرج من كتابه : ري الاوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام ، تحقيق : محمد بن شريفة ، (فاس، مطبعة محمد الخامس، ١٩٧١م).
- ابن ابي زرع ، ابو الحسن علي بن عبد الله (ت٧٢٦هـ/١٣٢٥م) .
٥٥. الأنيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، (الرباط ، دار المنصور ، ١٩٧٢م) .
٥٦. الذخيرة السنية في اخبار الدولة المرينية ، (الرباط ، دار المنصور ، ١٩٧٢م) .
- الزهري ، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر (عاش في القرن ٦هـ/١٢م) .
٥٧. كتاب الجغرافية ، تحقيق : محمد حاج صادق ، (دمشق ، المعهد الفرنسي ، ١٩٧٠م).
- ابن سعيد ، ابو الحسن علي بن سعيد بن موسى (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) .
٥٨. المغرُب في حلى المغرب، تحقيق : شوقي ابو ضيف ، (ط٢ ، القاهرة ، دار المعارف، ١٩٦٤م) .
- ابن السماك ، ابو القاسم محمد ابن ابي العلاء محمد العاملي (عاش في القرن ٨هـ/١٤م)
٥٩. الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ، تحقيق : سهيل زكار و عبد القادر زمامة، (الدار البيضاء ، دار الرشاد ، ١٩٧٩م) .
- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) .
٦٠. تاريخ الخلفاء ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، (ط٣ ، بغداد ، مكتبة الشرق الجديد ، ١٩٨٧م) .
- ابن الشباط ، محمد بن علي التوزري (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) .
٦١. وصف الأندلس وصقلية قطعة من كتاب صلة السمط وسمة المرط ، تحقيق : احمد مختار العبادي ، (مدريد ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، ١٩٧١ م) .

- الشقندي ، إسماعيل بن محمد (ت٦٢٩هـ/١٢٨٠م) .
٦٢. رسالة في فضل الأندلس ، كتاب ثلاثة رسائل في فضل الأندلس وأهلها ، نشر : صلاح الدين المنجد ، (بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٨م) .
- الشوكاني ، محمد بن علي (ت١٥٢٠هـ/١٨٣٤م) .
٦٣. نيل الاوطار من أسرار منتقى الأخبار ، تحقيق : احمد محمد السيد وآخرون ، (ط٣، بيروت ، دار الكلم الطيب ، ٢٠٠٥م) .
- ابن صاحب الصلاة ، عبد الملك بن محمد (ت٥٩٥هـ/١١٩٨م) .
٦٤. تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بان جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ، تحقيق : عبد الهادي التازي ، (بيروت ، دار الأندلس ، ١٩٦٤م) .
- الصفدي ، صلاح الدين بن ايبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) .
٦٥. الوافي بالوفيات ، تحقيق : ديدربنغ ، (استانبول ، مطبعة وزارة المعارف ، ١٩٤٩م).
- الضبي ، احمد بن يحيى بن عميرة (ت ٥٩٩هـ/١٢٠٢م) .
٦٦. بغـية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، (مدريد ، مطبعة روخس ، ١٨٨٤م).
- الطرطوشي ، ابو بكر محمد بن الوليد (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م) .
٣٦. سراج الملوك ، (ط٢ ، القاهرة ، دار الكتاب الإسلامي ، ١٩٩٢م) .
- ابن عاصم الغرناطي ، ابو يحيى محمد (ت٨٥٧هـ/١٤٥٣م) .
٣٧. جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى ، تحقيق : صلاح الجرار ، (الأردن ، دار البشير ، ١٩٨٩م).
- ابن عبد الرؤوف ، احمد بن عبد الله (عاش في القرن ٦هـ/١٢م) .
٣٨. رسالة في الحسبة ، كتاب ثلاثة رسائل أندلسية في أدب الحسبة والمحتسب ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، (القاهرة ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، ١٩٥٥م).
- ابن عبدون ، محمد بن احمد (ت أواسط القرن ٦هـ / ١٢م) .
٣٩. رسالة في القضاء والحسبة ، كتاب ثلاثة رسائل أندلسية في أدب الحسبة والمحتسب، تحقيق : ليفي بروفنسال ، (القاهرة ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٥٥م) .
- ابن عذاري ، ابو العباس احمد بن محمد المراكشي (كان حيا ٧١٢هـ/١٣١٢م).
٤٠. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق : إحسان عباس ، (بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٧م) ، خاص بالمرابطين .
٤١. البيان المغرب في اختصار اخبار ملوك الأندلس والمغرب ، تحقيق : امبروسي هويسي مرندة ومحمد بن تاويت الطنجي وإبراهيم الكتاني ، (الجزائر ، دار كرديمايس ، ١٩٦٠م)، القسم الخاص بعصر الموحدين .
٤٢. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق : كولان و ليفي بروفنسال ، (بيروت ، دار الثقافة ، د.ت) . الجزء الاول والثاني .

٤٣. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، (بيروت، دار الثقافة ، ١٩٦٧م) . الجزء الثالث .

- العذري ، احمد بن عمر بن انس الدلائي (ت٤٧٨هـ/١٠٨٥م) .

٤٤. نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار في غرائب البلدان والمسالك ، تحقيق : عبد العزيز الاهواني ، (مدريد ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، ١٩٦٥م) .

- عياض ، ابو الفضل عياض بن موسى (ت٥٤٤هـ/١١٤٩م) .

٤٥. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة إعلام مذهب مالك ، تحقيق: قاسم علي سعد، (دبي ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ، ٢٠٠٢م) .

- ابن غالب ، ابو عبد الله محمد بن أيوب (ت٥٧١هـ/١١٧٥م) .

٤٦. فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس ، تحقيق : لطفي عبد البديع ، (القاهرة ، معهد المخطوطات العربية ، ١٩٥٦م) .

- ابو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن عبد الملك (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م) .

٤٧. تقويم البلدان ، (بغداد ، مكتبة المثنى ، د.ت) .

- ابن فرحون المالكي ، إبراهيم بن علي (ت٧٩٩هـ/١٣٩٦م) .

٤٨. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تحقيق عباس بن عبد السلام بن شقرون ، (مصر ، د.مط ، ١٩٣٢م) .

- ابن الفرضي ، ابو الوليد محمد بن يوسف الازدي (ت٤٠٣هـ/١٠١٣م) .

٤٩. تاريخ علماء الأندلس ، (القاهرة ، الدار المصرية ، ١٩٦٦م) .

- ابن القاضي ، ابو العباس بن محمد المكناسي (ت١٠٢٥هـ/١٦٦٣م) .

٥٠. ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال ، تحقيق : محمد الاحمد ابو النور ، (القاهرة ، دار التراث ، ١٩٧٠م) .

- القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م) .

٥١. عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، تحقيق : فاروق سعد ، (ط٤ ، بيروت ، دار الافاق الجديدة ، ١٩٨١م) .

- ابن القطان ، ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك (ت ٦٢٨هـ/١٢٣٠م) .

٥٢. نظم الجمان في أخبار الزمان ، تحقيق : محمود علي مكي ، (الرباط ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، د.ت) .

- ابن القوطية ، ابو بكر محمد بن عمر القرطبي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) .

٥٣. تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق : عبد الله انيس الطباع ، (بيروت ، دار النشر للجامعيين، ١٩٥٧م) .

- ابن الكردبوس ، ابو مروان بن عبد الملك (ت٥٧٣هـ/١١٧٧م) .
٥٤. تاريخ الأندلس قطعة من كتاب الاكتفاء في اخبار الخلفاء ، تحقيق : احمد مختار العبادي ، (مدريد ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، ١٩٧١م) .
- الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد البغدادي (ت٤٥٠ هـ/١٠٥٨م)
٥٥. الاحكام السلطانية والولايات الدينية ،(بيروت ، دار الكتب العلمية ، د.ت).
- مجهول ، مؤلف .
٥٦. اخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم ، تحقيق: ابراهيم الابياري ، (ط٢ ، القاهرة ، دار الكتاب المصري ، ١٩٨٩م) .
- مجهول ، مؤلف
٥٧. تاريخ الأندلس ، تحقيق :عبد القادر بوباية ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٧م).
- مجهول ، مؤلف .
٥٨. ذكر بلاد الأندلس وفضائلها وصفاتها ، تحقيق : لويس مولينا ، (مدريد ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية بمعهد ميغيل اسين ، ١٩٨٣ م) .
- مجهول ، مؤلف
٥٩. ذكر فتح الأندلس وامرائها ، تحقيق : خواكين دي كونثاليث ، (الجزائر ، د.مط ، ١٨٨٩م) .
- مجهول ، مؤلف .
٦٠. الرسالة الشريفية الى الاقطار الاندلسية ، ضمن كتاب ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق عبد الله انيس الطباع ، (بيروت ، دار النشر للجامعيين ، ١٩٥٧م).
- مجهول ، مؤلف .
٦١. قطعة من تاريخ عبد الرحمن الناصر ، تحقيق : ليفي بروفنسال وغرسيه جومث ، (مدريد ، د.مط ، ١٩٥٠م) .
- مجهول ، مؤلف .
٦٢. نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر ، تحقيق : محمد رضوان الداية ، (دمشق ، دار حسان ، ١٩٨٤م) .
- المراكشي ، ابو عبد الله محمد بن عبد الواحد (ت٦٤٧هـ/١٢٤٩م) .
٦٣. المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، تحقيق : محمد سعيد العريان ومحمد توفيق عويطة ، (ط٣ ، القاهرة ، د. مط ، ١٩٦٣م) .
- المراكشي ، ابو عبد الله محمد بن عبد الملك الانصاري (ت٧٠٣هـ/١٣٠٣م) .
٦٤. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق احسان عباس ، (بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٥م) .

- المقري ، شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني (ت١٠٤١ هـ/١٦٣٢م) .
٦٥. أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، تحقيق : مصطفى السقا ، (ط٢ ، الرباط ، صندوق إحياء التراث الإسلامي ، ١٩٧٨م) .
٦٦. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي ، (بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٨م) .
- المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي (ت٨٤٥ هـ/١٤٤١م)
٦٧. إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال (ط٢ ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٧٥م)
- الناصري ، ابو العباس احمد بن خالد السلاوي (ت١٣١٩هـ/١٩٠١م) .
٦٨. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق : جعفر الناصر ومحمد الناصري، (الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٥٤م) .
- النباهي ، ابو الحسن بن عبد الله الجذامي (ت٧٩٣هـ/١٣٩٠م) .
٦٩. تاريخ قضاة الأندلس المسمى كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق : صلاح الدين الهواري ، (بيروت ، المكتبة العصرية ، ٢٠٠٦م) .
- النقشبندي ، الشيخ عبد الغني النابلسي القادري (ت١١٤٣هـ/١٧٣٠م).
٧٠. علم الملاحة في علم الفلاحة ، (بيروت ، دار الأفاق الجديدة ، ١٩٧٩ م) .
- الونشريسي ، احمد بن يحيى (ت٩١٤هـ/١٥٠٨م) .
٧١. المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقيا والمغرب ، تحقيق : محمد الحجي ، (بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨١م) .

ثانيا : المراجع الحديثة

ارسلان ، شكيب
٧٢. الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، (بيروت، دار مكتبة الحياة ، ١٩٣٦م).
- الاعظمي والكبيسي ، مجيد و حمدان عبد المجيد .
٧٣. دراسات في تاريخ الاقتصاد العربي الإسلامي ، (بغداد ، مطبعة التعليم العالي في جامعة بغداد ، ١٩٨٨م) .
- الألباني ، محمد ناصر الدين
٧٤. السلسلة الضعيفة والموضوعة ، (الرياض ، مكتبة المعارف ، د.ت) .
- الاوسي ، حكمت علي
٧٥. فصول في الأدب الأندلسي في القرن ٢-٣ هـ ، (ط٥ ، بغداد ، مطبعة بابل ، ١٩٨٧م).
- بوتشيش ، ابراهيم القادري .
٧٦. مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب و الأندلس خلال عصر المرابطين والموحدين ، (بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٨٨م) .

- بيضون ، ابراهيم
٧٧. الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة (٩٢-٤٢٢هـ/٧١١-١٠٣١م) ، (بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٨م) .
- حتاملة ، محمد عبدة
٧٨. ايبيريا قبل مجيء العرب المسلمين ، (عمان ، المؤسسة الصحفية الاردنية ، ١٩٦٦م).
٧٩. موسوعة الديار الأندلسية ، (عمان ، المكتبة الوطنية ، ١٩٩٩م) .
- الحجي ، عبد الرحمن علي .
٨٠. تاريخ الأندلس من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة ، (بيروت ، دار القلم ، ١٩٧٦م).
- حماده ، محمد ماهر .
٨١. الوثائق السياسية والادارية في الأندلس وشمال افريقية،(بيروت، مؤسسة الرسالة،١٩٨٠م).
- حموده ، علي محمد .
٨٢. تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، (القاهرة ، دار الكتاب العربي، ١٩٥٧م).
- ابو رميلة ، هشام
٨٣. علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الاسلامية في الأندلس ، (عمان ، دار الفرقان ، ١٩٨٤م) .
- الزحيلي ، وهبة
٨٤. نظام الاسلام ، (طرابلس ، جامعة بنغازي ، ١٩٧٤م) .
- سالم ، عبد العزيز
٨٥. تاريخ مدينة المرية الاسلامية قاعدة اسطول الأندلس ، (بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٩م)
٨٦. تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، (لبنان ، دار المعارف ، ١٩٦٢م) .
٨٧. قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، (بيروت ، دار النهضة ، ١٩٧١م) .
٨٨. المغرب الكبـــير (العصر الاسلامي) ، (الاسكندرية، الدار القومية، ١٩٦٦م) .
- السامرائي ، خليل ابراهيم
٨٩. علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية بالأندلس وبالدول الاسلامية ، (بغداد، دار الحرية، ١٩٨٥م) .
- السامرائي ، خليل ابراهيم و عبد الواحد ذنون طه و ناطق صالح مطلوب
٩٠. تاريخ العرب وحضارتهم بالأندلس ، (بيروت، دار المدار الاسلامي، ٢٠٠٤م).
- السامرائي ، عبد الحميد حسين
٩١. تاريخ حضارة المغرب و الأندلس في عهدي المرابطين والموحدين (ليبيا، دار الشموع، ٢٠٠٢م) .

- شبانة ، محمد كمال
٩٢. يوسف الاول ابن الاحمر سلطان غرناطة، (الرباط،مطبعة الرسالة، ١٩٦٩م).
- شكر ، شاكر هادي
٩٣. الحيوان في الادب العربي ، (بيروت ، مكتبة النهضة العربية ، ١٩٨٥م) .
- الشكعة ، مصطفى
٩٤. الادب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، (ط٤ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٩م).
٩٥. معالم الحضارة الاسلامية ، (ط٣ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٨م).
- شلبي ، سعد
٩٦. البيئة الأندلسية واثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف، (القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٧٨م) .
- شلميطا ، بدرو
٩٧. صورة تقريبية للاقتصاد الأندلسي ، كتاب الحضارة العربية الاسلامية في الأندلس، تحرير:سلمى الخضراء الجيوسي، (ط٢، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩م).
- الشيخ ، محمد محمد مرسي
٩٨. دولة الفرنجة وعلاقتها بالامويين في الأندلس (حتى اواخر القرن العاشر الميلادي) ، (مصر ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، ١٩٨١م) .
- الصلابي ، علي محمد
٩٩. دولة الموحدين ، (بيروت ، المكتبة العصرية ، ٢٠٠٧م) .
- الصوفي ، خالد
١٠٠. تاريخ العرب في اسبانيا (نهاية الخلافة الاموية في الأندلس)، (حلب ، مكتبة دار الشرق ، ١٩٦٣م) .
- ابو ضيف ، مصطفى
١٠١. القبائل العربية في الأندلس حتى سقوط الخلافة الاموية، (الدار البيضاء، د.مط، ١٩٨٣م).
- الطريقي ، عبد الله بن ابراهيم بن علي
١٠٢. الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الاسلامي، (ط٢، الرياض، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤م).
- طقوش ، محمد سهيل
١٠٣. تاريخ المسلمين في الأندلس ، (بيروت ، دار النفائس ، ٢٠٠٥م) .
- الطيبي ، امين توفيق
١٠٤. دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، (ليبيا، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤م).
- عاشور ، سعيد عبد الفتاح وسعد زغلول عبد الحميد واحمد مختار العبادي

١٠٥. دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية،(ط٢، الكويت، ذات السلاسل، ١٩٨٦ م)
- العبادي ، احمد مختار
١٠٦. في تـــاريخ المغرب والأندلس، (الاسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، د.ت) .
- عبد الحميد ، سعد زغلول
١٠٧. محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس ، (بيروت ، مكتب كريدية اخوان ، ١٩٧٥م).
- بن عبود ، امحمد
١٠٨. التاريخ السياسي والاجتماعي لاشبيلية في عهد دول الطوائف، (تطوان، مطابع الشويخ ، ١٩٨٣م) .
- العزاوي ، طارق
١٠٩. الفكر والتاريخ الاقتصادي ، (ط٢ ، بغداد ، مطبعة الازهر ، ١٩٧٥م) .
- عنان ، محمد عبد الله
١١٠. تراجم اسلامية شرقية واندلسية ، (ط٢، القاهرة ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، ١٩٧٠م) .
١١١. دولة الاسلام في الأندلس ، الخلافة الاموية ، العصر الاول ، القسم الثاني ، (ط٣، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٨٨م) ، (عصر الخلافة).
١١٢. دولة الاسلام في الأندلس ، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ، العصر الثاني ، (القاهرة ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٠م) ، (دول الطوائف).
١١٣. دولة الاسلام في الأندلس ، الدولة العامرية وسقوط الخلافة الأندلسية ، العصر الاول ، القسم الثالث ، (القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٥٨م) ، (عصر الدولة العامرية) .
١١٤. دولة الاسلام في الأندلس ، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، العصر الثالث ، القسم الاول ، (القاهرة ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٤م) ، (عصر المرابطين) .
١١٥. دولة الاسلام في الأندلس ، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، العصر الثالث ، القسم الثاني ، (القاهرة ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٤م) ، (عصر الموحدين) .
١١٦. دولة الاسلام في الأندلس ، من الفتح الى بداية عصر الناصر ، العصر الاول ، القسم الاول ، (ط٣ ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٨٨م) ، (عصر الولاة والامارة).
١١٧.دولة الاسلام في الأندلس ، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين ، العصر الرابع ، (ط٢ ، القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٥٨م) ، (عصر مملكة غرناطة) .
١١٨. مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام ، (ط٤ ، القاهرة ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٢م) .
- عودات ، أحمد وجميل بيضون وشحادة الناطور ومحمد محاسنة

١١٩. تاريخ المغرب والأندلس من القرن ٦ هـ حتى القرن ١٠ هـ (الاردن، دار الامل، ١٩٨٩م) .
- عيسى ، احمد
١٢٠. معجم الاطباء ، ذيل عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة، (ط٢، بيروت ، دار الرائد العربي ، ١٩٨٢م) .
- الغناي ، مراجع عقيلة
١٢١. سقوط دولة الموحدين ، (بيروت ، مطابع الشروق ، ١٩٧٥م) .
- الغنيمي ، عبد الفتاح مقلد .
١٢٢. كيف ضاع الاسلام من الأندلس بعد ثمانية قرون ، مأساة الفردوس المفقود (٩٢- ٨٩٧ هـ/٧١١-١٤٩٢م) ، (الرياض ، جامعة الملك فيصل ، ١٩٩٣م) .
- فروخ ، عمر
١٢٣. تاريخ الادب العربي " الادب في المغرب والأندلس منذ الفتح الاسلامي الى آخر عصر ملوك الطوائف (أواخر القرن ٥ هـ / ١١م) " ، (بيروت ، دار العلم للملايين، ١٩٨٢م).
- الفلاحي ، حامد حسين
١٢٤. التاريخ الأندلسي من الفتح الى سقوط غرناطة ، (اربد ،دار الكتاب الثقافي، ٢٠٠٣م).
- مارين ، مانويلا
١٢٥. ممارسات المسلمين الدينية في الأندلس بين القرن ٢-٤ هـ / ٨-١٠م ، كتاب الحضارة العربية الاسلامية في الأندلس ، تحرير : سلمى الخضراء الجيوسي ، (ط٢، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٩م) .
- مجموعة مؤلفين
١٢٦. الموسوعة الطبية الحديثة ، ترجمة : احمد عمار وآخرون ، (ط٢ ، القاهرة ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٧٠م) .
- محمود ، حسن احمد
١٢٧. قيام دولة المرابطين ، (ط٢ ، مصر ، دار الفكر العربي ، ١٩٩٦م).
- ابو مصطفى ، كمال السيد
١٢٨. تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين ، (الاسكندرية، مركز الاسكندرية للكتاب ، د.ت).
- مكي ، محمود علي
١٢٩. تاريخ الأندلس السياسي (٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م) ، ضمن كتاب الحضارة العربية الاسلامية في الأندلس ، تحرير : سلمى الخضراء الجيوسي ، (ط٢ ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٩م).
- مؤنس ، حسين
١٣٠. رحلة الأندلس ، (القاهرة ، الشركة العربية ، ١٩٦٣م)

١٣١. فجر الأندلس ، (القاهرة ، الشركة العربية ، ١٩٥٩م) .
١٣٢. معالم تـاريخ المغرب والأندلس ، (القاهرة ، دار مطابع المستقبل ، ١٩٨٠م) .
١٣٣. موسوعة تاريخ الأندلس (تاريخ وفكر وحضارة وتراث) ، (بور سعيد ، مكتبة الثقافة الدينية ، د.ت) .
- النقيب ، احلام حسن
١٣٤. تاريخ الأندلس على عصر الخلافة الاموية ، (الموصل ، مطابع ابن الاثير ، ٢٠٠٦م).
- الهرفي ، سلامة محمد سلمان
١٣٥. دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين،(بيروت، دار الندوة الجديد،١٩٨٥م).
- وجدي ، محمد فريد
١٣٦. دائرة معارف القرن العشرين ، (بيروت ، دار المعرفة ، ١٩٧١م) .

ثالثا : البحوث والدوريات

- بخاري ، سيد عبد الغفار
١٣٧. مقارنة بين الموازين والمكاييل المقاييس الشرعية مع المقادير المعاصرة ، مجلة افاق الثقافة والتراث، ع ٥٨ ، السنة ١٥، (دبي ، مركز جمعه الماجد ، ٢٠٠٧م).
- بدر ، احمد
١٣٨. المجتمع الأندلسي والمجتمع الاسباني في عصر ملوك الطوائف ، مجلة دراسات تاريخية ، ع ١٥/١٦ ، (دمشق ، د.مط ، ١٩٨٤م) .
- البلداوي ، عبد الاله
١٣٩. ادارة الازمات ... العراق نموذجا ، بحث منشور ضمن الموقع الالكتروني :
kitabat@kitabat.com
- بوتشيش ، ابراهيم القادري
١٤٠. ازمة التجارة في الأندلس في اواخر عصر الامارة ، مجلة المناهل ، ع ٣٢ ، (الرباط ، وزارة الشؤون الثقافية ، ١٩٨٥م) .
- الجنحاني ، حبيب
١٤١. الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الأندلس في عصر عبد الرحمن الناصر من خلال المقتبس لابن حيان ، مجلة المناهل، ع ٢٩، (الرباط، وزارة الشؤون الثقافية ، ١٩٨٤م) .
- حسين ، حازم غانم
١٤٢. الاوضاع الاقتصادية لعلماء الدين في الأندلس (٣٩٩-٥٤١هـ/١٠٠٨-١١٤٦م)، مجلة التربية والعلم ، ع ٢٤ ، (جامعة الموصل، كلية التربية،١٩٩٩م).
- الداية ، محمد رضوان ومهجة الباشا
١٤٣. أسبـاب سقوط الأندلس الاجتماعية والاقتصادية ، مجـلة بحوث جامـعة حـلب ، ع ١٠ ، (حلب ، د.مط ، ١٩٨٧ م) .

- الدباغ ، عبد الوهاب خليل .
١٤٤. اثر الفتنة على الحركة العلمية في قرطبة (٣٩٩-٤٢٢هـ/١٠٠٩-١٠٣١م) ، مجلة التربية والعلم ، ع ٢٣ ، (جامعة الموصل ، كلية التربية ، ١٩٩٩م).
١٤٥. اثر الفتنة على الحياة الفكرية والعمرانية في الأندلس (٣٩٩-٤٢٢هـ/١٠٠٩-١٠٣١م)، مجلة التربية والعلم ، مج ٩ ، ع ١ ، (جامعة الموصل ، كلية التربية ، ٢٠٠٢ م).
- الدهان ، اميمة
١٤٦. ادارة الازمات في المنظمات ، مجلة ابحاث اليرموك ، مج ٥ ، ع ٤ ، (عمان، د.مط ، ١٩٨٩م) .
- ابو الرشتة ، عطاء بن خليل
١٤٧. الازمات الاقتصادية واقعها ومعالجتها من وجهة نظر الاسلام ، بحث منشور ضمن الموقع الالكتروني :www.alsaha.com
- الزيات ، عبد الله محمد حسين
١٤٨. مظاهر اقتصادية في عصري المرابطين والموحدين بالأندلس والمغرب ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، ع ٤٦ ، (دبي ، مركز جمعه الماجد ، ٢٠٠٤ م) .
- السبهاني ، عبد الجبار
١٤٩. الاقتصاد الاسلامي ، بحث منشور ضمن الموقع الالكتروني :
http://faculty.yuledu.jo/sabhany/
- سعد الدين ، كاظم
١٥٠. اسماء الاماكن الأندلسية (المدن والقرى والقصبات وغيرها) ، مجلة المورد، مج ٢٧ ، ع ٣ ، (العراق ، وزارة الثقافة والاعلام ، ١٩٩٩م) .
- طه ، عبد الواحد ذنون
١٥١. اهمية الكتب الفقهية في دراسة تاريخ الأندلس نموذج تطبيقي عن كتاب المعيار المعرب للونشريسي ، مجلة التربية والعلم ، ع ١٣ ، (جامعة الموصل ، كلية التربية ، ١٩٩٣م).
- مصطفى ، خزعل ياسين .
١٥٢. الكوارث والظواهر الطبيعية بالأندلس وآثارها على المجتمع في عصري الامارة والخلافة (١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٥-١٠٣٠م)، مجلة آداب الرافدين ، ع ٥٤ ، (جامعة الموصل ، كلية الآداب ، ٢٠٠٩م) .
- المغربي ، محمد عزيزو
١٥٣. اهمية صلاة الاستسقاء في الاسلام الاستغاثة المشروعة ، مجلة الجامعة الاسلامية ، ع ٤ ، (المدينة المنورة ، د.مط ، ١٩٧٤م).
- النقيب ، احلام حسن
١٥٤. اثر الفتنة على علماء قرطبة (٣٩٩-٤٢٢ هـ/١٠٠٨-١٠٣٠م) ، مجلة اداب الرافدين ، ع ٣٥ ، (جامعة الموصل ، كلية الاداب ، ٢٠٠٢م) .

١٥٥. الازمات الاقتصادية في الأندلس على عصري الامارة والخلافة (١٣٨-٣٦٦هـ/٧٥٥-٩٧٦م) اسبابها وعلاجها، مجلة التربية والعلم، مج ١١، ع ٢، (جامعة الموصل، كلية التربية ، ٢٠٠٤م) .

رابعا : المعاجم:

- البستاني ، بطرس
١٥٦. قطر المحيط ، (ط٢ ، بيروت ، مكتبة لبنان ، د.ت) .
- جبر ، يحيى عبد الرؤوف
١٥٧. معجم الفاظ الجغرافية الطبيعية ، (عمان ، دار عمار ، ١٩٨٧م) .
- حماد ، نزيه
١٥٨. معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء ، (الولايات المتحدة الامريكية، المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، ١٩٩٣م) .
- الرازي ، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (كان حياً سنة ٦٦٠هـ/١٢٦١م) .
١٥٩. مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، (مصر، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٧٦م)
- الزبيدي ، محمد مرتضى (ت١٢٠٥ هـ/ ١٧٩٠م) .
١٦٠. تاج العروس من جواهر القاموس ، (بيروت ، دار مكتبة الحياة د.ت) .
- الشرباصي ، أحمد
١٦١. المعجم الاقتصادي الاسلامي ، (بيروت ، دار الجيل ، ١٩٨١م) .
- عطيه الله ، احمد
١٦٢. القاموس الاسلامي ، (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٦م) .
- ابن فارس ، ابو الحسين احمد بن زكريا (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م) .
١٦٣. معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، (د.م ، دار الفكر ، ١٩٧٩م) .
- الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ/١٤١٤م).
١٦٤. القاموس المحيط ، (مصر ، دار الجيل، ١٩٥٢م) .
- ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد (ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م) .
١٦٥. لسان العرب المحيط ، (بيروت ، دار صادر ، د. ت)

خامسا : الاطاريح والرسائل الجامعية

-البارودي ، هديل يوسف محمود
١٦٦.مرسية ودورها في التاريخ السياسي والحضاري للاندلس ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، (جامعة الموصل ، كلية التربية ، ٢٠٠١م).
- حسين ، حازم غانم
١٦٧. دور العلماء السياسي والاجتماعي في الأندلس في عهدي الطوائف والمرابطين ، اطروحة

دكتوراه غير منشورة ، (جامعة الموصل ، كلية الآداب،١٩٩٥م) .
- الدباغ ، عبد الوهاب
١٦٨. الأندلس بين (٣٩٩-٤٢٢هـ/١٠٠٩-١٠٣١م) دراسة سياسية حضارية ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، (جامعة الموصل ، كلية الآداب ، ١٩٩٦ م) .
١٦٩. التاريخ السياسي والحضاري لسرقسطة في عهد بني هود (٤٣٠-٥٠٣هـ/١٠٣٨-١١٠٩م)، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة الموصل ، كليــة الآداب ، ١٩٩٠م).
- الدليمي ، ناظم عواد محيميد
١٧٠. تاريخ مدينة جيان في الأندلس ، (٩٢-٦٤٤هـ/٧١١-١٢٤٦م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة الموصل ، كلية التربية ، ٢٠٠٨م) .
- سلمان ، مثنى فليفل
١٧١. الحياة الاجتماعية في الأندلس خلال القرن ٣ و ٤ هـ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة بغداد ، كلية الاداب ، ١٩٩٠م) .
- عباسي ، يحيى ابو المعاطي محمد
١٧٢. الملكيـات الزراعيـة واثارهـا فـي المغـرب والأندلـس (٢٣٨-٤٨٨هـ/٨٥٢-١٠٩٥م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، (جامعة القاهرة ، كلية دار العلوم ، ٢٠٠٠م) .
- العكيدي ، برزان ميسر حامد احمد
١٧٣.تاريخ مدينة شلب الاندلسية (٩٣-٦٤٠هـ/٧١٢-١٢٤٢م) ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ،(جامعة الموصل ، كلية التربية ، ٢٠٠٩م).
- محمد ، مرتضى عبد الرزاق مجيد
١٧٤. تاريخ مدينة رندة في الأندلس من سنة (٩٢-٨٩٠هـ/٧١١-١٤٨٥م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة الموصل ، كلية التربية ، ٢٠٠٨م) .
- المختار ، مهند نافع خطاب
١٧٥. الازمات الاقتصادية في العراق (١٣٢-٤٤٧هـ/٧٤٩-١٠٥٥م) ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، (جامعة الموصل ، كلية الآداب ، ٢٠٠٨م) .
- ابو ملوح ، هاشم عبد الرؤوف محمد
١٧٦. الدولة العامرية في الأندلس (٣٦٦-٣٩٩هـ) ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، (الجامعة الأردنية ، كلية الدراسات العليا ، ١٩٩٤م) .
- النداوي ، مريم مصطفى
١٧٧. العلاقة بين خصائص القيادة الجامعية العراقية وادارة الازمات (دراسة ميدانية لعينة من بعض الجامعات في المنطقة الشمالية) ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، (جامعة الموصل ، كلية الادارة والاقتصاد ، ٢٠٠٤م)

سادسا : المراجع المعربة

- اشباخ ، يوسف

١٧٨. تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة : محمد عبد الله عنان ، (ط٢، القاهرة ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٨م) .

- باشا ، ضيا

١٧٩. الأندلس الذاهبة ((دول الطوائف والمرابطين وبداية الموحدين)) ، تعريب : عبد الرحمن ارشيدات ، تحقيق : صلاح ارشيدات ، (عمان ، مطبعة الدستور التجارية ، ١٩٨٩م) .

١٨٠. الأندلس الذاهبة ((دولة الموحدين ودولة بني الاحمر وانهيار الأندلس)) ، تعريب: عبد الرحمن ارشيدات ، تحقيق : صلاح ارشيدات ، (عمان ، وزارة الثقافة، ١٩٨٩م).

- بالنثيا ، انخل جنثالث

١٨١. تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة : حسين مؤنس، (بور سعيد ، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت).

- بول ، ستانلي لين

١٨٢. قصة العرب في اسبانيا ، ترجمة : علي الجارم ، (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٤م).

- جرنفيل ، فريمان

١٨٣. التقويمان الهجري والميلادي ، ترجمة : حسام محي الدين الالوسي ، (بغداد ، مطبعة الجمهورية ، ١٩٧٠م) .

- دوزي ، رينهارت

١٨٤. تاريخ مسلمي اسبانيا ، ترجمة : حسين حبشي ، مراجعة احمد مختار العبادي وجمال محرز ، (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣م) .

- كونستبل ، اوليفيا ريمي

١٨٥. التجارة والتجار في الأندلس ، تعريب : فيصل عبد الله ، (الرياض ، مكتبة العبيكان ، ٢٠٠٢م) .

- هنتس ، فالتر

١٨٦. المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمة : كامل العسلي ، (عمان ، الجامعة الاردنية ، ١٩٧٠م) .

سابعا : المراجع الأجنبية

-Bleye , Pedro

187. Ajuado , Mnnual de historiade wspana , (Madrid , 1963) .

-Chalmeta , Pedro

188. Elsenordel Zoco enespana , (Madrid , 1953) .

-Provencal , Levi

189. Histoire del espana MusLmane , (Paris , 1967).



الأزمات الاقتصادية في الأندلس

من الفتح حتى سقوط غرناطة

(٩٢-٨٩٧هـ / ٧١١-١٤٩٢م)


ISBN: 9957-550-61-5



www.dar-alketab.com